ذاكرة الفولاذ

المزيد الزائد من كلِّ شيءٍ مُضِرٌّ.
والاختلاف ليس بذلك التميُّز.
والقَدَر هو المهيمن.
ولا فرارَ ممَّا كُتب بالفعل.
ثم توَخَّ الحذرَ من بعض الأمنيات.

تنبيه:

كلُّ التجارِب والمعلومات الطبية لا تَستنِد على حقائقَ علميةٍ مُثبتةٍ.

التقطت الكاميرات لحظة سقوطي التاريخية، كانت الفلاشات آخر ما رأيتُه، بعد رؤيتي، بعينين مرتعشتين، قَدَمَي صديقي إلياس تعتلي المنصَّة، وهو يركض وينادي عليَّ، عندما امتدَّ ذلك الألم من الجهة اليمنى، مُخترِقًا رأسي حتى يساره، أفقدني التوازن والنظر لوهلة، وكان هذا بسبب ما حدث قبل دقيقتَين.

أنا أخسر من البداية.

1. ميلاد القمر

صرخات متقطِّعة تُعلِن عن قدومه للحياة، ضَحِكٌ مختلِطٌ بالبكاء والدموع، مَصدرُه هذه المرة الأمُّ الغارقة بالعرق والألم غير المنتهي؛ حيث تُردِّد بتعبٍ ووهنٍ وبصعوبة: «الحمد لله، الحمد لله»، ومن ثَمَّ استسلامُها لسُباتِها المؤقَّت.
الطبيبة: «أيقظوا الأمَّ بسرعة، ينبغي ألَّا تستسلم الآن، هَيَا».
بعد محاولاتٍ، فتحت الأمُّ عينيها بصعوبةٍ بالغة، واستمرَّت في ابتلاع ريقها بشكلٍ مستمرٍّ لتبليل حنجرتها، أحْنتْ رأسَها باتِّجاهِه: «أأ ... أريده».
رفعَت الطبيبة الطفل الصامت في الصندوق الزجاجي، ووضعته أمام وجهها ونطقتْ: «هو لم يبكِ كثيرًا».
الأم همست في أذنيه ببعضٍ من الحديث المتقطِّع: «أتمنَّى ألَّا تُبكِّيَك الحياة»، قبل سقوط يدِها المتمسِّكة برأسه الصغير.
الطبيبة تُبعِدُه، وتصرخ بالممرضات: «هيا بسرعة، نحن نفقد الأم!».
بعد مرور نصف ساعة باءت بالفشل، أحنَت الطبيبة رأسها بحُزنٍ وتعبٍ، ونطقتْ ساعة الوفاة والتاريخ.

صراخٌ عالٍ، وبكاءٌ في أحد الممرَّات الباردة في المشفى، مصدره الأب الفاقد لزوجته.

كيف لا يَبكِيها، وهي مَن رحلت عند إنجابها طفلَهم الذي انتظروه طوَال هذه السنين؟ كيف لها الرحيل بعد تحقُّق الأمنية التي عاشوا على أمل حصولها طوال الأعوام الماضية؟

حاولوا تهدئته، ولكن دون فائدة، حتى سقط نتيجة الانهيار الحادِّ.

- بعد مرور عدَّة أشهرٍ -

الأبُ يُبحلِق بصمتٍ في طفله النائم بسلامٍ.

- ألا تزال هنا؟!

- أجلْ، نام قبل قليل.

- يا بني، إلى متى ستظلُّ هكذا حالك؟ هِيَ لن تعود بالنظر ومراقبته.

- أخشى أن تمتعض مني لو قصَّرتُ قليلًا برعايته!

غمغمت الجدة بقليلٍ من إلياس: «لِيُعطِيكَ الله الصبر والقوه».

.....

يدور بقلقٍ شديدٍ وخوفٍ وترقُّبٍ.

الطبيب يخرج ويستدعيه للداخل.

- ماذا حصل؟ لمَ كلُّ هذا الوقت في فحص الصغير؟

- هههه، لا شيء مُخيف، لمَ أنت قلِقٌ؟ يبدو أنك اكتسبت طفلًا ذكيًّا، أو أنه ورِثَه منك.

- كيف ذلك أيها الطبيب؟! هو لم يذهب للمدرسة بعدُ، كيف له التحدُّث بهذه اللغة؟

- ربما تعلَّمها من مشاهدة برامج الأطفال بهذه اللغة، أو بعض الموسيقى!

- حسنًا، ربما اكتسبها بالحضانة.

- ألا تزال تُبقِيه في الحضانة؟! أليس بالرابعة من عمره؟

- أجلْ، أجلْ، بسبب عملي ليس هناك من هو متفرِّغٌ له طوال الوقت.

شكرًا لك، سأعود إليك لو جدَّ شيء ما.

- على الرحب ... بالتأكيد.

.....

- يا صديقي، هو لم يشاهدْها بأيِّ مكانٍ حقًّا، وأنا لا أجيد حتى التحدُّث بها!

- اسمعْ، لا تقلق من كلامي، ولكن ابنكَ كان مختلفًا منذ كان أصغر، فهو برع بسرعة في انتقاء الكلمات بلُغتِنا، ولم يتلعثم بها حتى، بعكس بقية الأطفال، ربَّما هو ذكيٌّ بالفطرة، على عكسك، هههه.

- لا أعلم، إن كان كذلك، فهي أمنية والدته، من بداية معرفتها بحملها بالطفل!

.....

كبُرتُ بسرعةٍ فائقةٍ حتى شعَرتُ بالسباق مع الزمن.

فعندما بلغتُ التاسعة من عمري كنتُ قد اكتسبتُ عشرَ لُغاتٍ.

كبُرتُ بين أيادي الأطباء والمختبرات.

أمضيتُ في غرفة الأشعَّة بمختلفها أكثر ممَّا أمضيتُ في صفوف الدراسة.
أصبحت الحياة بالنسبة لي كالاختبار؛ أترقَّب السؤال من كلِّ جانبٍ، ولكن بمختلف اللُّغات.
فبجانب اللغات، كنتُ أحفظ الكتب بسرعةٍ، ولم أعُدْ أذهب للدراسة بشكلٍ منتظِمٍ، فقطْ أحتاج لأوراق اختبار أَنثُر ما خُزِنَ بـ(ذاكرة الفولاذ)، كما لقَّبني المُعلِّمين والطلاب، و(إسفنجة اللُّغات) بالنسبة للأطباء والعلماء.

أنا معجزة أبي، وأمنية أمي، والمختلِف الغريب، والوحيد في نفس الوقت.
ابتعدَ الجميع عني مع مرور الوقت.
أو أنا من ابتعدَ، فالجميع يرى أنَّ له الحق في الاستمتاع بما يكتنز عقلي.
كَرِهتُ الاجتماعات، حتى العائلية منها، فأنا محورها الدائم.
(تكلم بهذه اللغة ... ما هذه اللغة؟ .... كم ناتج هذه المعادلة؟ ... بسُرْرْرْرْرْعة، لا وقت لديك، هيا، اثبِتْ جدارتَك ...).
من القائل: إن الاختلاف مميَّز؟!
حتى إخوتي الصغار، لم يحبوني كثيرًا، أو كَرِهوني؛ بسبب اهتمام أبي الدائم.
.....
(ألكاي) هو اسمي، لا أعرف لأيِّ أصلٍ ينتمي، أعرف أن معناه هو (القمر في طوره الأول)، وهو اختيار والدتي عند معرفتِها بوجود طفلٍ ذكَرٍ في أحشائها ...
أكملتُ عامي الثامن عشر، كلُّ شيء يبدو جيدًا باستثناء تلك النوبات المتفرّقة التي تأتي من وقتٍ لآخر منذ بلوغي الخامسة عشرة، تُفقِدني الوعيَ لعدَّة ساعاتٍ.
وذلك الألم البسيط الذي يرافقه برأسي.
خرّيج هذا العام في كلية الطب، في تخصُّص المخ والأعصاب.
.....

2. جواب خاطئ

اليوم هو كغيره من الأيام التي قُدْتُ بها مؤتمرًا دوليًّا، وتحدَّثت بما في جعْبتِي من لغاتٍ وأفكارٍ مُغرِيةٍ لأولئك الباحثين في الطب البشري.
ألم أقلْ: إنني في سباقٍ مع الزمن؟!
فقد أوشكتُ على إنهاء الجامعة، بينما أقراني يستعدُّون لدخولها، وقُدْتُ أكبر المؤتمرات الطبية، وغيرها.
كاد اليوم يمضي كما سبقه، لو انني لم أتلقَّ ذلك السؤال، الذي أسقطني صريعًا، وفتح الباب للكثير من الأسئلة، واستدعى المزيد والمزيد من البحوث المرهِقة.
سمعتُ صراخ صديقي الوحيد، وهو يرفعني من على الأرض: «أرجوك استيقِظ، ليس الآن، أرجوك ليس هنا ... كلَّا يااا ألكاي كلَّا».
- قبل دقيقتين -
رفع أحد الأطباء يده، وسألني بلُغتِه التي سبق وسمعتُها، وقد أَلِفتُها:

- سيد ألكاي، هل ستسمح يومًا بأن يُجرَى عليك بحوثٌ واكتشافاتٌ بيولوجية، والتي ربما بدَورِها تُنقِذ البشرية، وتصنع ثورةً بالذكاء؟!
بحْلقتُ بعيني به، ثم امتد ذلك الألم من الجهة اليمنى مخترقًا رأسي حتى يساره، أفقدني التوازُن والنظر لوهلة، ومن ثَمَّ وجدتُني أرى، بعينَين مرتعشتين، أقدامَ صديقي (إلياس) تعتلي المنصَّة، وهو يركض وينادي عليَّ.
مع ازدياد أضواء الفلاشات الموجَّهة إليَّ لتلتقط لحظة سقوطي التاريخية.
ليس بسؤالٍ جديدٍ، ولكن توافَقَ ربَّما مع نوبةٍ أخرى.
.....
أصواتٌ عديدةٌ أسمعها، وأحاديثُ متنوعةٌ كما الحال مع لغاتها.
ولكن، لا أرى أيًّا منهم أبدًا، المكان مظلمٌ وباردٌ.
بعد العديد من المحاولات في استيعاب مكاني، علمتُ أني لم أفقد بصري كما ظننتُ قبل قليلٍ.
أنا في غرفة مظلمة، أنا لا أستطيع الحراك عندما أردت ذلك.
هل أنا مقيَّدٌ؟! هذا ما يبدو، قطع ذلك الهدوء الصوتُ المتَّضِح عند فتح الباب.
- هل هو مستيقظ؟
- لا ليس بعدُ.
- أخشى أن تنفجِر جمجمتُه يومًا ما، أرأيت تضخُّم الناقلات برأسه؟!
- اصمتي، سيسمعُك؟
- لا عليك، لن يستيقظ قبل السادسة، حقنتُه بمنوِّمٍ علَّه تسترخي أوردتُه ومخُّه ... إنه ثمينٌ.
- آاه، أخشى أن يكتشف ما نُريد، نحن لا نواجه شخصًا طبيعيًّا، بل ذاكرة الفولاذ! لا لغةَ تصعُب عليه، والآن طبيبٌ في سنته الأخيرة.
- لا بدَّ أن ننهي ما نريد بأسرع وقت.
- لنخرج، إنه لغباءٌ منَّا أن نتحدث هنا، ولكن نحن لن نستطيع فعل شيء قبل بلوغه العشرين من عمره.
قطع حديثَهم صراخُ إلياس من الخارج.
إلياس: «لماذا تُبقُونَه فاقدًا للوعي كلَّ هذه المدة في هذه الغرفة المظلمة؟!».
رفع هاتفه، واتَّصل على الشخص الوحيد الذي يثِق به (ألكاي) في هذا العالم القذر؛ ألا وهو طبيبه (أندريس)؛ الذي اكتشفه عندما كان في الرابعة من عمره، ومن ثَمَّ حاول إخفاء حقيقته عن العالم، التي لم تدُمْ سوى (٦ أعوامٍ) من ولادته، سرعان ما تمَّ اكتشافه بعد التحاقه بصفوف الدراسة المبكرة، فهو لم يكن طفلًا عاديًّا اكتسب القليل من الذكاء، وانما كان خارق الذكاء، خارجًا عن المتوقَّع بالكامل؛ حيث اجتاز مراحل الدراسة بالاختبارات الانتقاليه من مرحلة إلى مرحلة.
بداية الأمر، كان والده يتفاخر بوجود ذلك الطفل بعائلته، ولكن ليس بعد ما شعَر حقًّا أنه في خطرٍ أكثر من كونه في نعيمٍ.
كيف، والكثير من الدول تتقاتل؛ لإجراء البحوث، وعرضها للدراسة، بكافَّة المراحل؟

وأنه معجزة العصر التي لم يتدخَّل به أي مركبات ولا مخترعين» كما عرفوه.
صحيح أنه أكسب والده الكثير من التقديرات والكثيرَ من المال مُقابِل بعض الاختبارات التي تُجرَى على (ألكاي) في كبرى المؤتمرات واللقاءات الطبية، رُغم زواجه مرةً أخرى، وإنجاب الأطفال، لم يكتسب أحدهم ما اكتسب ألكاي.

.....

أندريس يدخل الغرفة بغضبٍ، ويُخرِجهم: «كيف تفعلون ذلك؟ هو ليس بفأر تجارِب؛ لكي تقوموا بتقييده وتصويره فاقدًا للوعي، أنتم وقِحُون للغاية».

- يا سيد أندريس، أتفهم غضبَك كونَك طبيبَه الخاص، والمكتشف العظيم له، ولكن، لمَ لا أحدَ يخبرنا سببَ سقوطِه؟ وإنما لم تكن مرَّتُه الأولى، ولكن قمتم بإخفائها عنَّا جميعًا، نحن نريد اكتشاف ما يعاني منه.

إلياس يصرخ، ويحاول مهاجمة الطبيب المتحدِّث، ولكن هو في قبضة الأمن: «آاااه، أندريس، انظر كيف يتحدَّث؟! كما لو أنَّ ألكاي ملكُ الجميع».

أندريس يُغمِض عينيه: «لا بأس، اهدأ إلياس، اهدأ».

بعد القليل من الوقت، سمعوا تخبُّط ألكاي يحاول النهوض.

اقترب الطبيب الباحث، وبيده المفتاح، وكأنما سيحرِّر حيوانًا مفترسًا ليس بطفلٍ بالثامنة عشرة من عمره!

- اهدأ، حسنًا، سأقوم بتحريرك الآن، اهدأ.

ألكاي: «أنا لستُ بحيوانٍ لِتقيّدوني، طَفَح الكيلُ».

أندريس يسحب المفتاح من يدِه بقوَّة، ويقترب، ويهمس في أذنه بينما يفتح الأصفاد: «يا ألكاي، لا عليك، أقسم أننا سنتخلَّص منهم جميعًا».

- متى ذلك أندريس؟

.....

ينظر لوالده الصامت، الذي لم يُبْدِ اعتراضًا.

ألكاي: «أبي، تحدَّثْ، هل ستسمح بذلك؟».

- ماذا أفعل؟! الأمر لم يَعُدْ بيدي، القرار من الأعلى!

ألكاي: «ماذا ستفعل أنت أبي؟ آاا ... أنا الطفل هنا ... احمني، كيف ستَدعُهم يرسلوني هناك كما حيوانٌ أسيرٌ في سِيرْكٍ يتنقل بين العالَم لِيُمتِّعَهم بعروضه الغير منتهية!».

أندريس: «ألكاي ... هو لن يرفض، يريد مصلحتك، نحن مُجبَرون حتى نصِلَ للمعلومات التي نريدها».

إلياس بغضبٍ ممزوجٍ بسخرية: «وافَقَ! حتى لم يَعُدْ لرأيه أي أهمية لهم، يعرفون كيف يُصمِتونه».

أندريس أشار له بمعنى: «اصمت لن تزيد الأمور إلا سوءًا».

ألكاي: «حسنًا حسنًا، سأذهب يا أبي وأجلب لك الكثير من المال، كما المعتاد، وأيضًا أنت لم تحرِّك ساكنًا في المؤتمر السابق، أقصِد محاكمتي على إخفائي لهذا الاعتلال -كما قالوا- فكيف ترفض الآن؟! هههه!».

.....

ربَّتَ إلياس على كتف صديقه الواقف على حافة السقف لمركز الأبحاث.
- إلى متى سيستمر إلياس؟
- لنصبر حتى ينتهي أندريس من اكتشاف مرضك.
- أتمنى لو كنت أعيش في جزيرة، لا يجدني أحدٌ، أتمنى لو كنت غريبًا أكثر من الآن، ولكن لا أحد يعرفني.
- حتى أنا؟!
- وهل تنفصل الرُّوح عن الجسد يا أحمق؟
- ابتسم إلياس: «هههه، أجل هذا صحيح، كَرِهتك بصغري، هل تعلم؟».
- أجل، أعلم، عندما أجبرك والدك على مرافقتي بالمدرسة وحمايتي كأخٍ أكبر.
- أنا أكبرك بعدَّة أشهرٍ فقط ... ولكن من يُفهِم أندريس ذلك؟ كان يقول لي: «أنت توءم الرُّوح لألكاي».
- ليت أبي يحبني كما والدك، وليس كما أنني مصدر الدخل لعائلتي فقط.
إلياس -قوس شفتيه للداخل-: «ألكاي ألم تحاول التقرب من أخوتك؟».
ألكاي: «وكيف ذلك؟ ووالدتهم في كلِّ مرةٍ أحاول الجلوس معهم تطلب مني تعليمهم، وتشتكي من عدم اكتسابهم لبعضٍ من ذكائي، كرِهتُ الجلوس معهم بسببها.
- هههه، الجميع يقتات عليك يا أخي.
ألكاي: «إلا أنت وأندريس».
- هههه، لا، لا عليك، والدي اكتسب شهرةً واسعةً، ولُقِّب بالمكتشف لذاكرة الفولاذ، أصبح بروفسور في عمرٍ مبكرٍ بسببك، أما أنا فيكفي أن تبقى بخير، ولا أريد شيئًا آخر، أقسم لك».
ابتسم بوُدٍّ لصديقه، الذي يعرف أنه الوحيد الذي لا يرتجي من خلفه أيَّ مصلحة.
(إلياس يكبُر ألكاي بـ(٦) أشهُرٍ، اشتدَّت صحبتُهم عندما بدأوا الدراسة سويًّا، وبسبب زيارة ألكاي للطبيب أندريس المتكرّرة نشأت تلك الصداقة النقية.
إلياس شابٌّ ذكيٌّ ومتفوّقٌ، وهو بنفس التخصُّص الذي يدرسه ألكاي، اجتاز مع ألكاي الاختبارات الانتقالية، ساعده بذلك حبُّه الكبير وتفوُّقه في الرياضيات، وغيرها).

3. الشجرة الثالثة عشرة

بعد التخرُّج، كان على ألكاي الرحيل مع الفريق الطبي، المشكَّل خصيصًا للبحث واكتشاف سبب علَّتِه في إحدى الدول التي ستستضيف الفريق بصدرٍ رحبٍ في مركزها المتقدِّم للأبحاث.
.....
غضب إلياس بشدَّة؛ حيث إنه لن يذهب برُفقتهم، هم لن يسمحوا لطبيب حديث التخرج بمرافقة هذه الكوكبة من الباحثين والعلماء.
نظر ألكاي لوالده وإخوته، وهم يقفون لتوديعه، ابتسم: «سأعود إن قُدِّر لي هذا».

والده يهزُّ رأسه بحزنٍ شديدٍ.
إلياس يحتضنه بحزنٍ، ودموعه تتلألأ: «لن أبقى دون حراكٍ في غيابك، سيحدث الكثير خلال هذا العام».
ألكاي -ويهمس في أذنه-: «أخشى ألَّا أعود إلياس بعد العام، سيكون اقترب بلوغي العشرين، وهو هدفهم منذ البداية».
إلياس -بعينين جاحظتين- دفعَه قليلًا، وهو ممسِكٌ بكتفيه: «وتذهب، وأنت تعرف بذلك! لن أتركك!».
ألكاي: «سأذهب لاكتشاف مرضي، بينما أنت اكتشف ما عليك اكتشافه، كلُّ شيء قد تحتاجُه هو في مخبئنا، إلياس لا تنسى تلك المعادَلة، هي مفتاح كلِّ شيء ... سَمِعتَ ذلك؟».
.....
ركض إلى مزرعة عائلة ألكاي، وبدأ يَعُدُّ الأشجار حتى وصل للشجرة الثالثة عشرة من أشجار الزيتون، انحنى وحفر بأسفلها، حتى وجد ذلك الصندوق الصغير، ثم فتحه لِيَجِدَ المفتاح المخبَّأ داخِلَه.
استقام ونفض ما علق بثيابه من أتربة، وعندما استدار خلف البناء القديم في المزرعة الذي يسكن به البستاني، وجد تلك الغرفة الذي يفتح بابها عكس باب المبنى، ثم دفعه.
ابتسم عند دخوله، ووجد ألعابهم، والكثير من الأشياء التي مرَّ عليها الزمن المتضح بطبقات الغبار في المكان.
وقف يفكر: ما هو الذي يمكن تُخبِّئه هذه الغرفة الخاليه تقريبًا، سوى من تلك الألعاب، وبعض الوسائد المليئة بالغبار، والرائحة النتنة، وتلك الستارة القماشية القديمة المعلَّقة.
دار بنظره كثيرًا في المكان، علَّه يجد ما يرمي إليه صديقُه، ولكن كلُّ شيء يُوحِي بعدم دخول أحدٍ بعدما توقَّفوا عن الذَّهاب للمخبأ الذي خصَّصاه لهم وقت فراغهم، ولكن توقَّفوا عن الذَّهاب له من زمنٍ بسبب انشغال ألكاي الدائم.
اقترب من الستارة بعد ملاحظته أنها مُعلَّقة بالاتجاه المقابل للنافذة المُغطَّاة أيضًا بستارةٍ أخرى، والوحيدة الموجودة -كما يعلم-.
اقتربَ، وقام بإبعادها بكلتا يديه، ولكن لم يجد خلفها سوى رفِّ كُتُبٍ خشبيٍّ صغيرٍ، رُتِّبتْ عليه تلك الكتب الستة بعنايةٍ، وهذا الرفُّ هو الوحيد النظيف بالمكان! ابتسم باستغرابٍ: «ستارتين ونافذه واحدة!».
استدار مغادِرًا، لولا بقعة الضوء الصغيرة المُتسلِّلة من بين أحد الكتب، اقترب وأخذ يتمعَّن الكتب، ومن ثَمَّ أزاح الأول ليرى أين تلك الفتحةُ التي يشعُّ معها النور، ثم الثاني والثالث والرابع، ولكن ليس مع الخامس؛ حيث كان هناك فتحة صغيرة بالجدار، أخذ يُمعِنُ النظر بها، ومن ثَمَّ دسَّ أصبعه السبابة بها ليرى عمقَها، فإذا به يستشعر زرًّا يَقبُع آخر الفتحة!
سحب أُصبُعَه بسرعةٍ، وتلفَّت حوله، وذهب وأغلق باب الغرفة.

وعاد مرَّة أخرى إلى رفِّ الكتب بسرعةٍ، بعدما ثبَّت جانبي الستارة بالجدار، وعاد دسَّ سبابته في الفتحة، والضغط على الزر.
صوتُ صريرٍ بسيطٌ نتيجةَ بُرُوز تلك الشاشة، إلياس تراجع خطوتين إلى الوراء بفزعٍ، ومن ثَمَّ عاد، قطَّب حاجبَيه عند رؤية خانةٍ لإدخال كلمة السر لِمَا تُخبئه خلفها.
أدخل بسرعةٍ ميلاد ألكاي، ولكن لم يتغير شيءٌ سوى أنها نقصتْ عدد المحاولات المتبقية، لم يُطِل التفكير، حتى أدخل ميلاد والدة ألكاي، ولكن لم تتغير، زَفَرَ بشدَّةٍ بسبب أنها تبقَّت محاولةٌ واحدةٌ، تلفَّت يمينًا ويسارًا، هو لا يعلم: ماذا قد يحدث إذا أخطأ هذه المرة؟ ربما ينطلق سهامٌ أو مصيدة، هذا ما قفز لمخيَّلتِه.
حرَّك أصابِعَه بسرعةٍ استعدادًا للمحاولة الأخيرة، ابتسم لِمَا لَمَعَ بعقْلِه، ثم أدخلَه، أصدرت الشاشة صوت أزيزٍ نتيجةً للخطأ.
انعكف بسرعةٍ على حاله، مغطِّيًا وجهه بكلتا يديه، استعدادًا لهجومٍ مفاجئٍ، وبعد بعض الوقت رفع رأسه وأزاح يدَيه وفتح عينيه، أخذ نفسًا عميقًا عند رؤيته سليمًا، وأيضًا الشاشة عادت للخلف.
عاد بطلبها مرَّة أخرى بغمزه الزر، وعند خروج الشاشة، كُتِب بها: «انتظر نصف ساعة بمحاوله وحيده فقط»، زَفَرَ ثم شدَّ بيده على شعره مُعيدًا إياه للخلف.
جلس على الأرض: «أووووه، ما هذا؟! كالأحجية ... إلياس يا غبي، فكِّر جيدًا، أنت أمام مخبأ ألكاي بعظمته، لن يجعل الشيفرة أعياد الميلاد التافهة، لا، وأضَعُ ميلادي! يا لتفاهتي!».
بعد انصرام نصف الساعة التي أرهقت إلياس بالتفكير فيما يمكن أن يكون الرمز، وقف يُبحلِق في الشاشة بكلِّ حَيرة، هو عليه أن تكون صحيحةً هذه المرة، المحاولة وحيدة، ولا يعلم: هل سيكون هناك محاولةٌ أخرى أو لا؟
أغمض عينيه، وأخذ نفسًا عميقًا يُفكِّر في ماهية هذا الرمز.
قفزتْ تلك الكلمات من صديقه في مخيَّلته: «تذكر تلك المعادَلة، هي مفتاحٌ لكلِّ شيء».
فتح عينيه بسرعةٍ، ورفعها للشاشة، أخذ يُفكِّر: أيُّ معادلةٍ؟ ثُمَّ قال: «يستحال أن تكون هي إلياس؟ لن يفعل ألكاي!».
زمَّ شفتيه، هو لا يعرف الكثير من المعادلات التي شاركه بها ألكاي، اقترب وأدخل التي قفزتْ لعقلِه، وهي التي استبعد ان تكون هي، ولكنْ لا شيءَ آخر.
أدخلها، وعند آخر رمزٍ أدخله أغمض عينيه، ولكن لم يَصدُر شيء، فتح عينيه فإذا بالرفِّ تحرَّك، أغمض عينيه وشَعَر بغصَّةٍ قفزتْ فاستقرَّتْ بأسفل حنجرتِه: «هي بالفعل صحيحة!».
ألكاي وضعها دون غيرها، هي المعادلة الوحيدة التي تغلَّب فيها على ألكاي، رفع عينَيه للأعلى، يمنع دموعه، أمسك به، وعند سحبه تحرَّك ليكشف عن بابٍ حديديٍّ كبيرٍ به شاشةٌ أخرى.
زَفَر وسحب الغطاء من على الشاشة، وإذا بها قارئُ عدسةِ العين، عقد حاجبيه باستنكار، ثم اقترب، وتمَّ المسح الضوئي لعينه، ومن ثَمَّ فُتِح الباب لِيكشِفَ ما خلفه.

تراجع إلياس للخلف حتى ارتطم بالباب الذي عاود الإغلاق تلقائيًّا؛ لدهشته مما رآه، وهو لم يتخطَّ تلك الرموز وقارئ العين.
دار بنظره بسرعةٍ في أرجاء المكان، يُقسِم أنه لولا رؤيتُه للبستاني عثمان يجرُّ عربةً مليئةً بسلال محصول أشجار الزيتون من خلف الجدار الذي يكشف الخارج؛ لظنَّ أنه في أحد مراكز الأبحاث العالمية.
أمعن النظر في مختلف الأجهزة والشاشات، انخرطت دمعةٌ من عينه عند رؤيته لسرير التمريض بالجهة اليسرى من الغرفة، تقدَّم وإذا بصُورٍ كثيرة تقع على الجدار الخلفي للسرير، عقَد ناظِرَيه!
عندما تيقن من المدة التي استغرقها بتجهيز هذا المكان، فالصور المختلفة توحي بذلك؛ حيث إنَّ أول صورة من الموجود كانت له بهذا المكان مع أندريس، يجزم بأنه لم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره، والبقية هي أعلى من ذلك حتى آخر صورةٍ عُلقتْ كانت بعد حفل التخرُّج من كلية الطب.

4. صراع داخلي

شاح بنظَرِه للجهة الأخرى ليرى مختلف العقارات والمحاليل والزجاج، لفتَ انتباهَه ظرفٌ ألصِق على إحدى الشاشات، وكُتب عليه: «إلياس أندريس».
اقترب، ورفعه، وقلَّبه بين يده، وفتحه، ومن ثَمَّ جحظتْ عيناه حتى كادت تسقط من رأسه، وبرزت عروق رقبتِه وكادت تتقطَّع، وتصبَّب العرقُ من جبينه، يشعر بضيق التنفُّس حقًّا، ما كُتب لم يكن ليستوعِبَه بهذه السرعة.
وبعد القليل من الوقت، زحف للخلف بسرعةٍ بعدما جلس خافضًا لرأسه.
ارتطم بالسرير، رفع عينيه للأعلى، وهناك دموعٌ تتزاحم بشدَّة للسقوط، حاول ابتلاع غصَّتِه عدة مرَّات، وتهدئة نفسِه بذلك الزفير والشهيق الذي يشتقُّ صدرَه، وها هو يقوم بسحب شَعرِه للخلف مُكرِّرًا ذلك لتخفيف قلقه.
وسرعان ما يَعقِد يديه بشدَّة، ومن ثَمَّ هزَّ رأسه بعد محاولاته البائسة، هي ستداهمه بالفعل لا هروب.
بدأ ينتفض بشدَّة، والألم يدِبُّ بكافة جسده، وبدأ يتلوَّى كصريعٍ جُرع السمَّ، وبدا يحارب أثره، إنها (نوبة الهلع).
(صراعٌ داخلي، ينتصر به الأقوى، شعور سقوطك في مكانٍ مظلمٍ، وألمٌ شديدٌ إثْر هذا السقوط، اختناقٌ شديدٌ بسبب شعورك باقتراب المكان منك بشدَّة، وتداخُل أصوات الأشياء، ألمٌ شديدٌ حتى في أصابع يديك، شعورٌ بالفراغ والخوف وعدم الارتياح، سرعةٌ عاليه بنبضات القلب، الأرضُ بدَورها تجتذبك نحوها بشدَّة).
أجل، هناك شيء سيحدث بدَوره، هو من يساعدك، مطرٌ غزيرٌ من الدموع كسحابة صيفٍ عاصفةٍ، بها الكثير من البروق التي تُشبِه أنينك في هذه اللحظة.
أنت ستكون بحاجة للأوكسجين أيضًا، وأيضًا تريد يدًا تُمسِك بيدك، وحضنًا يستقبلك، وكتِفًا تنتحب عليه دون مللٍ.

لكنْ، هو وحيدٌ هذه المرة، هو يصارع نفسه، وحيدٌ كمرَّتِه الأولى قبل عدَّة سنوات، بدا صوتُ بكائه هو الصدى في المكان، حاول الوقوف، ولكن دون جدوى.
وعند ازدياد حالته، بدأ بتقطيع فراش السرير الطبي حتى خرجت قطرات الدم من بين أصابعه إثْر بعض الضربات التي يُلقِّنُها للسرير الماثل أمامه، لا شيء أصعب من انتصار الألم عليك.
احمرَّ وجهُه، تورَّمت عيناه، وبعد وقتٍ، وأخيرًا، سقط على الأرض بعدما بدا جسده يستسلم من صراعه، ومن ثَمَّ شعر بحرارةٍ تسري في جسده، وتنسحب مُخرِجةً لكلِّ تلك المشاعر التي تضاربت داخِلَه، وصداعٍ رأسه بدا بالركود، الأصوات عادت للوضع الطبيعي، والجدران أصبحت بمكانها.
عيناه رُغم احمرارها إلا أنها احتدَّت رؤيتُها، بدأ الدفء يحتضِنُه، حان وقت التمدُّد والزَّفْر براحة، ويقول: مرَّت هذه أيضًا، ولكن هي الأصعب عن سابقاتها.
اليوم التالي، لا يزال إلياس يغطُّ بنومه بعد التعب الذي أرهقه الليلة الماضية، فتح عينيه ينظر إلى السقف، وهو متمدِّد على الأرض بجوار السرير، أسرعت بالسقوط دمعةٌ من عينه اليمنى حينما أمال برأسه للجهة اليمنى ورؤيته لذاك الظرف.
أيقظه هاتفُه من شروده، وقف وتقدَّم نحو أسفل السرير؛ حيث وضع هاتفَه خلال جولته بالمكان، نظر للفراش الطبي الممزَّق، التقط هاتفه، (آاااه) صدرت منه حينما ارتطمت رؤوس أصابعه بالهاتف.
- أهلًا أمي.
الأمُّ بصوتٍ قَلِقٍ: «إلياس، أين أنت يا بني؟ أليس اليوم هو موعد زيارتك لي؟».
- بلى، سأكون هناك بوقت الغداء، حسنًا.
الأم: «انظر كم الوقت الآن، عن أيِّ غداءٍ تتحدث؟».
أبعد عنه هاتفَه لِيُصعَق، الساعة تُشير للسادسة مساءً.
- حسنًا، أقصد العَشاء.
تحدَّثتْ أمُّه بصوتٍ هادئ: «إلياس، هل حصل لك شيء؟ هل أنت بخير؟».
إلياس: «لا يا أمي، أنا بخير».
اجتاحها الشكُّ: «آمُل ذلك يا بني، حسنًا سننتظرك على العشاء».
إلياس: «حسنا، ولكن هل أنت وحدَك؟».
- نوفل هنا ينتظرُك أيضًا، اشتقنا لرؤيتك.
رفع حاجِبَيه: «آاااه، حسنًا يا أمي».
أغلق وهو يردِّد: «هل نمتُ كلَّ هذا الوقت؟!».
.....
- على العَشاء -
إلياس ينظر إلى المِلعقة النائمة في طبق الحساء دون أن يحرّكَها.
السيد نوفل بعدما نقل نظره إليه: «إلياس، هي لن تتحرَّك دون محاولتك لتحريكها»، ويشير بنظره للمِلعَقة: «تناولْ طعامَك، أعدَّته والدتُك بحُبٍّ».
إلياس نظر إليه، ومن ثَمَّ لوالدته: «آه، متأكد من ذلك، ما هي مناسبة الليلة لِتُعِدُّوا كلَّ هذا الطعام، والكعك؟!» وينظر للكعكة التي زُيِّنت بمنتصف الطاولة!

أمُّه تبتسم، وهي تنظر لزوجها بعدما أمسك بيدِها، وشدَّ عليها: «أنا ونوفل سنحظى بطفلٍ بعد هذه السنوات».
إلياس، وهو يُقطِّب بيده على لباسه أسفل الطاولة، ويبتسم بصعوبةٍ: «أاااه، هذا جيد، تهانيَّ الحارَّة، أتمنى أن يولد بسلامٍ، ويَنشأ مع والدَيه للأبد».
نوفل يبتسم: «قُل: (تُولَد) فهي فتاة، وقد عرفنا جنس الطفل اليوم، ألا ترى الزينة الوردية؟!».
إلياس تنهَّد: «آه، أأأجل، أجل، هذا جيد».
نوفل ينظر لزوجته: «قررنا تسميتها بالفعل ...!».
والدته تنظر له بقلقٍ وترقُّب: «نوفل يريدنا أن نسميها جُمَان على ....».
صوت سقوط كرسي على الأرض بشدَّة، بعد وقوف إلياس بسرعةٍ، وتراجُعِه، ممَّا تسبب بالسقوط للكرسي.
وقفتْ والدته بسرعةٍ، وكذلك زوجها!
إلياس -وقد احمرَّت عيناه، ونظر بها بغضبٍ-: «لِمَا استدعيتماني إذا؟! لتخبروني بذلك»، ومن ثَمَّ اقترب عند والدته، وهو قد بدا يفقد صبره، ويقول بصوتٍ مرتجِفٍ: «أمي أمي، أنتِ لا تقولين الحقيقة، صحيح؟ لن تسميها جمان!».
أمُّه -وهي تبكي-: «إلياس، أنا أريد أن أنسى وأعيش!».
إلياس -وهو يحني رأسه لليمين، ودموعه بدأت تنهمر-: «هاااه، تنسين وتعيشين! آاااااااه ألم تنسِ؟»، ويرفع نظره للأعلى، وهو يتنهَّد: «آاا آاااه، ألم تعيشي أمي؟ ألم تتركي أبي، وأنا، وتتزوجي مرَّةً أخرى لتنسي؟!».
وبصرخةٍ هزَّت المكان، وهو يضرب صدرَه أأأأأأنا الذي لم أنسَ أمي، أأأأنا الذي لم أعِشْ ... أمي، أأأأنا ما زلت أعيش ذلك اليوم كلَّ ليلةٍ أمي، كلَّ ليلة!».
آاااه، كم مضى؟ أتعلمين؟! خمسٌ؟ ستٌّ؟ لا لا أمي، مرَّ بالفعل ثلاثةَ عشرَ عامًا وستَّة أشهرٍ على ذلك اليوم أمي!
ارتفعت شهقاتُه: «جمااااان، لم تكن فقط من ماتت تحت عجلات السيارة»، وهو يحاول التقاط أنفاسه: «أأأأأأنا أمي أنا ... أنا كنت نصف حيٍّ دون نصفي الآخر، أنا عانيتُ، ومن ثَمَّ أكملَ رحيلُك ما تبقَّى مني آاااااه».
والدته تبكي: «وأنا إلياس؟ ألم أحزن على موت طفلتي؟ أنسيتَ أنك أنت الس ....» وأغلقت فَمَها؛ لتتوقَّف عما كانت ستقولُه، وتبكي حانيةً رأسها.
إلياس، وهو ينظر بصدمة وفاجعة، وكأنه لأوَّل مرة يعلم هذه الحقيقة التي يعرفها بالفعل، توقَّفتْ دموعُه وثبتتْ قدماه، ولكن ارتجف فكُّه بشدَّة، وتقوست شفتاه، وكأنه يُبرِّر كمرَّتِه الأولى: «أأأجل أمي، آاه، أكمِلي ما تريدين قوله»، ويعَضُّ شفتَه السفلى، وهو يرفع عينيه، يحاول منع المزيد من الدموع، ويبتلع ريقه عدَّة مرَّاتٍ.

اقتربت والدته لاحتضانه، ولكنه تراجع، رفعت يديها لوجهه، فأشاح به عنها، وهزَّ رأسه: «لا لا لا، أنتِ لم تفقدي طفلتك فقط، بل أيضًا، فقدْتِ كلا التوءم الآن».

وهو يبكي ويهز يديه بعشوائية: «أجل عليَّ اللَّعْ**، أنا السبب في موتها»، ووالدته تهزُّ رأسها بالرفض ... «هههههه، لا لا، أنا أعلم أني السبب، لم أعد ابن الأربعة أعوام والستة أشهر ذاك أمي، أنا بمنتصف التاسعة عشر، لم أعد طفلَ الأمس».
ويجمع يديه، وينظر لها: «أنا أنا، لو أنني ذهبتُ لجلْبِ الحلوى التي أرادتها لَمَا كنتُ فقدتُها، صحيح؟!».
«أنا، أنا أحمق، أنا استحقُّ الهجر أمي»، وذهب يتراجع للخلف يهمُّ بالمغادَرة.
أوقفته صرخة نوفل عند سقوط زوجته ... نظر إليها بخوفٍ وتسمَّر مكانه، وهو يرى ذلك اليوم يتكرَّر أمامه.

5. حلوى القطن

- قبل 13 سنة -

جمان تشدُّ معطف أخيها التوءم: «إلياس إلياس، انظر، إنها حلوى القطن الوردية، أريدها أرجوك».

إلياس -بملٍل بسبب حرارة الشمس وطول انتظارهم لوالدتِهم التي بدا رؤية سيارتها من بعيدٍ-: «لا يا جمان، هذا خطير، السيارات العابرة كُثُر، ووالدتنا أوشكت على الوصول، يمكنك الانتظار».

وعندما ترجَّلت والدتُه بالقرب منهم، لوَّح لها، والتفت ليُمسِك يدَ أختِه، فإذا به يراها تركض لتَعبُرَ الشارع للجهة الأخرى لتلك الحلوى، وعند محاولته نداءها؛ إذا به يسمع صراخ والدته، وصوت صرير عجلات السيارة، وصراخ العديد من الناس حوله، ينظر بصمتٍ إلى والدته التي تصرخ به، وتركض متجاوزتَه، والناس يتجمهرون، ولكن تراجع للخلف، ثم سقط أرضًا متكئًا على يديه خلفه عند رؤية الناس يتفرَّقون، والدماء تغطي والدتَه التي احتضنتْ طفلتَها الميتة تحت العجلات.

بعد مرور الوقت وحضور المُسعِفين ونقلها للمشفى، وهو لا يزال بمكانه، اقتربتْ منه المُربّية في تلك الحضانة بخوفٍ: «إلياس إلياس»، وهي تهزُّه دون ردَّة فعلٍ غير تلك العيون المتسعة بخوفٍ ورعبٍ صُبَّ بهما.

حملتْه وركضت به للمشفى التي نُقلت به جمان، بعدما أخبرها أحد الحضور بالحادثة.

في تلك الليلة، بعدما أعلنوا وفاة الطفلة، بدأت معاناة إلياس وحيدًا بغُرفتِه (النوبة الجديدة عليه من الهلع).

نوفل يصرخ عليه، وهو يراه ينظر بدهشةٍ دون حِراكٍ: «إلياس، إلياااس، هي بخيرٍ».

تقدَّم إلياس، ونظر بها، وتأكد أنها بخيرٍ، ثم نطق: «أتيتُ لأخبرك أني سوف أسافر لبضعة أشهرٍ!».

والدته بفزع: «ماذا؟! ولما؟».

إلياس: «مُتعَب، أريد الاستجمام، أريد أخْذ إجازة، سأغلق هاتفي لا تتَّصلي حتى اتَّصل أنا بكِ، حسنًا، أنا لن أتركك خلفي مهما حصل في الماضي!».

وغادر إلياس ....

.....

ماريا -بصوتٍ مبحوحٍ من البكاء-: «إلياس أين تريد الذهاب؟ دعْ والدك يعود!».

إلياس يترك الملابس التي بيده بعدما وضعها بحقيبته، ويقترب، ويُمسِك بكتفيها، وينحني لمستواها: «ماريا، لن أغيب للأبد، سأعود، لديَّ بعض العمل، وأيضًا أريد أخْذ إجازة».

وبابتسامةٍ اتَّضحت بها غمازتُه اليسرى: «أيضًا أريد تجرِبة كوني وحيدًا في رحلةٍ مع نفسي!».

ماريا تنظر له بعينَين دامعتين: «وأنا! تتركني؟!».

إلياس: «هههههه، لن أتركك، أليس لديك منزلٌ وأطفالٌ، عمَّتي؟».

ماريا: «أجل، ولكن اعتنيتُ بك وبوالدِك طول عشر السنين الماضية!».

إلياس بتنهُّدِه: «أجل، هذا صحيحٌ، كنا عبئًا شديدًا عليك».

ماريا -وهي تضرب كتفه-: «ماذا تقول يا مجنون؟! أنتم أجمل شيء بحياتي».

إلياس: «أعلم، أريد فقط أن أتقاتل معك قليلًا، هههههه».

ماريا -وهي تجرُّ إلياس وتُجلِسُه على الأريكة المقابلة لسريرة، وتجلس وتُمسِك بيديه، وتنظر بعينيه-: «إلياس، أتظن أنني صدَّقت كلامك؟! أنا بطريقةٍ ما أفهم من عينيك حديثًا توقَّف لسانُك عن نطقِه، أنت صغيري الذي شاهدتُه يكبُر أمامي».

إلياس -ينظر لها بحبٍّ كبيرٍ-: «عمَّتي، أنتِ أصبحتِ لي الأم منذ ذلك اليوم، ولكن أنا بخيرٍ حقًّا، هذه المرة فقط أفتقدهم!»، وخفض عينيه.

ماريا: «آه، أعلم أتفتقد ألكاي ووالدك، لا تقلق سيعودون».

إلياس وقف ثم قبَّل رأسها واحتضنها: «حان وقت السفر يا أمي! وصديقتي الحنونة» وقبَّل جبينها.

ماريا تبكي: «عِدْني بالتحدُّث معي كلَّ فترةٍ، لا تتركني دون اتصالٍ، سمعت؟!».

إلياس: «أجل، أعِدُك».

.....

ألكاي يقوم بتعديل لباسه أمام المرآة: «أندريس، ماذا سيحدث الآن؟».

أندريس -وهو ينظر بهاتفه بقلقٍ-: «ها ...همم..».

ألكاي يلف باتِّجاهه: «أتسمعني حتى؟ أندريس أنا أحدِّثك!».

أندريس يرفع رأسه: «هاه، ماذا كنت تقول ...؟».

ألكاي يقترب ويجلس مقابلًا له، ويشبك يديه بعد ما أحنى جسده قليلًا للأمام: «كنت أقول ماذا سيحدث؟ ماذا يخطِّطون لفعله؟ ولكن ماذا بك أنت؟! أَحَدَث شيء؟».

أندريس: «آه، لا، لم يحدث شيء»، ويخفت صوته: «سيخبرني الباحث جيم».

ألكاي: «هل تثق به؟!».

أندريس: «أنا مجبر ألكاي، قال بعد الاجتماع: غدًا لن يسمحوا بمغادرة أيٍّ من الفريق خارج المعمل، ولكن سنتصادف عند الخروج من صالة الاجتماعات، وهناك سيعطي لي شيئًا ما».

ألكاي: «آه، أجل، اجتماعنا يبدأ بعدهم مع المستشارين! أتمنى أن يكون عونًا لنا!».

أندريس، وهو ينظر لهاتفه بقلق: «أتمنَّى ذلك حقًّا، هو فرصتنا الوحيدة هنا».

ألكاي: «أنْدريس، تحدَّث ما بك؟ أعلم أنه حدث شيء».

أندريس -بتردُّد-: «إإ ... إلياس ...».

ألكاي -بعينين حادَّتين وصوته ارتفع-: «ماذاا؟ ما به؟!».

أندريس -يشير له بيديه-: «لا، لا، هو بخيرٍ، فقط ..».

ألكاي يعود لوضعيته ويَزْفِر: «فقط ماذا!! تحدَّث؟».

أندريس: «وضعت له رسالة بالمختبر، ولكن لم يردَّ عليَّ بشيءٍ، أتوقَّع أنه لم يستطع حلَّ الرمز، يُحَال أن يقرأها ولا يجيب».

ألكاي: «لا، أعتقد انه دخل، هذا مؤكَّدٌ، هو ذكيٌّ! ولكن ما هو محتوى الرسالة؟ لم أرَها عند مغادرتنا!».

أندريس: «آه، لا، وضعتُها قبل السفر بيومٍ، لا عليك، شيءٌ يتعلَّق بعمَّتِه».

ألكاي: «العمَّة ماريا؟ هل بها شيء؟!».

أندريس: «أأأ ... أنت تسأل بكثرة، لا لم يحصل لها شيء، هو غرضٌ أردتُه أن يعطيها إياه، وأن يخبرني بعدها، ولكن!».

ألكاي: «آه، حسنًا، ربما نسي، آاه، هاتفك يرنُّ، إنها العمة!».

أندريس جذب الهاتف بسرعةٍ وفتح الاتصال: «ماريا! أهلًا وسهلًا..».

ماريا: «أخي، أنتم بخير؟! متى ستعودون؟ ألكاي، هل هو بخير؟ هل أزعجوه كثيرًا؟ آه يا صغيري المسكين، لا بدَّ أنه كذلك ...».

أندريس يبتسم: «نحن بخيرٍ، وألكاي بخير للغاية -وهو ينظر لألكاي الذي يبتسم عند سماعه لصوتِها- وهو أمامي الآن يبتسم للمرة الأولى بعد سفرنا، وهذا بسببك، ألا تحبينني كما إلياس وألكاي؟».

ماريا: «أنت رُوحي، بينما هما عيناي التي أرى بهما»، وببكاء: «أنتم لا تحبونني كما أحبكم».

ألكاي يتقدَّم ويتكلَّم، وهو ينظر للهاتف الذي كان بمكالمة فيديو: «ااا ماريا، كيف لا نحبُّك؟! اشتقنا لك بشدَّة».

ماريا -بزعل-: «ولما رحلتم عني؟».

أندريس: «لديك إلياس! حتى عودتنا، ثم نجتمع مرة أخرى!».

ماريا -بصمتٍ وتردُّد-: «إلياس!».

ألكاي: «أجل إلياس، سأكسر ساقيه، ألم يمرَّ بك؟!».

ماريا -باقتضاب-: «ألا تعلمان أنه رحل؟».

أندريس -وهو ينقل نظره من ألكاي للهاتف-: «رحل؟! مَنْ؟ إلياس!».

ماريا: «أجل، إلياس، هو ذهب قبل أسبوع ولا ...» قاطعها ألكاي: «أين ذهب ماريا؟».

أندريس: «دعْها تُكمِل، أين ذهب إذًا؟».

ماريا -بقلقٍ-: «لا أعلم حقًّا، ظننتُه ذاهبٌ لكم، لم أصدِّقْه عندما قال: أريد الاستجمام وحدي! ولكن بما أنكما لا تعلمان...».

ألكاي: «هل أعطاك شيء؟!».

أندريس -ينظر له-: «ماذا؟».

ألكاي يشير له: «ألم تقل إنه يتوجَّب عليه إعطاؤها شيئًا ما؟! إذ إنه إن أعطاها يكون تمكَّن من دخول المختبر، وحصل على الرسالة!».

ماريا: «أيُّ رسالةٍ؟ وأيُّ مختبر؟ لم يُعطِني شيئًا سوى بعض الصور لكم جميعًا في حال شوقي لكم! آه، أجل، وهذا!».

ألكاي وهو يراها تختفي ثم تعود، وهي تحمل صندوقًا.

ألكاي -بسرعةٍ نظر لأندريس الذي بجواره-: «الصندوق!».

أندريس -بترقُّب وهو يبتلع ريقه-: «هل بداخله شيء؟».

ماريا تفتحه: «أجل، هناك مفتاح قديم طلب مني دفنَه في مزرعة ألكاي، أسفل شجرة الزيتون الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، يا ويحي نسيتُ أيُّهم!».

ألكاي، وهو يحني رأسَه، ويقوم بسحب شعره للخلف، ويتنهَّد: «الثالثة عشر ماريا!».

ماريا: «آه، أجل، سأذهب غدًا لوضْعِه».

أندريس: «ألم يتواصل معك من رحيله؟».

ماريا: «فقطْ، مرَّةً برسالةٍ، أخبرني بوصوله لوجهتِه، وأنه بخير!».

ألكاي -بقلق وغضب في نفس الوقت-: «آاه، وأين تلك الوجهة؟!».

أندريس يُغمِض عينيه بصمتٍ.

ماريا –بتذكُّر-: «آاه، أجل، أظنُّ أنه ذهب لمكانٍ تتساقط به الثلوج؛ لكثرة ما حزم من الملابس الثقيلة! وبالأخص تلك الكنزات ذات الرقاب العالية!».

أندريس: «مكان به الشتاء الشديد؟!».

ألكاي -وهو ينظر أمامه بشرود-: «أليس هذا طرازه باللباس؟ هو يرتدي ذات الرقاب (الهاينك) حتى في الصيف!».

أندريس بتنهُّدِه: «أجل!».

... الباب يطرق ...

ألكاي: «ماريا، أخبرينا إن تواصل معك، حسنًا، وكوني حذِرةً عند وضعِك للصندوق، لا يراك أحدٌ، علينا المغادرة الآن».

ماريا تهزُّ رأسها: «حسنًا حسنًا ... إلى اللقاء».

أندريس يقترب من ألكاي: «حاول أن تُهدِّئ من نفسك، واضبط انفعالاتك، حسنًا، هذه الدعوة مهمَّة».

ألكاي: «أتمنى ذلك أندريس».

.....

6. ذات الثلاثة الأحرف

-على طاولة العشاء-

تحدَّثَ أندريس، بعدما نظر إلى ألكاي، الذي ينظر للطعام بطبقه دون المِسَاس به: «سيدي الرئيس، هل يمكنني معرفة سبب دعوتك الليلة؟ حيث يُفترَض لقاؤنا مع مستشاريك غدًا!».

رئيس مركز الأبحاث العالمي: «هههههه، يبدو أنك تقدَّمت في العمر بروفسور أندريس، ألم تَعُدْ تُجيب الدعوات؟ دون سبب! هههههه».

ألكاي رفع رأسه، ورفع حاجبه الأيمن.

أندريس يقبض على يدِه بخفَّة: «هههههه، لا، ليس هكذا، ولكن أنا لست وحدي!».

الرئيس: «ظننته بالغًا بالفعل لا يحتاج الرعاية! ألست كذلك ألكاي؟! الأمر هو أني أردت رؤيته، وكان لديَّ مناسبة، وظننتكم تلبُّون دعوةً عامَّة مثل هذه؛ هو حفل ميلاد ابنتي الوحيدة».

ألكاي -بطيف ابتسامه-: «وماذا وجدتَني عند رؤيتي؟!».

أندريس يطبطب على فخذه.

الرئيس: «هههههههههه، رأيتك جميلًا جدًّا، بجانب معجزتك، أليس كذلك؟» ويلفتُ على ابنته التي نظرتْ إلى ألكاي، ولم تُجِبْ، واستمرَّت بتناول طعامها.

الرئيس: «هي هكذا، لا تحب الحديث الكثير».

ألكاي -بابتسامه خفية ساخرة-: «عكسك تمامًا».

استطاع والدها لمْح ابتسامتِها أثناء تناوُلِها قطعة اللحم.

الرئيس: «هكذا نحن مختلفان، كحالِك مع والدك!، ولكن الشكر لوالدتك، التي لم تمُتْ إلا بعد إنجابك، وإلا لما أصبحت معجزة الطب!!».

(ألكاي -بغضبٍ وحزنٍ- هو بالفعل تمنَّى أنه لم يكتمل، وأنه لم يخرج من تلك الغرفة الباردة التي التهمت والدتَه، تمنى لو أنه بَقِي على الأقل بأحشائها، ثم مات، وأصبح وفاة أمٍّ وطفلها سويًّا، تمنَّى لو لم يعرف كل هذا، ولم يكن معجزةً لأحدٍ، تمنَّى لو أنه كان منسيًّا من عالم الأحياء مذكورًا بأعداد الموتى).

بابتسامةٍ مائلة، ورفْعِ حاجبِه: «هه، وإلا لما كنتَ أنت سوى باحثٍ لا يكاد يُعرَف اسمُه بين المتدرّبين الجُدُد، صحيح؟ ألم تكن من استولى على الفحوصات التي كان يُجرِيها البرفسور سرًّا لي؛ لمعرفة مشكلتي؟!».

الرئيس التفتَ إلى ابنته التي توقَّفت عن الأكل، ورفعتْ عينيها باتجاه ألكاي: «روف، لا عليك، أكملي طعامك!».

ألكاي -بصوت خافت-: «روف!! ما هذا الاسم؟!».

الرئيس: «أندريس، غدًا سيخبرك المستشار بالتفاصيل».

..... وأكمَلوا الأمسية.

ألكاي بالخارج، ينتظر أندريس الذي ذهب لدَورة المياه ليُغادِرَا سويًّا، أدخل يديه بمعطفِه، ويرمي بقدمِه الأرض بخفَّة.

صوتٌ من خلفِه: «ما هو الغريب في اسمي؟!».

ألكاي استدار ليرى روف ابنة الرئيس تقف متكئةً على الباب الخارجي: «أتتحدثين معي؟».

روف: «لا مع القمر! أجل معك يا طَور القمر، كما قالوا، إنه ما يرمي له اسمُك!».

رفع ألكاي رأسه ليرى القمر المكتمل: «آاه، أجل، لا أعني شيئًا، استغربت أنه ثلاثة أحرف، ومتفرّق النطق حتى! لا شيء آخر».

روف: «هههههه، هكذا أنا أسمتْنِي أمي، ولكن لم يهتمَّ أحدٌ به كما اهتمُّوا بك حتى بمعنى اسمك، ومن الذي أطلقه عليك؟!».

ألكاي -يرفع يده عند رؤيته أندريس يتَّجه نحوه-: «حسنًا سنغادر».

روف -بابتسامة-: «لم تهنِّئني على يوم مولدي؟».

ألكاي: «لا أقدِّم التهاني ولا أستقبلها بتلك المناسبات».

روف: «بسبب أنَّ ولادتك كانت سببَ وفاتِها؟!».

ألكاي نظر لها باستخفاف: «لا شأن لكم» واستدار مغادرًا للمكان.

.....

روف تنظر لوالدها الغاضب، وهو يتحدَّث على الهاتف: «هو وقِحٌ بشدَّة، ليس فتًى ساذجًا كما ظننَّا! أندريس أصبح كالظلِّ له».

بعدما أغلق وزَفَرَ بغضبٍ، وارتخى للخلف على الكنب؛ ليسحب ربطة العنق، روف: «أبي، من يكون ألكاي غير ذاكرة الفولاذ؟!».

الرئيس -وهو في نفس وضعيَّتِه، وينظر للسقف-: «طبيبٌ حديثُ التخرُّج، آه، لا أعلم ما لديه ليكون بتلك القوة، بينما لا يزال فتى في التاسعة عشرة من عمره!».

روف -بصمت وثم-: «ربما هناك ما يخطِّط له بالفعل».

الرئيس، وهو يتعدَّل بجلوسه، وينظر بها بتركيز: «ماذا تقصدين بالتحديد؟!».

روف: «آه، لا أعلم، أعنى أنه طبيبٌ كما قلتَ، ولديه بروفسور مختصٌّ، وبالتأكيد لديه من الذكاء ما نَعجِز نحن عنه، أليس كذلك؟!».

الرئيس -وقد لمعتْ عيناه بمكرٍ-: «آه، أنتِ ذكيَّةٌ حقًّا، وكيف نعلم ما قد يكون يخطِّط له؟».

روف -نطقت دون اكتراث-: «ربما لديهم من يَثِقُون به، ويتجسَّس عليكم!».

الرئيس -وقف بانفعال-: «ماذا تتحدَّثين؟!»، ويتقدَّم ويُمسِك بكتفها بسرعةٍ وبقوَّةٍ: «ماذا تقصدين بجاسوس في فريقي؟ تحدَّثي من؟!».

روف -ودموعها تتجمَّع-: «أبي، آاه، أنتَ تؤلِمُني، أنا فقط قلتَها هكذا، احتمالٌ فقط، أقسم أني لا أعلم شيئًا، أرجوك، اتركني، هذا يؤلم».

زَفَرَ الرئيس، وابتعد عنها، وهي انحنت لشدَّة الألم: «لا تقولي أي كلامٍ دون دليلٍ، فهمتِ؟» وغادر.

روف -تجلس بخوفٍ من والدها-: «آه، ماذا قلت أنا؟ لن أتحدَّث معك أبي».

.....

-اليوم التالي-

أندريس يقف مع ألكاي في الممرّ.

رأى الباحثين يخرجون من صالة الاجتماعات.

نظر، وإذا بالباحث (جيم) الأخير يتأنَّى بمشيه، ثم صافح أندريس بعدما صافحوه، ولكن لم تكن يده خالية، فقد وضع بها ورقة وغادر!

-في الاجتماع-

رئيس الأطباء: «لن أطيل الحديث، سنقوم بزَرْع رقاقة؛ لمراقبة انفعالات الدماغ، ولرصد لحظات الحالة التي تتعرَّض لها ألكاي».

أندريس -بتفكير-: «هل تعني أنها قارئة للدماغ أم أنها شيء آخر؟».

تحدَّث طبيبٌ آخر: «بروفسور، ماذا تقصد بالطبع (قارئة للدماغ)؟!».

ألكاي: «ومتى سيتم إجراء العملية؟ وهل يمكن أن يترتَّب عليها آثار جانبية؟!».

رئيس الأطباء: «إمممم، حسنًا، العملية الأولى ربما بعد أسبوعين! أما بالنسبة للأعراض، فلا، فهي ستصنع خصيصًا لك أنت، وتم دراستها جيدًا، لكن بسبب أنَّ التخدير سيطول بسبب حالة العملية، وبسبب صعوبة تخديرك، كما تعلمون، فقط ربما ستستغرق القليل من الوقت في الاستيقاظ!».

ألكاي: «يعني أنها لم تُجرَّب مسبقًا!».

الطبيب: «بالتأكيد تمَّ تجرِبتها مُسبَقًا، لا عليك».

7. عندما تهزمنا الحقيقة

في الفندق المُخصَّص لاستضافة الفريق الطبي ....

أندريس يجلس بسرعةٍ، ويُمسِك برأسه في غرفته بعد قراءة الورقة: «هذا ليس جيد ... أخخخ ... إلياس أين أنت».

(سيد أندريس، الرقاقة تمَّت تجربتها على متطوّع مشلول الأطراف مُقابِل مبلغٍ ماليٍّ ضخم، ولكن فقَدَ ذاكرتَه بعد استيقاظه من غيبوبةٍ دامت شهرين ... وأيضًا ليست برُقاقةٍ قارئةٍ وحسبُ!).

دخل ألكاي ينفض شعرَه المبلول بعد استحمامه: «ماذا يقول؟!» ... قطَّب حواجبه وهو يرى أندريس لا يجيب ويستمرُّ بالنظر بالرسالة التي بين يدَيه ... اقترب وسحب الورقة، وقف أندريس بفزع: «ماذا تفعل؟!».

ألكاي -وهو لا يزال ينظر بالرسالة-: «ماذا! يتحدَّث هذا؟!».

أندريس: «لا عليك، سأدخل لغرفة العمليات، ولن أسمح لهم مطلقًا».

ألكاي: «ماذا ستفعل بدخولك أندريس؟».

أندريس - يَزْفِر-: «لقد سبق، ورأيتُ صورةً للرقاقة المقصودة ... بالتأكيد ستكون التي يريدونها مختلفة ... وأيضًا قد قمتُ بتجهيز شيء ما لمساعدتنا».

ألكاي: «أتقصد؟! هل اكتمل صنعها؟».

أندريس: «أجل استلمتُها قبل سفرنا بيومٍ واحدٍ».

.....

يقف على الشاطئ في الصباح الباكر، حتى أن الشمس لم تشرق بعدُ ... الرياح باردة، وتُحرّك شعرَه، وقد قطَّب حاجبيه بانزعاجٍ، وهو يفكر بإلياس، مرَّ بالفعل أسبوعان من سفرِه، ولم يتواصل مع أحدٍ سوى ماريا، التي يبعث لها الرسائل النصية، والتي اكتشف ألكاي أنها مجدولةٌ مسبقًا بعدما طلب منها إرسالها لهم!

رُغم برودة الطقس إلا أن داخله ملتهبٌ بالقلق ...

شعر بحركة بالخلف، ثم أدخل يده لجيب معطفه الداخلي؛ ليلتقط تلك السكين الصغيرة ... تخطَّاه الشخص دون كلامٍ.

رفع حاجبه الأيمن عند رؤيته لها تدخل الماء بشرود ... نطق بتردُّد واستغراب: «روف!» لكن لم تُجِبْ، واستمرَّت في التقدُّم، وكأنها تحت تنويمٍ مغناطيسيٍّ، أو أنها تمشي وهي نائمة!

نطق مرة أخرى، وهو يرى الماء بدَا يرتفع بدخولِها له...

- آنسه روف، ماذا تفعلين؟!

لم تُجِبْ، زَفَرَ وهو يرى جسدها بالفعل يختفي بالكامل، تلفَّت حوله علَّه يجد من يساعدها، يبدو أنها ليست بوعيها الكامل، كلُّ شيء يوحي بذلك، وبالأخص لباسُها ... فهي ملابس نوم خفيفة جدًّا لن يخرج بها أحدٌ في هذا الطقس، وهو يعي ما حوله.

لم يكن أي أحدٍ بالجوار، وهي اختفت من على سطح المياه، تحرَّك ليعطيها ظهره ويرحل، ولكن لم يتقدَّم خطوتين حتى توقَّف مكانه، ثم خلع معطفه، ثم خلع الجاكيت الخفيف الذي يرتديه أسفل المعطف الطويل.

خلع حذاءه وتقدَّم للماء ... أخرجها بعد سحبها للأعلى، ثم ألقى بها على رمال الشاطئ ... ونظر بها وهي فاقدة للوعي، وقد التصق اللباس على جسدها المبتل.

سحب المعطف وغطَّاها، اقترب بتردُّد، ثم بدا بالضرب على خدَّيها لتستيقظ: «هي أنتِ ... هي ... آنسه روف ... رووووف ... رووف».

مدَّ يده ثم أعادها وقبضها بعدما أراد الضغط على صدرها لإخراج الماء. قبض يده بشدَّة ووقف وزَفَر: «أاااوه، حسنًا، أنا طبيبٌ، كنت سأنقذ أيًّا من كان يغرق أمامي، بالطبع لا يهمُّ أن تكون ابنتَه».

وعاد يجلس على ركبتيه أمامها، وهي قد التصق شعرُها بالرمال، ووجهها شاحب ... ثم طبق الإسعافات والإنعاش القلبي الرئوي والإسعافات اللازمة

حتى بدأت تكحُّ وتبصُق بعضًا من الماء المتسلِّل داخل حنجرتها.

فتحتْ عينيها، ونظرت له وهو يجلس مُمِدًّا لقدمَيه، متكئًا على يديه خلفه، ينظر للبحر.

نطقت -والدموع تتساقط-: «لماذا فعلتَ هذا؟!».

نظر لها وهو بنفس وضعيَّتِه، لا بأس يمكنك المحاولة مرَّةً أخرى، ولن أمنعك وقتها!

بكَتْ بصوتٍ عالٍ، جعلته يتعدَّل ويتلفَّت حوله؛ خوفًا من أحدٍ بالجوار يظنُّ أنه قام بأذيَّتِها: «هي ... أنتِ ... اصمتي».

وعندما لم تتوقَّف وقف وأخذ ينفض بنطاله الذي جفَّ، ولكن التصقتْ به بعض الرمال: «حسنًا أكملي ما تنوين فعلَه، أيًّا ما كان، سأغادر».

وقفتْ ثمَّ سحبته لإعطائه المعطف، رفض وهو يقول: «دعيه، لم تجفَّ ملابسك بعدُ».

أحنت رأسها تنظر بلباسها، وأغمضت عينيها، وشعَرت بالحرج بالتفكير أنه أخرجها من المياه بهذه الملابس، وأيضًا مبتلَّة، وقد التصقت البجامة عليها، قالت بصوتٍ مبحوحٍ: «آسفة لتعريضك لشيء هكذا ...أأأأنا ...».

نظر لها وقال: «لا أهتمُّ لما مَررْتِ به، ولِمَ أردْتِ إنهاء حياتك هنا حقًّا ... لديَّ ما يهمُّ أكثر ... المعطف يُمكِنك رميُه بالمهملات!».

ولفَّ مغادرًا وهو يعدل الجاكيت.

روف: «ألكاي ... توقَّفْ».

ثم لفَّ لها لتُكمِل ما تريد.

اقتربت: «أنا لم أكن أريد إنهاء حياتي ... وأيضًا، هل يمكنك العودة لبلدك؟».

عاد يقترب منها: «ماذا؟ لِمَ يتوجَّبُ عليَّ العودة؟».

بقلقٍ والتوتر اتضح بصوتها: «أعنى ربما لا يتوجَّب عليك الخضوع للعملية، صحيح؟!».

حدَّق بها طويلًا، ثم ابتسم: «هههه، أأنتِ قلقةٌ عليَّ لأني أنقذتك أم تَخشَين أن يُخطِئ والدُك وتنتهي حياته؟!».

روف -تُغلِق عينيها وتعَضُّ شفتيها-: «لا عليك» وتتخطَّاه، لو لم يُمسِك بيدها ويوقفها: «ماذا تقصدين يا فتاة؟! أكملي كلامك».

روف، بفزعٍ، وهي تقوم بجرِّه، وتركض لتختبئ خلف إحدى الصخور القريبة على الشاطئ ....

ألكاي، يدفعها لترتطم بالصخرة خلفها وتتأوَّه ... وينحني ليلتقط أنفاسه بعد ركضها مُمسِكةً بيدِه، رفع رأسه لها، وعينَاه مليئةٌ بالغضب، كاد يصرخ عليها، ولكنها هزَّت رأسها، والدموع تترقرق بعينيها، وهمست: «أرجوك، اصمُتْ، هما قريبان سيسمعان ... أرجوك يا قمر».

ألكاي ابتعد قليلًا وهو مليءٌ بالاستفهامات، ولكن صمت عند رؤيته دموعها تنسكب، وهي ملتصقةٌ بالصخرة، ومُمسِكةٌ بفمها بكلتا يدَيها، تمنع بكاءها،

وعند سماعه لصوت خطواتٍ تقترب ... يبدو أنها مطاردة أو شيء من هذا القبيل!

اتسعت عيناه عند معرفته لأحد الأصوات!

الصوت بالخارج: «أمتأكِّد أنها لم ترَ شيئًا؟!» صوت والدها.

الحارس: «سيدي، يبدو أنها خرجت قبل وصولهم، أو أنها لم تنَمْ هناك أصلًا، ربما بقِيَتْ عند صديقتها».

- ربما أخطأتُ النظر، لا يوجد أحدٌ على الشاطئ.

زَفَرَ والدُها باطمئنانٍ: «أوف، هذا جيد ... أعتقد هذا بسبب الرسالة على الأغلب».

وابتعد الصوت ...

بعد دقائق رفع ألكاي عينَيه لها، ثم تحرك ليزيحها عن طريقه، ولكنها لم تكن تعي، عيناها متسعةٌ، وترتجف بشدَّة، ولا تزال مُطبقةً بيديها، بشدِّها لتمنع خروج بكائها ...

ألكاي تراجع للخلف ونظر إليها: «رووف، هل أنتِ بخيرٍ؟!»، مرَّر يده من أمام عينيها: «رووف ... رووف»، ثم تحدَّث بصوتٍ متوسطٍ، وهو يقترب منها: «رووووف».

صرخت هي بدَورها، وجَثَتْ على الأرض وهي تجهش بالبكاء، وترتجف وتتكلم: «أرجوك، أرجوك، أرجوك، لا تفعل أرجوك، هذا ليس صحيحًا ...

أنت لم تفعلها، صحيح؟!» وتبكي بشدَّة: «أنا ... أنا لم أرَ ذلك ... أرجوك، أنا كنت أحلُم، لم يكن بسببي -وتهزُّ رأسها- صحيح؟!» وتنظر للأرض.

نظر إليها بدهشة وهي تبكي، ولا يعلم ماذا حلَّ بها، الأكيد أنها ليست بطبيعتها ... أمسك بكتفيها بهدوء: «روف، اهدئي، حسنًا، اهدئي، ذهبوا، لا عليك، لقد رحلوا، أنا ألكاي، لا تخافي، أنتِ بأمان».

هو لا يعلم ماذا حلَّ بها ما ... لكن متأكِّد من أنها مرَّت بشيءٍ صعبٍ.

سيحميها الآن حتى تهدأ الأوضاع ...

نظرتْ له بعينين دامعتين، وكل الخوف والخذلان بالعالَم استقرَّا بها ...

خفضت رأسها، وقد تبرَّمت رموش عينيها من الدموع، ونطقت وهي تُدلِّك يدَيها بخجلٍ ممَّا فعلتْ: «يا طور القمر، أعتذر ... أنا أنا ...».

ابتسم: «حسنًا، لا بأس، لكن ماذا حدث؟ هل تعرَّضتِ لشيء سيئ؟!».

صمتتْ، وهي تنظر للأرض، وبعد وقتٍ نطقتْ: «هل يمكنك نسيان ما حدث اليوم من البداية حتى هذه اللحظة؟».

ألكاي -زمَّ شفتيه ونظر للأعلى-: «أمممم، حسنًا، لا أعتقد ذلك، أنا لا أنسى بسهولةٍ كما تعلمين ...».

ضحكت: «بعكسي تمامًا ... لكن أنت قلت: إنك لست مهتمًّا، فلِمَ تبقى دون اهتمامٍ ألكاي؟!».

ألكاي: «والدك، لمَ يظنُّ أنك لست بالمنزل؟ أو ماذا حدث ليبحث عنك بهذا القلق؟! ما الذي عِشْتِه روف؟».

روف -رفعت رأسها له-: «هل يمكنني عدم الإجابة الآن ... أنا أريد التأكُّد أيضًا عن ماهية الأمر الصحيحة!».

ألكاي: «أمممم، حسنًا .. لمَ قلتِ: إنه يتوجَّب عليَّ الرحيل لبلدي إذًا؟!».

روف -بتوتُّر كبير فهي لن تستطيع إخباره-: «هل تثق بي دون سؤالٍ وتُنفِّذ ...؟!».

ألكاي: «بالطبع لا، كيف لي أن أثِقَ بكِ وأنتِ ابنتُه؟!».

روف: «ثِقْ بصاحبة الاسم الغريب دون ربط والدها بالموضوع».

ألكاي: «اعتذر، سبق ووثقتُ، ولكن ندِمتُ ... روف لا أستطيع! أنا لا أثق بالغرباء».

روف -بتنهُّد-: «أتعلم شيئًا؟ معك حقٌّ، والدي ليس بذلك الشخص الجيد، مع الأسف ... ولكن رُغم أنه لقاؤنا الثاني ... ولكن لا أعلم، لا أجدك كما قالوا عنك!».

ألكاي: «كيف وجدتِنِي؟ وماذا قالوا؟».

روف: «هههه، لا أعلم، وجدتك رائعًا ... غامضًا بشدَّة ... أما هم فقالوا: شخصٌ قاسٍ لا يمتلك المشاعر ... يكره الجميع، بل يكره العالم!».

ألكاي: «هههههه، لم يعطوني الحُبَّ ويطلبونه!».

- المشاعر! لم أجِدْ من يستحقَّها سواه.

- حسنًا سنغادر الآن!

أيًّا ما كان حصل حافظي على هدوئك مهما اشتعل داخِلُك، بذلك تستطيعين العبور بسلامٍ، لن يرى أحدُهم جحيمَك الداخلي روف؟ سيقرؤون الخوف بعينك ...».

روف -نظرت له وتجمَّعت دموعها-: «أتمنَّى لك السلام والأمان في كلِّ مكانٍ ... شكرًا لك يا طور القمر».

ألكاي: «غريبٌ أن تناديني هكذا!».

روف: «والدتك اختارت بعنايةٍ اسمًا يستحقُّه ابنُها، حقًّا هو جميل ...».

ألكاي: «آاااه، أجل، هو كذلك».

.....

- قبل أربع ساعات -

الساعة الثالثة صباحًا .....

دخلت روف على رؤوس أصابعها، وتسلَّلت لغرفتها بسرعةٍ، قامت بتبديل لباسها بلباسٍ للنوم؛ قميصٌ أبيضُ واسعٌ وخفيفٌ، قامت بمسح الميك آب ودلَّكت رأسها بخفَّة بعد حفلة الليلة الماضية لدى صديقتِها كارتال.

قطَّبت حواجبها بعد سماعِها لصوتٍ يقترب.

اختبأت خلف باب غرفة التبديل الصغير.

دخل الحارس وتفقَّد الغرفة، ثم رأته مع فتحة الباب يقترب من السرير ويتلمَّس الفراش.

زَفَرَ، وأغلق النور، وخرج.

خرجتْ روف، وتمدَّدت على السرير استعدادًا للنوم، ولكن تعدَّلت بسرعةٍ؛ بسبب الفضول الذي داهمها، وذلك بعد سماعها لصوتٍ يُشبِه البكاء، اتَّسعت عيناها.

وقفتْ، وفتحت هاتفها، ثم هزَّت رأسها: «هناك ما يحدث بالتأكيد، سوف أرى فقط ماذا هناك، هم لا يعلمون أني هنا»، وهي تنظر للرسالة التي أرسلتها لوالدها: «أبي، سأتأخَّر للصباح، وأعتقد أني سأذهب للشاطئ عند عودتي قليلًا».

اقتربتْ وفتحَت الباب بخفَّة، وخرجت، وهي تمشي بخفَّة، وتقترب من الجدار الصناعي ذي الفتحات الصغيرة الفاصل بصالة الجلوس ... كانت ستتقدَّم لولا رؤيتها لذلك الشخص المقيَّد على الأرض!

لحظة ... الذي يقف أمامه هو والدها: «ماذا يحدث هناك؟!»، اقتربت لتسمع وهي تسترِقُ النظر مع إحدى الفتحات الصغيرة.

الشخص المقيد هو جيم!!!

«ماذا يحدث؟! أبي لِمَ يحمل هذا الشيء بيده؟! ما الذي التقطه من الحارس؟! أهو كاتمٌ لصوت السلا**؟! لا لا لا، أبي لن يفعل .....».

قطَّبت حواجبها، وهي تسمع والدها: «من يعترض طريقي سيواجه نفس المصير حتى ولو كان ألكاي نفسُه».

أغلقت فمها بشدَّة، وجَحظَتْ عيناها عندما رأت الدم يتصبَّب من وجه والدها بعد إطلاقه النار على جبين الباحث جيم!!!!

ارتجفت قدماها، حاولت العودة أو الحركة، ولكن تشعر وكأنها شُلَّت كافَّة أطرافها ... سمعت والدها: «نظِّف كلَّ شيء قبل قدوم روف، وانثُر بالمنزل بعض المُلطِّف لإخفاء رائحة الدماء».

روف لم تذهب لغرفتها، بل ذهبت للخروج من الباب الخلفي للمنزل الصيفي الواقع على الجزيرة التي يقيم عليها الفريق الطبي.

ركضت بسرعةٍ، تشعر وكأنَّها سقطت من أعلى جبلٍ، ثم ارتطمتْ بشدَّة حتى تفتَّتَتْ عظام جسدِها كاملة ... لم تبالِ بلباسها، لا تعلم أين تذهب، فهي تسير متجهةً لذلك الشاطئ البعيد.

تريد الابتعاد عنهم وعن رائحة الدماء التي مهما قاموا بتنظيفها ستظل عالقةً بهم، هي سترى الدماء بأعينهم ... لِمَ لَمْ تبقَ عند كارتال؟ لمَ لمْ تُغمِض عينيها؟ لِمَ الفضولُ يُرِينا أشياء تمنَّيْنا فقدان البصر على رؤيتها.

وعند اقترابها للبحر أرادت فقط أن تغسل المياه كلَّ شيء تشعر أنه عَلَقَ بها ... ولكن تشعر أنَّ الماء اجتذبها عند دخولها، ولأنها لا طاقة لها للمُجابَهة استقبلت طلبه واستسلمت له، وأغمضت عينيها ... لم تكن لتستطيع تحمُّل تلك الحقيقة ... والدها الذي لطالما افتخرتْ بنجاحِه وبحبِّه لها رُغم قسوتِه أحيانًا، ولكن كانت تُبرِّرُه بالاهتمام ... ولكن والدها هو بحقيقته قاتلٌ!!!!

لا يبدو أنها مرَّته الأولى، كم قتل؟ ومن قتل؟! كانت تلك هي أفكارها الأخيرة قبل أن تفتح عينيها لوهلة لتَجِدَها بين يديه، هو القادم كما هدَّد والدها القاتل ...

هو من أنقذها دون غيره، بكتْ عندما التفتتْ برأسِها تُجاهه، ورأته جالسًا بالقرب منها ينظر بشرود ...

.....

- ثلاثة أيام تفصل عن وقت العملية الأولى -

وقف بسرعةٍ وبفزَعٍ عند رؤيته لرسالة إلياس ترنُّ بهاتِفه.

التقط الهاتف، وفتح الرسالة، وخرج من الفندق، ولكن توقَّف بعد رفض الحارس الواقف على الباب الخارجي للفندق مغادرتَه، نظر ألكاي إليه بكلِّ غضبٍ بالعالم صُبَّ بعينَيه تُجاهه: «ماذا تفعل؟».

الحارس: «أعتذر سيدي، لديَّ أوامر بعدم مغادرتِك من هنا بتاتًا».

ألكاي -يرفع حاجبه الأيمن ويهزُّ رأسه-: «حقًا، ومن أعطاك ذاك الأمر؟!».

الحارس كان على وشك الحديث، ولكن توقَّف، وينحني مبتعدًا بعدما أشار له رئيس مركز الأبحاث البروفسور (راين): «لا بأس، سأُجيبُك ألكاي، تفضَّل بالدخول».

ألكاي ينظر للبروفسور راين وهو يتقدَّم منه برفقة حارسه الشخصي وابنته روف.

ألكاي: «ماذا تفعل سيد راين؟ أتظنُّ أنك تستطيع حبسي؟!».

راين، وهو يجلس مقابل ألكاي بردْهة الفندق المخصَّصة للضيوف والزائرين: «نعتذر لك كمركزٍ أبحاثٍ عالميٍّ، نحن الآن مسؤولون عنك حتى ننتهي من الجراحة ... كلُّ ما نريده الحفاظُ على سلامتك».

ألكاي -ابتسم بغضبٍ ولفَّ مبتعدًا وهو يقول-: «كن أبًا جيّدًا، بالكاد تستطيع!».

وابتعد تاركًا روف تنظر خلفه بدهشةٍ، وهي تتقبَّل نظرات والدها المستغربة.

راين -وهو ينظر لابنته-: «روف ... هل حصل شيء؟».

روف -بتوتُّر تحاول إخفاءه-: «لا أعلم ... هو شخصٌ متغطرسٌ ... لا عليك».

ابتسم والدها: «الآن تقولين الحقيقة، لديه كبرياء ولسانٌ سيئ»، وقال بصوتٍ خافتٍ استطاعت سماعَه: «تبقَّى القليل، ونرى من سيتحدَّث أكثر ...».

روف تقف: «حسنًا، هل يمكنني الذهاب الآن؟».

والدها يقترب ويحتضنها: «تحقيقًا لرغبتك بمغادرتك المنزل حتى وقت رحيلك، وضعتُك بأكثر الأماكن أمانًا حقًّا، رُغم عدم وجودي لجوابٍ مُقنِعٍ لذَهابك لتلك البلد».

روف -وهي تحاول الهروب من بين يديه، وهي تبتعد قليلًا بابتسامةٍ رسمَتْها بصعوبةٍ-: «أبي، أنا لم أَعُدْ طفلةً ... صحيح ... بلغتُ بالفعل النصف بعد عامي الثامن عشر ... مللتُ هنا، وأريد زيارتها أبي».

راين -بحزن شديد-: «حسنًا كما تريدين ... اعتذري لي منها حقًّا، أعتذرُ منك أنتِ أيضًا، يبدو أنني لن أستطيع توديعك عند سفرك».

روف: «حسنًا سأعتذر كثيرًا لها ... لا عليك، أعلم بمدى صعوبة عملك، لا بأس أبي» نطقتْ بها بصعوبةٍ بالغةٍ.

تمشي بجهة المصاعد، بعدما غادر والدها تنظر بأرجاء المكان، وتُحدِّد أماكن الحراس الذين قام والدها بتوزيعهم يَرتَدُون كالعاملين بالفندق، أخذت نفسًا وهي تنتظر وصول المصعد.

سمعَت أندريس الواقف بدَوره لكن بانتظار مصعد آخر: «ألكاي، ماذا تفعل؟ عُدْ بسُرعةٍ ... حسنًا أعلم ... ماذا؟ ... حسنًا خذْ بعضًا من الهواء النقيِّ بالأعلى، وعُدْ، لديَّ ما أخبِرُك به، لديَّ توضيحٌ لما يحدث ... سأكون بانتظارك».

دخلت روف، ولحُسن الحظ كانت وحدَها، تردَّدت كثيرًا لطلب الطابق، وبالأخير طلبت الصعود لسطح الفندق لتوقُّعها بوجودِه هناك.

بعد دقائق فتحَتِ الباب بهدوءٍ، توقَّفت وهي تسمع صوتَه الغاضب يُحدِّث الهاتف، أغمضت عينيها بندمٍ على صعودها.

لفَّت لِتغادر، ولكن أستوقفها صوتُه: «ماذا تفعلين هنا؟ وماذا تريدون مني؟!».

زَفَرَتْ، وهي تنظر له، ثم نطقت: «كنت تريد الذهاب لصديقك؟!».

نظر إليها، وقد ارتخت ملامحه بغرابة: «هل سمعتِ ما قلتُ؟! أو أقصد: هل فهمتِ شيئًا ممَّا سمعتِ؟!».

روف: «أجل، فهمتُ، هي لغتي الأم، توجَّب علينا الانتقال، ولكن لم أنْسَها».

ابتسم بسخريه: «هههه، هل في اللغات أمٌّ؟! يبدو أنه ليس هناك أمٌّ لي حتى في اللُّغة؟!».

- المهم، ماذا تريدين؟

روف: «أعتذر لفعلهم ذلك حقًّا!».

ألكاي: «عالم غريب حقًّا ... حسنًا يمكنك المغادرة».

روف نظرتْ قليلًا له بصمتٍ، ثم نطقتْ بتردُّد: «أتريد الرحيل ...» عقد حاجبيه «أقصد: أتريد الرحيل معي؟ لديَّ غدًا رحلة لبلدِك، وهي تشبّك يديها بشرحٍ، أقصد؛ لأنك ممنوعٌ من مغادَرة الفندق، فما بالك بالسفر؟».

ألكاي: «تقصدين: أن أسافر برُفقتِك، وهذا شيء لن يعتقدونه؟» وهي تهزُّ برأسها موافِقةً لكلامه «لكن لماذا تحاولين مساعدتي بينما والدك العكس تمامًا؟!».

روف: «تريد ذلك أم لا؟ لديك حرية القرار، أنا فقط أحاول مساعدتك حقًّا لا شيء آخر».

ألكاي لفَّ يحدِّق بما أمامه مبتعدًا عنها: «لا بأس، لا تحتاجين لفعل شيء».

روف: «هم سبعةٌ يرتَدُون كالموظفين ... بالردهة ... والبوابة ... بالقرب من المصاعد ... والاستقبال ... وغرفة المراقبة أيضًا ... يرتدون سماعات أذن مخفيَّةً بلون البشرة ... الهدف الأساسي وجودُك فقط حتى غرس الرقاقة بدماغك».

ألكاي ينظر لها بتعجُّبٍ وطيف ابتسامةٍ على وجهه: «ابنة والدها حقًّا!».

بصوتٍ غاضبٍ: «لا تربطني به، أنا لا أُشبِه أحدًا سوى نفسي، وبالكاد تحتملني» ... والتفَّتْ مغادِرة.

وقالت -بعدما زَفَرت بهدوء-: «حسنًا أكره كونك مستعبَدًا من الجميع ... الليلة بعد منتصف الليل، عند تبديل المراقبين مع مخرج السيارات ... تجدني بالرقم (9).

صمت ألكاي بدهشة من غضبها، ثم شرْحِها لطريقة المغادَرة بكلِّ بساطة.

بعد ذَهابِها استمرَّ بالتفكير، هناك شيء يُقلِقُه، وهناك جانبٌ منه يريد الثقة بها، الأكيد أنها ليست بفتاة عاديةٍ! وليست بذلك السوء.

-الساعة الثانية عشرة-

خرج من غرفته بعد ترْك رسالةٍ لأندريس النائم بغرفته هو الآخر.

زفَر بعد إغلاقه الباب.

تلفَّت يمينًا وشمالًا، وتقدَّم.

وعند اقترابه من المصعد ... سَمِع صوتًا يقترب لأحد الحراس ... دخل بسرعةٍ لمخرج السلالم، زَفَرَ وهو يتكئ على الباب ... أحنى رأسه مع فتحة السلالم: «أووووف، أظن أنه أفضل لو ذهبتُ للمصاعد».

بعد القليل من الوقت، أطلَّ برأسه ثم تقدَّم، وقام بطلب المصعد، وذهب يعلم أنَّ الكاميرا تلتقط تحرُّكاتِه.

عند نزوله توجَّه للمَخرَج المحدَّد بسرعةٍ.

توقَّف بالعمود التاسع ونظر للسيارة: «أخ، حقًّا لا أعلم ماذا أفعل بحق ... وثقتُ بها، أتمنَّى ألَّا تُخلِفَ تلك الآمال ...»، ثم لحظة إدراك لنفسه، وعاد يسأل ذاته بغضبٍ: «هههه، أيُّ آمال قد وضعتَها؟ تذكَّر لن يُضحِّيَ أحدٌ لأجل

أحدٍ ...» صوتٌ يقترب منه: «هههه، يبدو أنك تتحدَّث لنفسك أكثر من تحدُّثِك مع الآخرين».

لفَّ ليرى رُوف تَقِف بالقرب منه، نطق بعد رؤيته للباسها الذي يشير وكأنها ذاهبه لاحتفالٍ ما ...

فَهِمتْ فحوى نظراتِه، قالت وهي مبتسمة: «هههه، لستُ بهاربةٍ كأحدهم يتوجَّب عليَّ الاستمرار حتى النهاية، ابنة أبي المدلَّلة، صحيح؟!».

نظر لنفسه، كان يرتدي الأسود بالكامل، كنزة ذات رقبة، مع بنطالٍ أسود، والمعطف أسود، بجانب الكاب الأسود، والنظارات الشفَّافة المُظلَّلة بخفَّة: «حسنًا، لا شيء مختلفٌ لي أيضًا، هذا طرازي أيضًا، لا أرتدي ألوانًا أخرى».

تقدَّمتْ لفتح السيارة، وبعد استقرارهم، نطقتْ بعد صمتٍ عند خروجهم تمامًا من الفندق: «حسنًا، أعلم أنك لا تثق بي ... لكن لا بأس .. آه أيضًا قمتُ بمحو كافة تسجيلات خروجِك من الفندق، بينما أبقيتُ خاصَّتي».

نظر لها -بصمتٍ وتمعُّن-: «من؟! وماذا تكونين؟!».

ابتسمت، وقد لمعت بعينيها دموعٌ، وهي تنظر بالطريق وهي تقود: «لا شيء سوى فتاةٍ تشتاق لحضن والدتها، لو كانت تحت التراب» ... صمَت بعد ملاحظته لرجفة صوتها، ثم نطقتْ: «وأيضًا فتاةٌ لم يَعُدْ يسَعُها العالم المترامي ...».

أرخى ملامحه، ثم أنزل رأسه ليتكئ به على مقعده: «لمَ ساعَدْتِني إذًا؟! لمَ حملتِ حملًا آخر؟!».

ابتسمت دون أن تلتفت إليه: «آه، حسنًا، أشفقتُ عليك».

تحرَّك بسرعةٍ، وتقاربتْ حاجباه: «ماذا؟».

روف تَلفِتُ له بعد توقُّف السيارة أمام المطار: «أجل ... أنا ...» بعدها قالت، وهي ترى الشخص الذي سيستلم السيارة يتقدَّم من بعيدٍ ... ونطقت بسرعةٍ وهي تسحب الذاكرة من الداش كام: «ترجَّل الآن واذهبْ إلى البوابة الأخرى، سألحق بك».

غادر وهو يشعر بالغضب ... ليس لشفقتها عليه دون معرفته لسببِها، ولكن لنفسه التي تتَّبِع أوامرها بصمتٍ!

روف تخرج من السيارة، وتقف بانتظار السائق الذي أرسله والدها لأخْذِ سيارتها، مدَّت المفتاح وهي تقول: «شكرًا لك سأدخل الآن ... يمكنك الرحيل».

السائق: «لا يا آنستي، سأدخل وانتظر معك حتى رحيلك».

روف أغمضتْ عينَيها بغضبٍ ونطقتْ: «أنا لستُ بطفلة، يمكنك الرحيل حقًّا ... ولكن اعلم أنَّ والدي هو من طلب ذلك، ليس لقلقه الشديد عليَّ، بل لعدم ثقته بابنته مع الأسف، لا بأس يمكنك مرافقتي ونقْل الأخبار له!».

صمت السائق خافضًا رأسه: «آنستي، أنا أثق بك ... ولكن أخشى ...» ثم بتردُّد: «أخشى غضبه لاحقًا».

صمتت روف وقد تسلَّل الخوف لها من فعل والدها به لو اكتشف شيئًا ما: «حسنًا، لنذهب».

دخلتْ وهي تشعر بالغثيان والخوف من رؤية ألكاي أمامها، زَفَرَتْ براحة بعدما كانت تشدُّ على حقيبتها عند عدم رؤيتها.

ودَّعت السائق وذهبت ...

بعد استقرارها بالمقعد بالطائرة، أتاها صوتٌ من خلفها: «أين ذهبتِ؟ هل تمَّت مراقبتك للحظة صعودك؟!»، أجابت دون أن تنظر للخلف: «أجل، تدبَّرتُ الأمر، سيرنُّ هاتفُك ... ذاك هو رقمي ... احتفظ به للحاجة».

ابتسم قليلًا، وهو يقوم بتسجيل الرقم.

.....

بعد خروجهم من المطار لفَّ ألكاي لها، وهي تهمُّ بالمغادَرة مع سيارة أجرة أخرى غير التي سيذهب بها، هنا تفترق طرُقُهم، ونطق -بتردُّد-: «شكرًا لك ولشفقتِك عليَّ!».

تكلَّمتْ بعجَلٍ: «لا بأس، أنا لا أشفق عليك الآن ... أشفق على ذلك الطفل الذي يتخبَّط ... أستطيع رؤيتَه بعينَيك!» وغادرت بعد قولها تلك الكلمات.

تنهَّد، وهو يسترخي بعدما أعطى السائق العنوان الذي يريد الذهاب له.

8. منعطفٌ حادٌّ

توجَّه لمنزل والده، اشتاق له، توقفَت السيارة، ونزل برفقة حقيبة الظهر خاصته.

تقدَّم ليفتح الباب، كان الوقت الثانية عشر صباحًا ... الرحلة استغرقت يومًا كاملًا، تسلَّل لكي يصعد لغرفته، وينام دون إيقاظهم، لكن استوقفه الصوت الصادر من المطبخ.

عقد حاجِبَيه، وكان سيكمل، لو لم يسمع ذلك الاسم الذي جعله يُغيِّر اتجاهه للمطبخ، ويقف بالقرب من الباب ... اسمُ والدتِه هو من ذُكِر!

والده وزوجته يتجادلان، لا يهمُّ، ولكن لما ذكرَاها توقَّف خلف الباب يسمع حديثَهم الذي جعل الدم يقف بعُروقِه، وتجحظ عيناه لهول ما سمع.

- اصمتي سيسمع الأطفال؟!

سونا: «ماذا يسمع الأطفال؟! قضيت عمري بصمتٍ، وأنا أحترِق بسببك وبسبب حبِّك عديم الفائدة ليمان، أرجوك ارحمني».

ليمان (والد ألكاي): «سونا، يكفي، ماذا تريدين أكثر؟! أنا أحترمُكِ وأقدِّرُكِ وأنتِ تعرفين ذلك!».

سونا تضحك بصوتٍ عالٍ، وهي توشك على البكاء: «لا تستطيع قولَها، صحيحٌ، عجزْتَ عن قولِها طوال السنوات الماضية، فقطْ سارَا فقطْ هي من استحقَّتْها منك، صحيحٌ، هي من قلتَها لها: «أحبُّكِ» سمعتها كثيرًا، لكنْ كانت لها فقط ... أخ، أنا حقًّا أكرهكم، أنتم أنانيون.

سارا حقيرة بالفعل، لم يكفِ سرقتُها لك مني، كانت تتحدث فقط عن حبكما وعشقِك لها، وكأنها تتفاخر، ثم عند رحيلها أخذت قلبَك واستوطنت بعينَيك» ... وبدأت تبكي، وهي تُدلِّك جبينها.

ليمان ينظر للأعلى بدموعٍ، وهو يلفتُ عنها، لكن قامت بلفِّه تُجاهَها بقوَّة، وقالت -وهي تصرخ-: «لا، لا، لا، لن تذهب هذه المرة، أعلم أن هذه الدموع المتجمعة بعينيك ستسقط على صورتها عندما تعتكف على نفسك، آاااه، وأين؟! تعتكف في تلك الغرفة التي لم يدخلها أحدٌ سواك، لن تغادر؛ لأن الحديث وصل لها.

أنا لمَ لا تحبُّني؟ ألم ترَنِي أوَّلًا؟ وأنا من تقرَّب إليك أولًا؟! ألا أستحقُّ؟! أنا أعطيتُك أكثر ممَّا تريد ليمان، أنا أنجبتُ لك ثلاثة أطفالٍ، بينما هي أنجبت واحدًا وتركتْه عالةً عليك، أنا اعتنيتُ بطفلِها رُغم كُرهي الشديدِ لها، فعلتُ كلَّ هذا لأجلك أنت؛ لكي تحبُّني.

أنا فعلتُ كلَّ ما لم تفعلْه تلك السارقة».

صرخ ليمان بقوَّة بعدما دفعها لترتطم بالجدار خلفها، وقد احمرَّت عيناه، وهذا شيءٌ جديدٌ تراه سونا منه.

- يكفيييييي.

وقال -وصوته يرتجف-: «ماذا ... ماذا تريدين مني أكثر؟ أنا تعيسٌ، ألَا ترَين ذلك؟! أاااه، أجل، أخذت قلبي، واستوطنت عيني، ماذا تريدين؟ ألم تَصِلي لمبتغاك؟! ألم تدخلي منزلَها، وتُصبِحي زوجتي، وتأكلي معي، وتكوني أمًّا لأطفالي؟! ماذا ... ماذاااااا تريدين؟

دعيها تنامُ بسلامٍ على الأقل أرجوكِ، ألم تكن يومًا أختًا لك؟!».

نظرتْ له، وهي تحاول تقوية نفسها: «ألكاي!!!!».

عضَّ على شفته السفلى، وهو يُحنِي رأسه، ويُغمِض عينَيه بعد أخذِه شهيقًا: «ماذا به؟!».

سونا: «انكِرْ أنك لا تحبُّه أكثر من أبنائي أيضًا، آه، تُعسَاء الحظِّ كما والدتُهم، ظننتُ أننا سنكسب خلفه الكثير، لكن لم نرَ قرشًا ممَّا تكسبه منه!».

اشتدَّ غضبه، وأمسك بفكِّها بقوَّةٍ، وهو يرفع صوته: «هو ليس بسلعةٍ سونا، هو ابني، فرحتي الأولى» ..... ولفَّ للمغادرة.

لكن استوقفه صراخُها، وهي تقوم بتكسير الأطباق من الخزانة ورمْيِها على الأرض، وتصرخ بهستيرية: «آاااااه آاااااه، قلها، قلها، هو ابنُها أيضًا»، وتعضُّ على شفتِها لمحاولة إيقاف رجفتها، «ألم يكْفِ اكتسابه كافة ملامحها، وكأنَّه يعاقبني على ذلك؟ آاه أكرهه في كلِّ مرةٍ يكون أمامك، وأنت لا تكفُّ النظر إليه، ولا ترفع نظرك عنه أبدًا، وكأنك تراها بجانبه».

تمسح دموعها بعنفٍ، وهي تقول: «هههههه، أتعْلم ماذا ستموت؟ وهو يمقُتُك ويراك الأبَ السيئ في نظره؛ لأنك تزوجت شقيقة والدته.

أعلمُ أنك مُجبَرٌ للزواج مني عندما مَرضْتَ أنت وهو صغير ... ويا ويلي، كنتَ مريضًا على فِرَاقِها، أنت مسكينٌ مجنونٌ، وهي تنحني وتُمسِك بركبتَيها ... آه آه، بسببك أنت، أنت السبب في كرهي لها، حتى هي سيئة كذلك.

أنا أحببتُك أوَّلًا، وهي أخذتك مني!

أتعْلم ماذا ألكاي سيتركك دون النظر خلفَه، ولن يرى ما فعلته له طوال السنوات؟

تريدُني أخبِرُه لكي يعود لك وهو كسيرٌ، هو لا يستحق ذلك، أقسم لك، نحن كالفقراء بسببك؟!».

اقترب وهو يقول: «هذا يكفي، أنتِ متعبةٌ، اذهبي للراحة».

اقترب ليُمسِك يدَها المجروحة، ولكن نفضَتْها منه: «دعني، ابتعِدْ عني، لا تقلق مع هذا كلِّه لن أُخبِرَه أنك تعطي أندريس كلَّ تلك الأموال رُغم عدم معرفتي لسبب ذلك، لا أريد أن تتركني بسببِه».

وتخطَّته وهي تبكي، وخرجت للخارج مع الباب الخارجي في المطبخ، خرج ألكاي مثلما دخل، وسار مبتعدًا، وهو يمشي شارد الذهن تحت تأثير صدمته، لا يعرف أين يذهب؟

بعد وقتٍ من المشي المستمر بالطريق، توقف بعد النداء المتكرّر عليه، توقَّفَ ليرى قائد سيارة الأجرة: «سيدي سيدي، هل أنت بخير؟».

قال، وهو ينظر بعدم تركيزٍ بما حوله: «هاه أين أنا؟» وأخذ يحاول التركيز.

السائق: «أنت بالطريق للغابة، وهي خَطِرةٌ بهذا الوقت من اللَّيل، هل أُوصلك لمكانٍ ما؟ يبدو أنك لست بخير».

أغمض عينيه عند معرفته للمكان، وأخذ نفسًا عميقًا: «حسنًا، لا، لا، أنا بخير، لا أعلم كيف قطعتُ كلَّ هذه المسافة حقًّا، وهو ينظر للساعة، إنها الثالثة صباحًا، هل يمكنك إيصالي إلى ... ؟».

- بالطبع تفضَّل.

.....

وقف أمام باب الغرفة في المزرعة، المدخل للمعمل.

الطقس دافئ نوعًا ما، لكن لا يزال يرتدي ملابسه الثقيلة، أخذ نفسًا عميقًا، ودخل بعد تأكُّده بعدم وجود أحدٍ، وعندما دفع الباب ليدخل المعمل بعد فتح كافة الرموز، زَفَر براحةٍ، لكن سرعان ما تبدَّل ذلك؛ لاستغرابه من حالة المكان.

اقترب للسرير، عقد حاجبَيه لرؤيته بعضًا من آثار قطرات القليل من الدماء الجافه، ابتلع غصَّتَه خوفًا لما فكَّر به.

اقترب من الكمبيوتر المرتبط بكاميرا المراقبة الموجودة بالمعمل، والتي تعمل بالذكاء الاصطناعي؛ حيث تبدأ فقط بالتسجيل عند فتح الباب الداخلي للمعمل، وجدها بدأت التسجيل بالفعل من لحظة دخوله، نظر للتسجيلات، وقام بفتح آخر تسجيلٍ، بالفعل كان إلياس!

ابتسم عندما رأى دهشته عند دخوله، زاد تركيزه عندما رآه يقترب من الظرف المُلصَق بشاشة أحد الأجهزة، أوقف الصورة، وقام بتقريب الصورة، واتَّضح له المكتوب: «لإلياس أندريس».

أرخى جسده للخلف على الكرسي، وهو يراه يقرأ محتوى الرسالة -الذي يجهله ولم يتضح بالتسجيل- اقترب بعدما قطَّب حاجبَيه، وقرَّب عينَيه للتركيز عندما رأى إلياس يقوم بالجلوس والزحف للخلف، ويرفع رأسه ويخفضه.
ارتخت ملامح وجهه حتى تقوَّست شفتاه من البكاء الذي داهمه وهو يشاهد حال إلياس.

توجَّه للسرير، ومرَّر يديه على الدماء الجافه، وهو ينتحب بشدَّةٍ على كلِّ ما مرَّ به صديقُه، وما مرَّت به والدتُه ووالدُه وهو أيضًا.

.....

في وقتٍ مبكِّرٍ من الصباح، فَزِعَ والده يركض بخوفٍ وهو يجاهد نفسه عندما رأى البستاني يبكي عند شخصٍ متمدِّدٍ أسفل شجرة الزيتون، وهو يقوم بهزّه.

جثا على ركبته بعدما أبعد عثمان، ويجذبه ليحتضنَه، وهو يتصفَّح ملامح وجهه جيدًا، ثم رفع عينيه يسأل.

البستاني (عثمان): «سيدي، استيقظت صباحًا ووجدته هنا بهذه الحالة، حاولت إيقاظه، ولكن لا فائدة من هذا».

زَفَرَ والدموع تتجمَّع بعينَيه: «احمله معي»، وعند اقترابهم من السيارة تراجع وهو يقول بعدما احتضنه نحوه: «اذهب وافتح الغرفة المخصَّصة للعائلة».

البستاني: «سيدي سأعينك بحمْلِه».

ليان -وهو يصرخ-: «لا تعينني، هو طفلي أنا، لا أشتكي حمْلَه، اذهبْ».

وضعه على إحدى الكنبات، وهو يلتقط نفسه لحمْلِه إيَّاه، ووحدَه، ثم طلب من عثمان عدم إخبار أحدٍ بوجوده؛ لأنه استنتج أنه قادِمٌ دون معرفة أحدٍ.

أخذ هاتف ألكاي، ولكن وجده مغلقًا.

زَفَر وأخرج هاتفه واتصل بإلياس، ولكن لم يجِبْ.

تراجع عن الاتصال بأندريس.

وبعد مرور الوقت ..... أندريس هو من اتصل به.

أجاب -بعد تردُّد-: «أهلًا أندريس! لم تتَّصل منذ زمنٍ، هل أنتم بخير؟».

أندريس: «هل هو بخيرٍ ليمان؟».

نطق بقلق: «ماذا تقصد؟».

أندريس -وهو يدور أمام نافذة الغرفة بالفندق، وهو يسمع باب الجناح يَطرُق- : «لا وقت لديَّ، أعلم أنه ذهب للبحث عن إلياس، لكن هل أصابه مكروهٌ، صوتك لا يبدو جيدًا؟».

تكلَّم، وقد تغير صوتُه وبدأ بالبكاء: «هو لا يستيقظ من الصباح أندريس، إنها السابعة مساءً الآن! ماذا أفعل؟ أرجوك ساعدني» وبدا بالبكاء الشديد.

أندريس -والقلق والخوف يعترِيانِه- قال -وهو يدلِّك جبينه عدة مرات ويقبض على يديه بشدَّة ويأخذ شهيقًا عميقًا-: «حسنًا، أَوجِدْ إلياس حتمًا، هو وحدَه من يستطيع فتْحَ المعمل لِيَجِدَ الحقنة، لم يأخذ أيًّا من التي هنا ... سأغلق ... لا وقت لديَّ ... أنا الذي سأتصل ... حسنًا .... أنت لا تتصل بي».

وقف وهو يقول: «انتظر أين أجِدُه؟ أنا ليس لديَّ أيٌّ منها، فقد أخذها قبل سفره؟».

قال أندريس قبل أن يُغلِق: «لا أعلم، اسأل ماريا، علَّه تواصل معها، وأيضًا لا تقُمْ بتشغيل هاتف ألكاي أبدًا حتى أُخبِرَك».

اقترب منه، وتلمَّس جبينه، ووجده قد ارتفعت حرارته.

بدأ بعمل الكمادات الباردة للتخفيف عنه، وعندما انتصف الليل ازدادت حالته سوى غير أنه لم يستيقظ إلا أنه بدأ بالانتفاض لشدة حرارته.

ارتفع الرنين الصادر من المعطف المُلقَى على الكرسي، اقترب وأخرجه، قلَّبه بين يدَيه، يبدو أنه ابتاع هاتفًا آخر!

نظر طويلًا بشاشة الهاتف، وهي تضيء باسم المتصل (الثلاثة الأحرف) قطَّب حاجبَيه، وقام بفتْحِه دون أن يتحدَّث.

- يا طور القمر!

ليمان أغلق بسرعةٍ، ولكن عاد الاتصالُ مرَّةً أخرى، وأجاب، ولكن قبل أن يتكلم: «ألكاي، هذا أنت صحيح؟ هل وصلتَ بسلامٍ؟!».

نطق ليمان، فهي تتحدَّث بنفس لغته: «من أنتِ؟!».

روف -بتوتُّر-: «أنت الذي من تكون؟! هذا هاتف ألكاي!».

ليمان: «أعرف ذلك، لكن هو لا يستطيع الإجابة، كيف عرفتِ بقدومه؟!».

روف -بقلقٍ-: «أنا ... أقصد: هل أنت والده؟!»، أجابها لتُكمِل.

روف زَفَرَتْ: «آه، حسنًا، أين هو الآن، يتوجَّب علينا الرحيل قبل العملية كما يريد».

ليمان: «اعتقد أنه لن يستطيع ذلك».

روف: «ماذاااا؟! ولما؟ هل هو بخير؟».

ليمان: «حسنًا، هل تعرفين إلياس؟! أو أين يكون؟».

روف -وهي تُغمِض عينيها لرؤيتها هاتفها الآخر يرنُّ باسم والدها-: «اسمع، هل يمكنك إرسال العنوان لي بسرعةٍ».

وأغلقت وأجابت على والدِها الذي نطق بسرعةٍ: «رووووف، أين أنتِ الآن؟ قولي: إنك ما زلتِ هناك أرجوك؟!».

روف -وهي تقطِّب حاجبَيها رُغم توقُّعها لما يريد: «أنا بالمطار، استعدُّ للمغادَرة، رحلتي بعد ساعة، لماذا؟! هل ...».

قاطع والدها حديثَها وهو يقول: «آه، جيد، اسمعي إذًا ... الفتى ذهب، ابحثي عنه!».

روف -وهي بالتوتُّر-: «أي فتًى أبي؟! ولمَ أبحث عنه؟!».

والدها -زَفَرَ بغضبٍ-: «ومن يكون؟! ألكاي، أتصدِّقين أنه غادر قبلك بساعة فقط؟! لا بدَّ من قدومه، ستتأخَّر الجراحة ليومين فقط، لا أستطيع أكثر من ذلك، أنا أرسلت لك أحدهم، سيصل غدًا، ويساعدك بالبحث، لديه كافة العناوين والتفاصيل، اذهبي للراحة الآن».

روف - بخوف نطقت بصعوبة -: «أبي، لا أريد البقاء، ولا البحث عن أحد، ألَمْ تُرسلْ أحدهم؟! إذًا يكفي!».

نطق وهو يَكبِتُ غضبه: «روف، أنا أعتمد عليكِ، لا تعاكسي كلامي، غدًا خُذِيه من المطار، وسيخبرك بالتفاصيل، تأكَّدي أن الجميع هنا غاضبون ويعتمدون عليك، لا تقلقي أيضًا، البروفسور تحت المراقبة والحجر القسْري حتى عودته!».

أغلقت وهي تغطي وجهها بكلتا يدَيها، وتنحني على الحقيبة: «آاااه، ماذا سيحدث الآن؟».

9. عدٌّ تنازليٌّ

رفعت الهاتف بسرعةٍ عند وصول رسالةٍ تَحمِل العنوان.

ليمان لا يعلم بمن يثقُ؟ ومن تكون؟ ولكن يعرف الخوف الذي تمكَّن منه حتى أصبح يسمع صوته يتجلَّى بجسده، بقلبِه، الذي أصبحت تُسمَع ضرباتُه جيدًا، وجسده الذي ينتفض وكأنه مصابٌ بالحمَّى أيضًا حتى أن حنجرته جفَّت، ولم يَعُدْ يستطيع التحدث.

بعد نصف ساعة، طرقت روف الباب بعد إيصال عثمان لها الباب.

فتح الباب، نظرتْ لذلك الرجل الذي سكن الخوفُ والقلقُ والحزنُ والفراقُ عينيه، صمتتْ في وسط حديثها عندما تخطَّته لرؤيتها ألكاي.

ثم التفَّت تُجاه والده بالاستفسار؟!

نطق -وهو يرتجف بعجز-: «عندما يفقد وعيَه ترتفع حرارتُه بشدَّة»، اقترب وهو يرفع يدي ألكاي، وهو يجهش بالبكاء: «هو يزداد سوءًا، ازرقَّتْ أظفارُه، لا أعلم ماذا أفعل، أندريس منعني الاتصال به، وإلياس لا أعلم أين يكون؟ لا أريد فقدانه» ويبكي بضعفٍ بعدما جلس على الأرض متكئًا على الكنبة.

روف - وهي تبتلع ريقها-: «أندريس لن يستطيع التحدُّث معك هو ... هو ...»، رفع عينيه لها: «هو تحت الحجر القسري، يعتقدون أنه هرَّبه» ... أغمض عينيه.

الآن، ما الذي سيخفِّف الحرارة؟!

ليمان -بأسًى-: «الحقنة».

روف -بدهشةٍ وفرحٍ-: «إذًا، أين هي؟ أستطيع حَقْنَه بها، أنا متخصصة بدراستي علم الأدوية والعقاقير، يمكنني ذلك».

ليمان – بحزنٍ-: «لا يوجد حقنة، ليس لدي، من يصنعها فقط أندريس! ولا يوجد لديَّ منها! الكمية المتبقِّية منها لا يَعرِف مكانها سوى ألكاي، أو إلياس، أو أندريس».

بتنهُّدِه، والدموع تحتشد بعينيه: «كلُّ شيء زائدٌ لديه، حتى مرضه به الزيادة».

روف تحاول تهدئة نفسها بعد تفحُّصِها لشكله ويدَيه التي تتَّضح بها خطورة وضعه؛ حيث شحب وجهُه، وهو يتصبَّب عرقًا، وازرقَّت شفتاه، ثم نطقتْ وهي تقف وتجمع شعرَها للأعلى، وتقوم بسحب الحقيبة المخصَّصة للإسعافات الطبية: «سوف أرى ما يمكن أن يساعدني بها! حسنا سيتحسن أنا متأكدة، يمكنك الذهاب للبحث عن صديقه، سأبقى بجواره، لا تقلق سيدي!».

نظر إليها ثم وقف وهو يقول: «حسنًا، متأكِّدةٌ أنه سيصبح بخيرٍ، صحيح؟!».

أومأت برأسها إجابةً له.

سأذهب سريعًا لمنزل أندريس، وأبحث عن إلياس، لربَّما أجِدُه، لن أتأخَّر، إذا حصل شيءٌ أخبريني.

- بعد مغادرته -

جلست بالكنبة المجاورة لرأسه بعد تركيب الأوكسجين عليه وتوصيل التغذية الوريدية.

زفَرتْ، وهي تنظر إليه: «آاه، يا طور القمر، ماذا أفعل؟ أنا هنا! أأنت ابتلائي؟!».

بعد ساعةٍ زادت حالته سوءًا.

روف تنظر لوالده الذي عاد خاوي اليدين، ولم يجد شيئًا وهو حزينٌ بشدَّة: «هل هناك طريقةٌ تُمكِّنني من صنع الحقنة سيدي؟!».

نظر إليها بعينين تفيض من الأمل: «آاااه، لا أعلم، ربما يكون هناك طريقة واحدة، حسنًا ربما توجد طريقةُ صنعِها والمحتويات، بمكتب أندريس الخاص بمنزله، فهو بدأ صنعها أول مرة به! وكان يصنع منها غالبًا بمنزله».

وقفتْ بسرعةٍ: «حسنا سأذهب، أين هو؟!».

ليمان: «بمنزله، ولكن مقفلٌ، والمفتاح مع ماريا على ما أعتقد، هي لا تزال بالمنزل، بعد بحثِنا عن الحقن اذهبي»

- «أنا لن أستطيع تركَه».

.....

تقدَّمتُ للخروج بعد أخْذِ العنوان، واتصاله بماريا، وطلبها أن تبقى تنتظر بالمنزل، ولكن استوقفها وهو يقول: «هل ستفعلين حقًّا؟! حلَّ الصباح بالفعل، أنا قلِقٌ بشدَّة».

((لتلاشي الخوف يكفي أن تسقط بأيدينا بقعة من ضوء الأمل)).

اقتربتْ منه، ثم نطقتْ، وهي تأخذ شهيقًا وتنظر لألكاي من خلفه: «أجل، سأفعلها، أرجوك، تمتم فقط بالدعوات الصادقة لنا».

- إذا حصل أيُّ شيءٍ أي شيءٍ أخبرني، حسنًا، سأحاول ألَّا أستغرق الكثير من الوقت.

ماريا تفتح القُفل للمكتب، وهي تلتفتُ لروف الواقفة خلفها، وتمسح دموعها بقلق: «هل سيتعافى؟ صحيح!».

روف تضع يديها على كتفيها وتبتسم: «أجل، سيكون بخير، ويعود ذلك المشاكس مرَّة أخرى».

ابتسمت ماريا: «حسنا، كما تقولين، أنا واثقه بذلك».

وتنظر لها بعدما دخلتا المكتب: «يبدو أنه وُجِدَ شخصٌ يَثِقُ به غيرَهم، حمدًا لله على هذا».

- سأكون بالداخل إن احتجتني، حسنًا.

أغلقت روف الباب بعد خروج ماريا، واتَّكأت عليه وهي تتنفس بقوة: «آاااااه، أتمنَّى أن أنجح حقًّا، آاه، هو لا يثق بي ماريا، لكن لا بأس».

بعد البحث وجدتْ روف مُخطَّط صنع الحقنه والأدوات، واستعدَّت لصُنعِها، ولَبِسَت الملابس المخصَّصة والماسك والقفازات.

وبدأتْ .....

مرَّ الوقت ولم تنتبه له، طُرق الباب وخرجتْ من خلفه ماريا، وهي تقول - بعد رؤيتها لروف تجلس أخيرًا-: «هل انتهيتِ؟ هل تريدين شيئًا؟!».

روف: «آه، حسنًا، انتهيت أخيرًا، أتمنَّى ألَّا أكون استغرقتُ الكثير»، والتقطت هاتفها، وقفتْ بسرعةٍ، وهي مصعوقةٌ لاستغراقها كلِّ هذا: «ماذاااا؟! ستُّ ساعاتٍ! لا وقت لديَّ، وهي تقوم بتجميع كلِّ شيء، لكن

اصطدمت بقِنّينةٍ بها محلولٌ لم تستخدمْه، وانسكب القليل على آخر باطن يَدِها بمكان النبض بيدها اليمنى: «آاه» وتنفض يدها.

وتضع الحقنة بالحقيبة المثلَّجة.

نظرت لماريا، التي تقدَّمت نحوها بسرعةٍ، بخوفٍ وهي تقول: «يا ويلي! هل احترقت؟!».

هزت رأسها برفضٍ، لكن لم تُكمِل إلا وماريا تُبلِّل منديلًا وتضعه على كفها بعد إمساكها لها: «لن يؤلمك كثيرًا»، وهي تتفحص اسم المركب، ولكن سيسبب ندبةً على ما اعتقد، على حسب معلومات طبيبة سابقة.

روف -وهي تقبض يدها على المنديل-: «هل يمكنني طلب شيء منك؟».

ماريا تبتعد قليلًا، وهي تشير برأسها بالموافقة: «لك ما تريدين».

روف -وهي تأخذ نفسًا-: «حسنًا يمكنك إعادة المكان كما كان قبل قدومي، وأيضًا لا أريد لأحدٍ المعرفة بهذا بتاتًا، أرجوكِ ماريا».

ماريا تُقطِّب حاجبَيها بعدم فَهْمٍ: «ماذا! لمَ ذلك يا صغيرتي؟!».

روف تُقطِّب شفتَيها: «لسببٍ ما، صدقيني، هذا أفضل حقًّا».

ماريا شعَرتْ أنَّ هناك أمرًا لا تريد أن تقوله وتفهَّمت: «حسنًا كما تريدين».

روف تنظر لها بالامتنان: «شكرًا لك، سأرحل الآن، ليس لدي الكثير من الوقت»، ودَّعت ماريا وشكرتْها، وذهبت لمكان ألكاي.

أعطته الحقنة بكلِّ توتُّرٍ وقلقٍ وخوفٍ.

نظر لها ليمان بعد مرور ساعة على ذلك: «يمكنك الذهاب والراحة، أنتِ متعبةٌ بحقٍّ، وقد بدأت حالتُه بالاستقرار، وإذا استيقظ سأخبرك، لعلَّه يستطيع شكرك بطريقةٍ أفضل مني!».

ابتسمتْ روف: «حمدًا لله على ذلك»، وبعدها تذكَّرت والدها: «حسنًا سأذهب الآن - وبتردُّد - ولكن أنا لا أريد له المعرفة بذلك أرجوك».

ليمان: «ما هو الذي لا تريدين له معرفتَه؟! أعتقد أنك تعرفين ألكاي، سيسأل عن كلِّ ما حدث؟!».

روف تُغمِض عينيها: «آه، سيدي، أخبره أنك وجدت الحقنة، وإلياس سيخبرك بكلِّ شيء، سأذهب لديَّ الكثير لفعلِه، أتمنى له الشفاء».

ألقتْ نظرةً أخيرةً له وذهبت.

.....

10. خلْف الأبواب

((حتى تلك الأبواب المُغلقة، والتي استنزفنا أنفسنا لمحاولة فتحها، نظنُّ أنها تَحبِس خلفها أحلامنا، نحن لسنا أمامها بالأساس، ما تخفي لم يكن سوانا نحن)).

دخلت غرفة الفندق التي أخذتها بعد اتصال والدها، تمشي بسرعةٍ، وهي ترى شاشة هاتفه الموصول بالكهرباء تُضِيء، اقتربت وهي تلتقط النفس وتجيب: «أهلًا أبي!».

والدها بغضبٍ: «أين أنتِ؟ كم مرَّ وأنا أحاول الاتصال بك، ولا تُجيبي، ولا تزالين بالفندق إلى الآن؟!».

روف: «اعتذر بصدقٍ أبي، بعد اتصالك كنتُ مُمتعِضةً لبقائي هنا، وأيضًا هاتفي انتهى شحنُه، ونمتُ وأنا انتظره موصولًا بالطاقة».

والدها: «حسنًا، حسنًا، استيقظت الآن؟ اذهبي، فَرِيدِي على وشك الوصول».

روف -تَزفِر بعد إغلاق المكالمة، وترمي بنفسها على السرير بتعبٍ-: «هو لم يقُلْ تناوَلِي الطعام قبل ذَهابك، هههه، هذا لا يهمُّ روف، اذهبي قبل أنْ تستسلمي للتعب».

روف، وهي تخرج برفقة فريدي -مساعد والدها الموثوق فيه- من المطار: «هل نمرُّ بالفندق لترتاح؟».

فريدي: «لا، لا، لقد أخذت الراحة الكافية بالفعل في أثناء الرحلة، أنا مستعدٌّ للبحث»، ويقوم بمناولتها ورقةً بالعناوين المحتملة للبحث.

ابتلعت ريقها، وهي تقول بنفسها: «أنا التي أريد الراحة».

ثم نطقتْ، وهي تخفي توتُّرَها عند رؤيتها للعناوين التي تعرفها جيدًا: منزلَي أندريس وليمان، وجميع ممتلكاتهما، ومن ضمنها بستان الزيتون!

- من أين سنبدأ إذًا؟

فريدي: «بالطبع من منزله، ثم بستانهم، وأخيرًا منزل أندريس».

روف -بتردُّد-: «لنبدأ بمنزل البروفيسور أوَّلًا».

فريدي: «هل هناك ما تعرفينه آنستي؟».

روف -تبتسم وهي تُميل رأسها-: «لا، اعتقدتُ، لربما ذهب لصديقه!».

فريدي -باقتناع-: «أجل، أنتِ محقَّة، هيا لنذهب».

.....

يقوم فريدي برنِّ الجرس لمنزل أندريس ويتراجع للخلف قليلًا.

روف تشدُّ بيدِها على الحقيبة عند فتح الباب.

خرج إلياس، وهو يقوم ببعثرة شعره مُغلِقًا إحدى عينيه، ويرتدي بجامته، ويبدو أنه نائم من هيئته: «تفضَّل، من تريد؟!».

روف تنظر إليه بصمتٍ، فيما نطق فريدي: «هل أنت إلياس ابن البروفيسور أندريس؟!».

إلياس -وهو يعتدل ويقوم بفتح عينيه جيدًا-: «نعم أنا ... من أنتم؟»، ويوجِّه نظره لروف التي لم تكن مركِّزةً، كانت تُحدِّق بالشامة في أعلى عُنقِه، وبعض الآثار بأسفل رقبتِه من الجهة اليمنى، وكأنها آثار جروحٍ مُتعمَّدةٍ.

ارتبك وهو يقوم برفع الهودي وإغلاقه جيدًا ليغطِّيَ رأسه ورقبته.

روف التي انتبهتْ تعدَّلتْ، وهي تقول: «أنا روف راين، وهذا المساعد فريدي».

إلياس -وهو يقاطع حديثها-: «روف راين ... روف راين .... هل ... هل أنتِ ابنة البروفيسور راين رئيس مركز الأبحاث؟!».

فريدي وهو يُمسِك مِقوَد الحديث: «أجل، السيد ألكاي هرب قبل العملية بيومين، ونحن موكَّلون بإعادته هناك، الرجاء التعاون معنا».

إلياس يرفع حاجبه الأيمن: «أندريس أبي، أين هو إذًا؟».

فريدي: «ينتظر هناك هو بدوره لم يكن يعلم بنواياه بالهرب؟!».

إلياس: «كررت كلمة الهرب؛ إذًا بما يمكن أن أكون متعاونًا مثلًا؟ بينما أبي هناك لديكم، وألكاي لا تعلمون أين هو ... أنا ما هو دوري؟!».

روف: «نفترض أنك أول شخصٍ سيقابله عند عودته، أليس هذا صحيحًا؟».

إلياس: «هههه، قلتها بنفسك سيدتي (يُفترَض!) لكن كما ترَون، وصلتُ لتوّي من رحلةٍ طويلةٍ، أيقظتموني بالفعل، ولا أعلم بتاتًا: أين يمكن أن يكون ألكاي حقًّا، وأيضًا، لم يتواصل معي مطلقًا.

وجدتُ له اتصالات فائتة، ولكن لم أقابِلْه حتى الآن، هل تريدون شيئًا آخر؟» كاد أن يُغلِق الباب لولا منْعُ فريدي له بعد إمساكه للباب.

إلياس -بتعبٍ-: «ماذا؟!».

فريدي: «هل تُمانِع لو بحثنا في منزلك، نحن حقًّا مُجبَران!».

إلياس -وهو يقوم بحكِّ أسفل رقبتِه من على الهودي-: «أعلم أنك لا تصدِّقُني، حسنًا، لك ذلك، ولكن لا تتأخَّرا، وفتح الباب، وهو يرافقهم بكافَّة المنزل حتى صعدوا الطابق العلوي، وقام بفتح غرفته، ولكن استوقفتْه صرخةٌ داخل الغرفة، ممَّا جعله يدفعهم، ويدخل، ويغلق الباب متجاهلًا طرْق فريدي.

إلياس، وهو يُمسِك يديها ويدفعها على الخزانة، وهو رافعها للأعلى بما فيها من صُوَرٍ، ويتنفس بسرعةٍ وغضبٍ، أصبحت تشعر بالخوف وهي مُغمضةٌ عينيها، وهو يقول بهمسٍ غاضبٍ: «ماذا تفعلين هنا؟ كيف تجرَّأتِ إيفا؟ كيف؟!».

إيفا تتألَّم من قبضته على يدها، وتحاول التفلُّت من يديه، ولكنه قام بتثبيتها مرَّةً أخرى على الخزانة بقوَّة، وهي تتأوَّه عندما ارتطم ظهرُها بقبضة باب الخزانة: «آاااه، إلياس، أرجوك أفلتني ... أنا أنا أنا أتيت بسبب أمي ...» وتنجح وهي تنسحب من يديه عندما قالت بسرعةٍ: «البااااب»، والتفتَ تُجاهَه وتقدَّم، وهو يفتحه بقوَّة: «مااااذا؟!».

فريدي يدفعه بسرعةٍ ويتقدم للداخل، ولكن توقف وهو ينظر لروف التي تقف بالقرب من الباب بعدما ابتعد إلياس للداخل، ثم ينظر نحو إيفا التي كانت مرتبكةً وهي تقوم بإخفاء يدها خلفها، وهي تتألم: «من أنتِ؟!».

إلياس: «لا شأن لك، ليست ألكاي، صحيح؟!»، وينظر إليها وهي تَكبِتُ ضحكتَها من شكله الغاضب.

إلياس يرفع حاجبه لها، ويحدُّ نظره لها، وهو يشير برأسه بتوعُّدٍ.

فريدي: «من تكونين يا آنسه ...؟ وهل تعرفين ألكاي؟!».

إلياس أراد الحديث، ولكن قاطعت إيفا حديثه: «مرحبًا، أنا إيفا، أعتذر، أتمنَّى ألا يحدث سوءُ فهْمٍ، أنا أكون خطيبة إلياس، وقد عدْنا لتوّنا من رحلةٍ، ولا أعرف ألكاي معرفةً شخصيةً».

إلياس؛ جحظت عيناه بدهشة، ثم يغمضها وهو يَكبِت غضبَه، بالطبع لم يكن ليتوقَّع ما قد تفعلُه بعد إيجادها بغرفته، وتفتش بين صوره.

ابتسم -بغضبٍ-: «هل هناك شيء آخر؟ يمكنك البحث عنه بمنزله، صحيح، لا أعتقد أنه كان من المحتمل أن أخبِّئه بجوارها، صحيح -وهو يشير إلى إيفا- وقد اقتحمت المكان بالفعل، يمكنكما المغادرة».

روف تنظر لإيفا المتَّضِح عليها التوتُّر، ويبدو أنها لا تريد رحيلهما وبقاءها وحدَها، وهي تقول: «يبدو أنكم أتيتم من مكانٍ بعيدٍ، هل أُحضِر لكما شيئًا؟».

إلياس يقترب وهو يشدُّها من كتفِها لجواره ويضغط عليه ويبتسم: «إيفا تحب الضيوف بشدَّةٍ»، وينظر لها بابتسامة، وهو يُمسِك بفكها بشدَّة: «حتى نحن أتينا من مكانٍ بعيدٍ عزيزتي، ونريد الراحة، ألم تكوني تتجهَّزين للنوم بعد ترتيبك للحقائب؟!».

إيفا -وهي تضغط على شفتيها وتهز رأسها-: «أجل».

ذهب إلياس برفقتهم حتى ذهابهم، عاد وهو يقفز على السلالم بسرعةٍ حتى دخل الغرفة، ووجدها متقرفصةً على نفسها خلف السرير، وتنظر مع النافذة، تراقب سيارتهم وهي تغادر، ولكن تحركت لتقف بسرعةٍ، وهي ترى ظلاله تقف خلفها، وهي تتراجع حتى ارتطمت بالنافذة، وهي تقول بسرعةٍ وباستمرارٍ: «اسمعني أولًا أرجوك، أعلم أنك غاضبٌ، ومعك الحق الكامل في ذلك، وذلك لأنني اخترقت خصوصيَّتَك وعبثت في حاجيتك، بينما لم تكن في المنزل، وبينما كنتُ أبحث عن أدوية أمي التي تركَتْها بغرفتِك عند أخذِها قسطًا من الراحة فيها يوم أمس، رُغم أنني لا أعرف سبب ذهابها فهي لم تخبرنا بسببٍ واضحٍ لِذَهابها كعادتها، وأيضًا لم أكن أعلم أنك ستصل اليوم، وأيضًا ....».

إلياس -وهو يشير بيده-: «اصمتي، اصمتي، حسنًا التقطي النفس قليلًا، أووف، لا تزالين كما كنتِ عند توتُّرِك تستمرّين وتستمرّين».

تنظر إليه بعدما أغلقت فمَها بيدِها بحرجٍ.

بينما هو ارتخت كافَّة ملامحِه، وزال غضبه عندما دخل ووجدها تجلس بخوفٍ خلف السرير تُعطِي الباب ظهرَها، كما كان يفعل عند خوفِه منذ أنْ كان صغيرًا.

11. ذكرياتٌ زجاجيةٌ

ابتعد وهو ينحني ويلتقط الصور، ويقوم بتجميعها وإغلاق الخزانة، التفتَ إليها وهو يقول: «ماريا لمَ أتتْ بالأمس إذًا؟!».

إيفا، وهي تتقدَّم منه وتُحدِّق بالأثر على رقبته بعدما خفض الهودي عن رأسه: «لا أعلم، كما قلتُ لك، ولكن ما هذه الآثار؟».

إلياس -وهو يقوم بدفعها للخارج-: «اذهبي قبل أن أغيِّر رأيي في مسامحتك، يبدو أنك عشتِ الدَّور -ويرفع حاجبه- لستِ تعنِينَ شيئًا لي، اذهبي الآن، وتعرفين أنك لن تَنْجِي مرَّةً أخرى لو فعلتِ ذلك، صحيح!».

إيفا: «حسنًا، لا تزال كما أنت أيضًا، الفتى المتغطرس»، وتغادر ....

وقف حتى سمع إغلاقَها لباب المنزل، وهو يتقدم من المرآة، وينظر وهو متكئ بيدَيه على المنضدة أسفل المرآة، مرَّر يدَه على الآثار التي سبَّبها لنفسه في كلِّ مرةٍ يحاول منع نفسه من نوباته وتهدئة نفسه في توتُّرِه أو قلقه، ولكن مع الاستمرار في تجريح رقبته بيده تركتْ آثارَها السلبية على نفسه وعلى مظهره.

وهو يَزفِر، ثم مرَّرَها، وهو يرتجف على شامته أعلى رقبته، أسفل فكِّه التي كان يغطِّيها بلباسه الهاينك (ذات الرقاب من الملابس).

ثم زَفَرَ بشدَّةٍ، وهو يرتجف، ويقوم برمي كلِّ شيء على المنضدة وهو يصرخ، ويقوم بضرب المرآة من منتصفِها لتجْرحَ يدَه بذلك دون أن يهتمَّ، هو ليس بحاجة للزيادة بهذه الذكرى التي تداهمه في كلِّ مرةٍ يرى هذه الشامة، لديه ما يكفي بالفعل؛ والده، وألكاي، والكثير، رمى بنفسه على السرير، وهو ينظر للسقف حتى نام أخيرًا.

((الشامة: هي العلامة المشتركة بين التوءم، والتي كان يعجبه بشدَّة امتلاكُهما لها، والتي بدورها تُشبِه القلب الصغير الذي لطالما اعتقدا بصغرهم أنها إهداء الملائكة لهما لجمالهم، كما فسَّرتْها والدتهم لهم عند سؤالهم عن سبب امتلاكها لكليهما، كانت ستبقى كما كان تفسيرها وروعتها، لو لم تكن آخر ما رآه من جمانَ بحجْرِ والدتها، وهي قد أخفت الدماء جمالَها ...)).

- أصبح برؤيته لشامته يرى الدماء عليها؛ لذلك يغطيها على الدوام.

.....

بستان الزيتون هو المكان الذي وصفته زوجة ليمان لهم ليبحثوا عن زوجها به بعد قولها: «إنه غادر له على عجلٍ الليلة الماضية».

فتح ليمان الباب بعدما سمع الطَّرْق، وهو يحمل بيده وعاء الماء لتغيير الكمادات الطبية.

روف تنظر له بالكثير من الأسئلة التي توقَّف لسانها عن نطقها.

فريدي -وهو يركِّز بنظره على الوعاء، ثم يَنقُله له-: «سيد ليمان؟ صحيح!».

- أجل، تفضَّل!

- هل استطعت لقاء ألكاي؟!

رفع حاجبه: ماذا تقصد؟! أين هو؟

فريدي -يضحك بغضب-: «هل تريد مني التصديق أنَّ هذه الكمادات ليست له مثلًا؟».

- «ألكاي أين هو الآن؟» فريدي وهو يدفعه ويتقدم للداخل.

نظرت روف بسرعةٍ إليه وأشار بعينيه لطمأنتها.

فريدي يتقدَّم من الشخص النائم على الكنبة، وعلى رأسه كمادات تُغطِّي حتى عينيه، ثم رفعها ويلف تجاه ليمان: «من هذا؟!».

ليمان: «أجِبْنِي أولًا: ماذا تقصد بمعرفتي لمكان ألكاي؟».

روف -وهي تتقدَّم وتتلمَّس جبين عثمان المستلقي-: «آوه، يبدو مريضًا، خذه للمشفى.

سيد ليمان، كما تعرف، العملية كانت قبل يومين، ولكن هو غادر قبلها بيومين، ممَّا يعني أنه مختفٍ لمدة أربعة أيام، هل حقًّا لا تعرف؟! وذلك بسبب أنه من الأفضل ألا يُضيِّع الوقت، فهو ليس لصالحنا ولا له».

فريدي: «أجل كما تقول الآنسة، نحن مُرسَلان من رئيس مركز الأبحاث، هل تمانع لو قمنا بالبحث بالأرجاء؟!».

ليمان جلس على الكنبة المجاورة: «عدنا لتوِّنا من المشفى» وهو ينحني للأمام ويغطي وجهه، ويقول وهو يشير لهم: «حسنًا حسنًا، اذهبوا ابحثوا كما تشا...».

.....

بعد البحث المستمر بالبستان توقَّف فريدي أمام الغرفة الخلفية، حاول فتحها، ولكن قام بدفْعِه بشدَّة حتى فتح، دخل هو وروف للمكان الذي كان نظيفًا ومليئًا بسلَّات الزيتون التي رُتِّبت بجوار الجدار حتى غطت الستارة ورف الكتب والكثير من معدَّات الحصاد المختلفة.

روف: «يبدو كمستودع للبستان ...».

فريدي، وهو يقترب ويقوم بضرب الجدران بيده.

روف –باستغراب-: «ماذا تفعل الآن؟!».

فريدي -وهو يشير بيده لتصمُت-: «انتظري .... حسنًا لنغادر».

.....

روف بالسيارة: «ماذا الآن هل تبخر؟».

فريدي -وهو يرخي جسده خلف المقود، ويحدثها بالمقعد الخلفي-: «آاه هناك ما يحدث، حسنًا لم أثق في أقوال ابن البروفسور، أما والده يبدو أنه حقًّا لا يعلم، سوف أوصلك للفندق، وأذهب لمراقبة ابن الرئيس، سيتواصل معه بالتأكيد».

روف -وهي تبتلع ريقها وتغمض عينيها-: «أممم، ألست مُتعبًا؟! دعْه للغد ... لا أعتقد أنه سيلتقيه فور مغادرتنا، أليس صحيحًا؟! اذهبْ مساءً».

فريدي –بتفكير-: «معك حقٌّ، اعتقد ذلك، حسنًا، لكن سوف أوصلك وأعود للمراقبة، أخشى أن يفوتَنا شيء!».

- حسنًا، كما تريد، لنُنهِيَ ذلك ونعود.

.....

رووف تركض بسرعةٍ مع السلالم للفندق عندما تأخَّر المصعد.

دخلتْ وهي تتنفس بشدَّة، وتلفتُ من خلف السرير، وتجلس بمحاذاته وتنحني لتنتزع الهاتف الملصق بالشريط اللاصق أسفل السرير، وتتَّصل بليمان وتخبره.

ليمان كان ينتظر قدوم إلياس ليقوم بفتح المعمل؛ حيث إنه لا يعرف الرمز، وسبب رفضه: خوفًا أن يقع ضحية لهم يومًا، ويجبرونه بفتحِه لهم أو إخبارِهم.

يتصل، ولكن إلياس لا يُجِيب، جلس أرضًا وهو يَزفِر بعدما زاح كافة السلال، وبعد مرور الوقت، وخوفًا من وصول فريدي لمراقبة منزل أندريس، وعدم استطاعة إلياس للمغادرة، اتصل بماريا وأخبرها أن تذهب لترسل إلياس له بسرعة.

ماريا -وهي تَسْعَلُ بشدَّة، وتنادي على إيفا التي ذهبت لغرفتها منذ عودتها، ولم تخرج-: «إيفا إيفا» وتفتح الباب وتراها تكتب على جهازها المحمول، وقد وضعت السماعات الرأسية، ولم تكن تسمعها، اقتربت وهي تنزعها.

إيفا تنظر لها بفزعٍ وتغلق الجهاز: «أمِّييي! ماذا تفعلين؟».

ماريا: «أرجوك إيفا بسرعةٍ، اذهبي لمنزل أندريس، وأيقظي إلياس بسرعةٍ، واجعليه يذهب لليمان بسرعةٍ بسرعةٍ».

إيفا بغضبٍ وهي لم تتحرك: «آاااه، لن أذهب إلى ذلك المتعجرف، لن أذهب أمي، اذهبي أنتِ ... أنا أكرهه حقًّا».

ماريا: «إيفاااا ألم تتركي غَيرتَك منه طوال تلك الأعوام؟».

إيفا: «أجل، أغار منهم؛ لأنهم أخذوكِ منَّا، وأنتِ أيضًا تتركينا بالأشهر لأجلهم».

ماريا -بتعبٍ من سيناريو ابنتها في كلِّ مرةٍ تَذكُر إلياس-: «آاااه ... إيفا ... أرجوك، أنا أيضًا لم أفهم، لكن الموضوع يتعلَّق بألكاي».

تحركت إيفا بسرعةٍ حتى سقط الكرسي، ثم تداركت الموضوع، وكأنها أصيبت بالدَّوَّار.

ماريا -وهي تمسك بها-: «حسنًا ... حسنًا ... أنتِ لست بخيرٍ على الأرجح، سأذهب أنا».

إيفا -وهي تتعدل-: «لا، لا، أنا بخيرٍ أمي، أرجوك لا تغضبي، أنا ابنةٌ سيئةٌ حقًّا، أنتِ المتعبة ... سأذهب الآن».

ماريا -بحنان-: «لستِ سيئةً»، وهي تراها تتقدَّم من الباب للخروج «إيفا، لا تخبري أحدًا عن ألكاي، لا أعلم ما يحدث، ولكن ...».

إيفا -بعينين متَّسِعتين تُشِعُّ بهما السعادة-: «هل عاد أمِّي؟!».

ماريا -وهي تدفعها للخارج-: «لا أعلم، اذهبي فقط، يمكنك سؤال إلياس ... بسرعةٍ هيا».

.....

ركضت إيفا لمنزل أندريس، وهي تصعد السلالم بحماس، تردَّدت ثم طرَقَتِ الباب، ولكن لم يكن مغلقًا، دخلت ثم كبتت شهقاتِها، وهي تتراجع للخلف، وتلتصق بالباب الذي أغلِق بعد دخولها، وهي ترى حالة الغرفة والزجاج.

ثم نقلت نظرها له وهو يتوسَّط السرير وقدماه تَدلَّتا للأرض، تجمعت الدموع بعينيها وهي تقترب وتجلس مقابِلَه وترى الآثار على رقبته، ثم تنظر للدم على السرير، جحظت عيناها وهي ترى مصدرها: يده اليمنى، لا تعلم هل هو نائم أم ميت -كما ظنَّت-؟

حاولت الاقتراب، وهزَّه، ولم يستجِبْ لهزّها إياه، لم تستطِع السيطرة على نفسها وهي تجهش بالبكاء الذي جعله يستيقظ بفزَعٍ، وهو يقول: «جمااااان ... جمااااان».

عقد حاجبيه وهو يحاول الجلوس والاتكاء على يده، ولكن آلمتْه، وهو يقول بصوتٍ مكتوم: «آاااه»، فتح عينَيه بعدما أغمضها عدة مرَّاتٍ للتركيز فيما حوله، وهو يراها منحنيةً على السرير وتبكي.

- إيفا، ماذا تفعلين؟! هل تبكين؟!

رفعتْ عينيها بسرعةٍ، وهي تفيض من الدموع، وتمسحها بعنفٍ: «أنت نائم؟»، وتقف وتقترب وتضربه على كتفه بعدما جلس على حافة السرير بالقرب من مكانها الذي كانت به: «ظننتك متَّ غبيُّ! ماذا بها يدك؟».

رفعها ينظر بها وهو يقول بعد عضِّه على شفتيه بألم: «آه، لا شيء يُذكَر»، وقف وهو يتعدَّل: «ماذا تريدين أيضًا؟ استقرّي معي، هذا أفضل».

إيفا تنظر له بغيظٍ، وهي تقوم بمسح الدموع جيدًا: «هذا مضحك ... هههه».

نظر بجِدِّية: «ماذا أتى بك إذًا؟».

إيفا بفزَعٍ وبتذكُّرٍ: «آاه ... أجل ... أمي أرسلتني، تقول: العم ليمان يتصل بك، يريدك بسرعةٍ، لا أعلم ماذا يريد، تقول: يخصُّ ألكاي».

إلياس -وهو يلتقط هاتفه ويغمض عينيه بشدَّة، ويقترب من النافذة، ويزيح الستارة، ويلتف وهو يضرب على جبينه-: «آاه، هذا سيئ حقًّا .... أاااوف ... أووووف».

إيفا –بتردد-: «هل ألكاي بخير؟! ... هل عاد؟!».

إلياس -يبتسم وهو يرفع حاجبه-: «هههه لا تستطيعي إخفاء مشاعرك!».

إيفا -بخجلٍ وتَصنُّع-: «هههه ... أنت مضحك، عمَّا تتحدث، أنا فقط أسأل هكذا بسبب كلِّ ما حصل فقط ... لا شيء مما تفتريه».

إلياس -وهو يهز رأسه-: «أجل ... أجل ... حسنًا، ماذا الآن؟!».

إيفا: «ماذا حدث؟!».

إلياس: «أنا مُراقَب، ولا أستطيع المغادرة، وألكاي بحاجةٍ إليَّ!».

إيفا -وهي تُغلِق فمها بدهشة-: «هل هرب؟! وأنت لا تستطيع لقاءه بسبب الذين أتوا للبحث عنه اليوم، آه، وأيضًا يريدون مغادرتك وتتبُّعك -وبحزن- ولكن لمَ يحتاجك ألكاي؟ هل حدث له مكروه؟!».

إلياس -وهو ينظر لحاجبيها المقوَّسة بحزنٍ، ويعَضُّ على شفته وهو يضحك باستفزاز-: «هههه أه ههههه أنا أفتري ذلك ... اذهبي، أنتِ ذكيةٌ حقًّا ... اذهبي الآن أرجوكِ إيفا ... أنتِ تُغضِبيني» ويقوم بحكِّ رقبته دون انتباهٍ لتوتُّرِه، وهو يذهب ويعود لينظر مع النافذة.

تقدَّمت إيفا منه، وهي تسحب يده بشدَّة: «هي أنت! هل أنت مريضٌ؟ تزيد منها! ألم تكتفِ طوال تلك المرَّات؟ سببت بما يكفي!».

إلياس -وهو يسحب يده منها ويعقد ناظريه-: «ماذا؟!».

إيفا: «أنا لست غبية إلياس، أعلم أنك إذا توتَّرت أو تجاهد نوبتك تفعل ذلك؛ مما ترك أثرها بعنقك، هذا يكفي أرجوك، كنت تخبئها بلباسك للهاينك فقط، وهي تنظر في الأرجاء! هل سبب هذه الفوضى هنا هو نظرك للمرآة دون تغطيتك لجروحك؟ -وقالت بتردُّد- وشامتك؟».

إلياس -يقول وهو ينظر ليَدِه-: «شامتي؟».

إيفا -تهز رأسها-: «أجل ... شامتك المطابقة لجمان التي حاولتَ تشويهَها وأنت صغير، ما زلت أذكر عندما أخذتك أمي لتبيت لدينا، لا أذكر لما بتَّ

تلك الليلة، حتى أنك تسببت بذَهاب نعاسي عندما دخلتَ غرفتي؛ لأنني الفتاة الوحيدة، وقد تجد ما يساعدك لديَّ ... ووقفتَ أمام المرآة، وأنت تبحث في أشيائي حتى وجدت مشبكَ شعرٍ حديديًّا صغيرًا، وحاولت جرح نفسك، وعندها قمتُ بتحريك نفسي عمدًا، وأت لِحُسن الحظ خشِيتَ استيقاظي وإخبارَ الجميع بذلك ... -وهي تضحك بخفة- تعلَّمتُ كتم الأسرار بعد تلك المرة».

إلياس نظر لها، ولم يعلم كيف قفزتْ تلك الغُصَّة بحنجرته؟ هل يعقل أن هناك من يعرفه لهذه الدرجة دون سؤاله؟ شخص يعرف ألمه ولم يقُمْ بغمزِ جرحِه حتى بالأسئلة فقط! يعرف وبصمتٍ، هل إيفا! إيفا! من بين الجميع!

أعطاها ظهره، وهو ينظر للنافذة، وهو يقول بعد جهاده لنفسه: «حسنًا بما أنك خارقة الذكاء، ابحثي لي عن حلٍّ يمكنني الذَّهاب للبستان دون معرفة الذين بالخارج!».

إيفا: «أولًا لنبدأ، وهي تقترب وتُجلِسه على السرير، وتبحث عن حقيبة التضميد، وتُضمِّد يدَه وهو صامتٌ يراقب.

رفعتْ عينيها له، وهي تجلس بالأرض، وهي تلف الضماد الطبي: «آه، لِمَ أنت صامت؟!».

إلياس -وهو ينظر بعينيها، ثم نطق بطيف ابتسامةٍ وهو يشيح بنظره-: «قلِقٌ على ألكاي، لا أجد طريقة للذَّهاب!».

إيفا -وهي تقف بعد انتهائها وتضع يديها على خَصْرِها-: «فقط! هذا سهلٌ، لديَّ خطة!».

إلياس -ينظر بشكٍّ-: «حقًّا! ما هي إذا؟!».

إيفا: «من أين دخلت أنت عند قدومك؟».

إلياس: «من باب المطبخ المؤدي للخارج!».

إيفا: «حسنًا، اخرج منه، وأن ا سأبقى خلف الستارة، ويعتقدون أنك تنظر لهم».

إلياس -يقف بسرعةٍ وهو يبتسم-: «حسنًا، هذا جيد، شكرًا لك إيفا، لن أتأخَّر، سوف أطمئنُّ عليه وأعود لكي تستطيعي العودة».

إيفا –بتردد-: «هل هو مريض جدًّا؟!».

إلياس -يُربِّت على كتفها وهو يمرُّ-: «لا سيكون بخير».

إيفا تهزُّ رأسها وتذهب للنافذة، وتقف خلف الستارة، وهي ترى السائق بالخارج ينظر للنافذة، ويرفع هاتفه ليتحدَّث به.

.....

12. موعد مع الخوف

إلياس يدخل المعمل، وينظر له وهو على السرير، اقترب منه وهو يراه لا يزال نائمًا، تفحَّص السرير، وجَدَه نظيفًا، علِم أنه قام بتنظيفه.

قام بتفقُّد حالته، وتركيب التغذية الوريدية والأكسجين.

نظر بليمان الذي يجلس وينظر حوله: «لمَ لا تعرف رمز الدخول؟!».

ليمان: «رفضت ذلك عندما أنهاه أندريس، خِفتُ أن أصبح يومًا تهديدًا لابني! أنا لست أبًا سيئًا، فقط جبانٌ، يخاف الفقد -وهو يمسح بيديه على وجهه ويتنهَّد- لم أنَمْ جيدًا في غيابه، دائمًا ما كنتُ أشعر بالخوف، وبنظرةٍ مرتعشة، بينما سمعتُه عندما اتصل بي عثمان، ركضت حافيَ القدمَين، وأنا أسمع الخوف؛ أسمع لقلبي أنينًا، وقدماي تتهاوى لتُسقِطَني من عليها، عيني تصرخ بالدموع، أَورِدَتي أسمع ضخَّ دمائها، أنا اخترت الصمت من الخارج رُغم النحيط بداخلي (النحيط : بكاء يتردَّدُ في الصدر لا يظهر)، آاااه، أنا لم يُعِدْ عليَّ صراخي تلك المرَّات بشيء جيدٍ عندما فقدت والدته، عندما رأيتُه بين يدي عثمان، شعَرتُ وكأنَّ الدنيا أخذت بأطرافها نحوي!».

إلياس صدَّ وهو يمسح دمعته، ويُغمض عينيه لأوَّل مرَّة يرى فيها ليمان بهذا الضعف، أهو الخوف حقًّا؟!

قطع ذلك عليهم صوته الضعيف: «أأب ... بي».

اقترب إلياس بسرعةٍ، وهو يقول: «ألكاي! ألكاي! أخي، هل تسمعني؟!».

ليمان يقف، وهو يراه يجاهد ليفتح عينيه، وهو يقوم بابتلاع ريقه مرَّة بعد مرَّةٍ، ولكن عاد إغلاقها مرةً أخرى دون أن ينطق بشيء جديد.

إلياس -وهو بقوم بالفحص بواسطة القلم المضيء على عينيه ويتفقَّد نبضَه-: «سيستغرق القليل ليعود لوعيه -وبتذكُّر- أين وجدت الحقنة؟ ومن أعطاه إيَّاها؟!».

ليمان -بتردُّد-: «أمم، مِن منزل أندريس، وجدت واحدةً أوكلتُ ماريا للبحث عنها، واستعنت بطبيبٍ أعرفه لحقنِه إيَّاها».

إلياس -بعدم اقتناع-: «آه، ماريا كانت بمنزلنا ... صحيح ... ولكن كيف عرفت بقدومي؟!».

ليمان -بتردُّد وهو يراه ينظر نحوه، ويعلم أنه لن يستطيع الكذب-: «روف أخبرتني».

إلياس -وهو يقطب حاجبيه-: «روف.. روف!».

ثم قال وهو يرفع حاجبه الأيمن: «روف ابنة الرئيس، والتي بدورها تبحث عن ألكاي؟ ماذا يحدث هنا؟!».

ليمان -باستغرابٍ هو بدوره-: «إن لم تكن من أخبرك فكيف عرفتَ أنت؟».

إلياس -وهو يفكر-: «أنا كنت على وشك العودة، ولكن وصلتني رسالة محتواها: أنَّ ألكاي يحتاجني بشدَّة، وأنه عاد وهو مطارَدٌ».

ليمان: «هل يعرف أحد غيرك؟».

إلياس -بغضب-: «لا أعتقد، أنا كان لديَّ عملٌ، سأعود لإكماله لاحقًا! لكن كيف عرفتَ عن ألكاي ليمان؟! هذه روف؟»

ليمان أخذه بعيدًا عن ألكاي، وأخبره بكلِّ شيء حتى صُنْع الحقنة، وأنها لا تريد له معرفته.

إلياس -وهو متسع العينين، وقد ثار غاضبًا-: «ماذا تقول أنت؟! كيف وثقت بها؟! ماذا لو حصل شيء؟! ولا يزال في الخطر حتى الآن، تعلم أنه لن يُسَرَّ بمعرفة ذلك، أين هي الآن؟».

ليمان -وهو يمسكه بيده برجاء-: «إلياس ... يكفي .. أرجوك .. أرجوك، ماذا تريد مني أن أفعل؟ هل أتركه يموت أمامي؟! تحدَّث، هل تستطيع فعل ذلك لو كنت بعجزي الذي كنتُ به إلياس؟! أيضًا ربما ... ربما ألكاي يثق بها عندما أتى معها، أليس هذا منطقيًّا؟».

إلياس -وهو يجلس ويُمسِك برأسه لتهدئة نفسه-: «هل تعلم أيضًا عن هذا المكان؟».

- لا لم أخبرها أبدًا.

- عثمان ماذا فعلتْ به؟!

- قامتْ بحقْنِه لترتفع حرارة جسدِه، وأعطتْه المضادَّ للحقنة، تناوله بعد مغادرتهم، وبدأ بالتحسُّن.

إلياس -يضحك من الغضب-: «ياا ... هذه! ههه ... ماذا يحدث؟ هل تقوم بالحقن للكلِّ؟ أين هي؟ بسرعةٍ أعطني رقْمَ تواصُلِها».

ليمان -وهو يُخرِج هاتف ألكاي أخذه إلياس-: «يتواصلان عبر هاتفه الخاص! إذًا ليتحسَّن أوَّلًا ونرى».

.....

13. بين اليقظه والحُلْم

- بالفندق -

روف تئنُّ، وجبينها يتصبَّب من العرق، وتتحرَّك حتى استيقظت بفزعٍ، وهي تجلس وتتنفس بسرعةٍ، وتضع يدها على قلبِها تتحسَّس ضرباته العالية:

«يكفي ... يكفي ... أرجوك، هذا يكفي -وتبكي بخوفٍ- أريد النَّوم أبي، ارحل ارجوك، دَعْ أحلامي، أقسم أني تَعِبتُ من الأرق».

«آاااه، أنا لمَّا أتيت أردت الابتعاد عنك فقط للنوم».

وعندما لم تستطع العودة للنوم رُغم بقائها يومين كاملة دون نومٍ، اقتربت لحقيبة السفر وقامت بفتحها وهي تجلس على الأرض، وتستخرج أدوات الرسم والأوراق، وتجلس بالمكتب الصغير، وتفتح الإضاءة الخاصة به، وتبدأ تُكمِل إحدى الرسمات، عبستْ بحزنٍ، وهي ترى: كيف أنَّ رسوماتها أخذت تتمحور حول القمر وأطواره.

لكن التي تقوم برسمها هي لذلك الشخص الواقف على الشاطئ يرتدي الأسود بالكامل كعادته المعتادة؛ حيث اتفق مع السواد بكلِّ شيء حولَه.

وبعد الرسم لسبع ساعاتٍ، بدأ النوم بالزحف لعينَيها والإرهاق، نهضت ورمتْ بنفسِها بالسرير مرَّة أخرى بعد تناوُلها دواءً احتاجت له مؤخَّرًا، علَّه يساعدها على النوم.

ولكن كانت بين الوعي واللاوعي؛ تُغمِض عينَيها وتقوم بفتحها مرَّةً أخرى دون استطاعتها للتركيز بما حولها، تصبح هكذا في كلِّ مرةٍ يُصيبُها الأرق.

وأثناء محاولتها لفتح عينها، هي ترى خيالًا لأحدِهم -كما تعتقد- أغمضت عينَيها وهي تحاول مرَّةً أخرى أن تُبقِيَها أطول مدة مفتوحة، وفي كل مرة تقوم بفتحها ترى شخصًا يجول بالفعل بالمكان.

- هو فريدي، أجل، ولكن ماذا يفعل؟!

تفتح عينيها مرَّةً أخرى: هل هو يقلِّب رسوماتها؟! حسنًا ... تركَها ... ماذا إذًا؟! عما يبحث بالجوار منها؟! الآن الذي يقلِّبه هاتفَها، على الأقل هي تسمع.

هل يتحدَّث مع والدها؟ هههه، حتى هي مراقَبةٌ، لا ... ومن قِبَل والدها، ألم يكفِ ما عثا بحياتها حتى الآن؟!

فريدي: «لا شيء غريبٌ سيدي، يبدو أنها كانت ترسم طوال وقتِها، ولم تتصل بغيرك ... أجل هي نائمة الآن، رحلتها ستكون غدًا ... أجل حسنًا».

.....

يومين مرَّت بعد عودة روف وفريدي، عندما أبلغهم والدها بغضبٍ برسالةٍ وردته من هاتف ألكاي، إنه سيأتي خلال أسبوعَين، وسيتم إعادة جدولة العمليات.

إلياس، وهو يحني رأسه في غرفة والده الذي نقل ألكاي بها بعد رحيلهم، طَرقات الباب أيقظتْه من خياله.

ماريا تنظر من خلف الباب، وهي تنتحِب بشدَّة، وتدخل وتنحني، وتقبل رأس ألكاي النائم، وهي تمسح دموعها وتقول: «إلياس، لِمَ لا يستيقظ حتى الآن؟».

إلياس وهو لا يزال غاضبًا لعدم استطاعته لقاءَ روف، والظنُّ بها أنها مُرسَلةٌ لتحقِنَه بحقنةٍ خاطئةٍ -هذا ما يعتقده الآن-: «سيستيقظ، لا عليك، هو الآن لا يتألم، فقط نائم».

ماريا وهي تجلس بالقرب منهم: «صغيري لا ينام بسهولة، أتعَبوه كثيرًا، أردتُ من إيفا زيارتَه، ولكنها رفضتْ، قلتُ لها: إنه يُعَدُّ أخًا لك، فقد قمتُ بإرضاعه معك وأنتِ صغيرة عندما ماتت أمُّه المسكين، لأعلم أغلقت على نفسها، أعتقد أنها ستعتكف على كتاباتها التي لا أعلم ما هي!».

شَخَصَ نظرُ إلياس: «ماذا تقولين ماريا؟! ألكاي يُعَدُّ ابنك وأخًا لإيفا! ماريا هل تقولين الحقيقة؟!».

ماريا: «أجل، هو صحيح ... بعد وفاة والدته ومرض والده الحزين وتمسح دموعها ظلَّ صغيري جائعًا ولا يقبل الحليب الجاهز، وقد كانت إيفا حديثة الولادة، وجلبه لي أندريس، وطلب مني إرضاعه، ولم أكن أرفض أبدًا ذلك اليتيم، واحتضنتُه عامًا كاملًا».

إلياس -وهو لا يزال يرتسم وجهُه بمعالم الدهشة-: «لمَ لم تخبريهم طوال هذه المدة؟!».

- من تقصد؟ ألكاي!

- ألكاي، إيفا، أنا.

- لم أرَ سببًا لذلك، لطالما كان ألكاي يعاملني كوالدته ويحترمني، وأنت وإيفا ظننتكم جميعًا لا تعتقدون العكس، أردتها أن تأتي حقًّا».

إلياس يقف ينظر من النافذة: «حسنًا ... لا عليك، ستأتي، دَعِيه يستيقظ أولًا، وأَعطِيها بعض الوقت، هي بحاجةٍ للوقت لتتقبَّل ذلك».

ماريا: «أي وقتٍ قد تحتاجه إلياس؟! أنت تعرفها، هي فتاةٌ طائشةٌ لا تستمع للكلام، وأخوتها جميعهم أطفال، لا تزال تغضب مني كثيرًا عندما أذهب وأبقى لديكم، وهي تتذمَّر بالقول أنها تحمَّلت مسؤوليتي كأمٍّ لإخوتها بسبب عملي وأنتم ... أنا خائفة عليها، هي تعتكف كثيرًا بغرفتها، وهي تستخدم ذلك الكمبيوتر المحمول، وعندما أختصم معها دائمًا تقول: انتظري، لن يكونوا هم فقط مصدرَ فخرِك الوحيد، سأكون أنا أيضًا!».

إلياس: «ماريا، أنا أتفهَّمُها؛ لأنَّ لا شيء أسوأ من غياب الأم، سأتحدث معها، لا عليك، عندما يستيقظ ألكاي، الأهمُّ الآن: أندريس سيصل غدًا، سأذهب الليلة».

- كيف تذهب إلياس، وأخوك لم يستيقظ بعدُ؟! انتظر والِدَك.

إلياس -وهو يبتعد ويخرج من الغرفة، وهو يأخذ كأسًا من الماء، ويقف ينظر مع الباب الخارجي، ويتحدَّث مع نفسه: «هذا هو الذي لا أريده، تطوُّر حالته، آاااه ... في كلِّ مرَّة يغيب عن الوعي سيستغرق وقتًا أطول، لا أريد أن أبقى، أرجو الوقت ليحن عليكم، ويُغمِض عينيه، وهو لا يزال بدهشة من كلِّ شيءٍ حوله».

عاد ليجلس مقابل ألكاي بعد مغادرة ماريا؛ لقلقِها على إيفا والأطفال.

ابتسم -وهو يقوم بتمسيح يدَي ألكاي بقطعة قماش مُبلَّلة-: «ألكاي، أنت أكملتَ العشرين قبل أيامٍ، كنت قد وعدتني أن نحتفل بك. أيعجبك النوم أكثر؟!» وبدأ يبكي وهو يحني رأسه على السرير: «أنا احتاجك هذه المرة، أريد منك شيئًا لمصلحتي أرجوك، ألكاي أرجوك، لا أريد الذهاب قبل أن تستيقظ، ولكن لا أستطيع مواجهة أندريس الآن، أرجوك لِمَ لدينا كلُّ هذا الكمِّ من الهم؟!».

قال -وصوته يرتجف-: «ألكاي ... هل تعلم .. أأ .. جمااان ستولد من جديد، لكن تنتمي لأبٍ آخر».

تحركت يد ألكاي الممسك بها إلياس، رفع رأسه بسرعةٍ وهو يبتسم داخل دموعه: «ألكاي» وينظر لعينيه التي شبه مُغمضةٍ، وهو يبتسم بصعوبةٍ أسفل قناع الأوكسيجين.

وقف إلياس، وهو يقوم بفحص عينَيه، ويتفقَّد نبضَه، قال وهو يَزفِر براحةٍ بعدما أزاح القناع: «أنت بخيرٍ ... حمدًا لله ... مرَّت هذه أيضًا».

ألكاي -قال بصعوبة-: «أبي أين هو؟!».

إلياس، وهو يرفع هاتفه ويتَّصل على ليمان، ويخبره، وأكَّد قدومه، واتصل بماريا، ولكن لم تجِبْ، ثم أرسل لها رسالة.

اقترب منه وهو يقول: «هل تتألم الآن؟ هل تشعر بالصداع؟ هل تريد شيئًا؟!».

ألكاي يقوم بهزِّ رأسه برفضٍ، وهو يقول بعدما ابتلع ريقَه: «علمت أنك ستنقذني كما المعتاد».

ابتسم إلياس، وهو قد اتفق مع ليمان على عدم إخباره بأيِّ شيءٍ عن روف،

دخل والده، وهو يقترب ويرفع يده ويُقبّلها: «هل أنت بخير الآن يا بني؟ أنا آسف لعدم قدرتي على حمايتك في كلِّ مرَّة».

ألكاي، ودموعه بدأت تسقط، واكتفى بهزّ رأسه بصمتٍ.

ظلَّ ألكاي هذه المرة هو من يتأمَّل والده؛ ليستوعب كلَّ هذا الحزن بعينَيه.

شدَّ على يد والدِه الذي رفع عينَيه له وأغمض عينَيه هو، ثم قال إلياس: «هي ... أنت ... ألم تكتفِ من النوم؟ أعطني منه القليل»، ثم نظرَا بعينَي بعضهما، وبدأ بالضحك حتى تحوَّل للبكاء، وإلياس يقترب منه ويحتضنه بعدما أجلسه متكئًا على الوسادة خلفه، فقد طرأت عليهما في نفس الوقت ذكرى جميلة من الطفولة.

تعدَّل ألكاي، وهو يطلب من والده أن يقترب بعدما ابتعد إلياس عنه، أمسك يد والده، وهو يقول: «هل تحتضنني الآن أبي كما كنتُ طفل الرابعة ذاك؟!».

مسح والده دموعَه بكلتا يديه، وهو يشير برأسه، واحتضنه، وبدأ بالبكاء والاعتذارات التي جعلت إلياس يخرج ويغلق الباب خلفه، ويأخذ حقيبته ويغادر بعد ترْك ورقة معلَّقة على باب الغرفة من الخارج ((يكره الوداع)).

ألكاي يقف بمساعدة والده رُغم إصراره عليه للبقاء في السرير.

رفض وهو يقول: «سأرى هذا المغفَّل، وما الذي استغرقه بالخارج؟!».

فتح الباب، وسقطت الورقة، ابتلع ريقه، وهو يقول -وقد توقَّع شيئًا ما-: «هل يمكنك مناولتي إياها أبي؟».

رفعها ليمان وأعطاه إياها، فتحها بتردُّدٍ.

تقدَّم يترنح بسرعةٍ، ووالده يحاول إمساكه حتى كاد يسقط، لولا إمساك والده له عند الباب الخارجي.

عاد يجلس على السرير، وهو غاضبٌ وحزينٌ، وهو يقوم بقراءتها مرَّةً أخرى: «ألكاي، أندريس قادم غدًا، شكرًا لاستيقاظك، شكرًا لوجودك، شكرًا لكونك بخيرٍ الآن ... حاربْ تبقَّى القليل ... ماريا اتصل بها ... كن بخيرٍ أرجوك، سأنهي عملي وأعود».

غادر إلياس متجاهلًا الرسالة التي وردته؛ محتواها: «لا تغادر».

هو نفسه صاحب الرسالة الأولى.

14. إلياس

عندما دخلتُ المعمل أُصبتُ بالدهشة الشديدة؛ لوجود مثل هذا المكان الذي لم أكن أعلم بوجوده، ووجود كلِّ تلك الأجهزة والمعدَّات الطبية التي علمتُ عند رؤيتي لتلك الصور المعلَّقة.

على الحائط ... خلف السرير الطبي، الذي آلم قلبي وجودُه عند تخيُّلي لألكاي عليه ... إنه جهَّز لشيء مهمٍّ، دُرْتُ بناظري في المكان حتى استوقفني ذلك الظرف المُلصق، هو يحمل اسمي! صحيح! اقتربت بارتيابٍ، لكن سرعان ما شعَرتُ بتوقُّف كل شيء حولي حتى جزيئات الهواء والدماء التي حُبست بجسدي عن تدفُّقها المعتاد.

احتوت الرسالة على شيءٍ ما جعلني أدرك الشخص الذي يتوجَّب أن أكون عليه مستقبلًا!

أخبرني أبي أنَّ القادم سيكون أصعب علينا جميعًا، وبالأخص ألكاي!

أخبرني أبي أيضًا ... حسنًا محتوى الرسالة هو:

«إلياس، أكتب لك وأعلم أنك ستدخل للمعمل حتمًا ... بعد قراءتك لهذا اتصل بي بالتأكيد، كنتُ لأقول لك قبل ذَهابي، ولكن لم أستطع ... إلياس الأيام القادمة ستكون أصعب علينا جميعًا، وأخصُّ بهذا ألكاي أكثر ... لن يستطيعوا اكتشاف ما يعاني منه؛ لأنهم لا يريدون ذلك مقارنةً بما يريدون أخْذَه منه عند بلوغه العشرين بما يتماشى مع خطتهم التي أحاول معرفتها، رُغم تكتُّمِهم الشديد إلا أنني سأبحث بمختلف الطرق، وأتمنى نجاح ذلك قبل الجراحة.

ما أطلبه منك الآن هو تجهيز مكانٍ تعتقد أنه سيكون آمنًا له سننقُلُه عندما يصل معدَّل غيابه عن الوعي الشهرين، حينها تكون بدأت الأعراض تدريجيًّا ... إن كان التشخيص المبدئي للمرض صحيحًا من قِبَل منظمتنا.

وأخيرًا، هناك جاسوس يعلم بالمعمل الذي كنتُ قد جهزتُه لهذا الغرض، لا أظنُّ أنهم سيستغرقون طويلًا قبل معرفته.

أنا أشكُّ بنوفل -زوج والدتك- أو أن تكون والدتك هي الجاسوس! أعتذر إلياس لقول هذا! لكن هذا ما يشير إليه الآمر ... أعذرني على ذلك ... حتمًا اتَّصِلْ بي أرجوك».

فقدتُ القدرة على الكلام وحتى السيطرة على نفسي، واستسلمت لتلك الآلام التي اجتاحت جسدي، كما مررتُ بها في الماضي عندما ماتت جمان، وعندما غادرتْ والدتي بعدها بشهرين، ثم أصبحت تزورني وكأنها تخبرني أنها مَن بقي معي فقط.

رُغم ذهابي للطبيب، لم أتخلص منها نهائيًّا بعدُ.

وبعد مرور اليوم بأكمله، اتصلت والدتي، ارتجف فكِّي، وفاضت عيناي لرؤيتي الشاشة تُنِير باسمها، كنت سأتحجَّج عن الذهاب ... ولكن ذهبتُ، ربما أستطيع تصديق أنها ليست كما قال والدي، لم أستطِعْ تناول الطعام استمررتُ في التحديق بكلاهم.

ولكن نجحتُ في كلِّ مرةٍ بتحطيمي وإرجاعي للوراء بسرعةٍ حينما زَفَّت لي خبر قدوم طفلتها، شعَرتُ وكأنني لست قادرًا على البقاء، ليس فقط في المكان، بل بالعالم أجمع، أختنق من كلِّ شيء، حتى الأفكار التي تعصف بي تخنقني.

أردتُ الهروب حقًّا هذه المرة، لا أريد المواجهة مع أحدٍ، سآخذ نفسي فقط!

أخذت أجمع ملابسي على عجلٍ، لكن دخول ماريا أوقفني، ودموعها آلمتني، كيف وهي من أخذت دَور الأم حقًّا، وأتقنته دون مللٍ ولا مقابل؟

نجحت بالذهاب، وقفت قرب ذلك الشاطئ وأنا أبتسم، أعتقد أنها الجزيرة المناسبة حقًّا، فهو يحبُّ البحر بشدَّة.

جهزت معظم الأشياء، ولكن ماريا أقلقتني كثيرًا بقولها: «ألكاي غاضبٌ وممتعضٌ مني»، أرسلت له تسجيلًا صوتيًّا علَّه يطمئنه.

ولكن دُهشتُ عند معرفتي بعودته بعد تلقِّي تلك الرسالة ...

في المعمل بعدما نقلتُه لمنزلنا، عُدت للعمل به؛ حيث جهزت كافَّة المخططات التي يتطلَّبها إنشاء (ليس معملًا صغيرًا) بل مركزٌ متكامِلٌ ومناسبٌ لقضاء -ربما- سنوات!

أرفقتُ الصور وكلَّ شيء بالملفات، وغادرت بعد استيقاظه.

أنا لا أريد ترْكَهم حقًّا، ولكن أندريس سيأتي، لا أستطع مواجهته الآن.

15. لِمَ لَمْ يعبرْ نظري الزجاج؟!

.....

نزل المطر بغزارة، وألكاي يشاهده من خلف النافذة متكئًا على عصا، يقف بمساعدتها بسبب ألم قدمه ...

أصبحت دموعه تحجب الرؤية كما تحجب قطرات المطر على زجاج النافذة المنظرَ بالخارج ...

جعل دموعه تتحدَّث هذه المرة عن كل شيء يمرُّ به ... رفض الذهاب مع والده لمنزله، وبقي برفقة أندريس الذي ذهب لزيارة ماريا المريضة قبل مغادرتهم .... تبقَّى يومين ...

طُرِق الباب بخفة، مسح دموعه وحاول استعادة توازُنِه ...

ألكاي: «تفضل!».

أخرجت إيفا رأسها وهي تقول: «هل أستطيع القدوم؟!».

ابتسم وهو يومئ برأسه: «أجل».

تقدمتْ لتجلس بالكرسي المقابل له، بعدما جلس هو على الكرسي الآخر أمام النافذة: «أهلًا إيفا، كيف هي ماريا؟».

كانت تدلك يديها بتوتُّر، ثم رفعت رأسها عند سؤاله: «آه، هي بخير ... أنت كيف أصبحتْ قدمُك؟ هل تحسَّنَتْ؟».

ابتسم وهو يقول: «إذًا هذا شعور أن يكون لديك أختٌ ... أنا بخيرٍ، قدمي تضرَّرت قليلًا عندما سقطت في الحقل آنذاك ... قال وهو يبتسم بالإحراج

وهو يضم شفتيه لبعضهما ويقرب حاجبيه: «هل ما زلتِ تشعرين بغرابة تُجاهي؟! اعتذر إذا أشعرتك هكذا».

وهي تشير بيديها: «لا لا، ليس صحيحًا، أنا فقط ... أأأ ... أقصد: شعورٌ جيدٌ أن يصبح لي أخٌ كبيرٌ على الأقل بنفس عمري، أليس جميلًا؟».

مرتبكة قليلًا: «فقط سعيدة بذلك».

وبارتباكٍ: «لا أقصد سبب حدوث أنك أخي، ولكن ... يعني ... هل فهمت؟!» وتُغلِق عينيها بإحراجٍ.

ضَحِك بشدَّة، وهو يبتسم بسعادة: «مرَّ وقتٌ لم أضحك هكذا، أظنُّ تأثيرك ... أفهمك جيدًا، قد يكون أثمن شيء أعطتني الحياة بعد إلياس هو امتلاكي لأختٍ وأمٍّ مثل ماريا، هذا أقل ما يقال عنه (الحظ السعيد)، تمنيت لو عرفت مبكرًا».

إيفا -بحزن-: «أيضًا أنا تمنَّيت المعرفة مُسبقًا، كان تغيَّر الكثير، كنت على الأقل سأعتني بك بقدر إخوتي الصغار».

ابتسم بامتنانٍ: «أتمنى أن نتلافى تلك الأيام، أي شيء تحتاجينه أنتِ أو ماريا، أو حتى إخوتك، أخبريني، سأحرص على أن أكون أخًا كبيرًا جيدًا».

إيفا -بتأثُّر-: «أنا أعتذِر ألكاي!».

- على ماذا؟

- كلِّ شيء ...

وبتغير للحديث: «إذًا ماذا ستفعل الآن؟ هل ستجريها الجراحة؟! أخ ... علمت أنهم سيجدونك!».

- سأذهب ... لنرى ... من تقصدين؟ -وهو يبتسم- هل كنتِ تعلمين بعودتي؟

إيفا: «أأأ ... لم أكن أعلم قبل بحثهم عنك حتى أنهم وصلوا إلى هنا، وتشير بيدها بالغرفة».

باستنكار: «هل بحث أحدهم عني؟ لم يقل إلياس ذلك لي! قال فقط: إنه أرسل لهم ليتركوا أندريس».

إيفا -بريبةٍ-: «آه .. لا أعلم ... تلك الفتاة ومعها شخصٌ آخر.

- ماذا كان اسمها؟!

- أممم ... آه (روف) أجل أجل (روف).

ألكاي -بعد صمت-: «روف بحثتْ عني!».

وبصوتٍ خافتٍ: «كانت تعرف أين أنا؟ ماذا حدث؟!

ثم نظر بإيفا، وقال: «هل يمكنك إخباري بكلِّ شيء تعرفينه؟ أعني: أريد معرفة ما حدث لأتصرَّف وَفقًا له عند ذهابي».

حكتْ له إيفا، وهو تزداد دهشتُه كلَّما تقدَّمت في الحديث.

.....

بعد ذَهاب إيفا .....

يقف بغرفة إلياس، وهو ينظر حوله ... كلُّ شيء عاد إصلاحه ... زَفَرَ وهو يقول: «ماذا حدث؟ لمَ لا يتحدث أحدٌ هناك؟ ما يحدث بالفعل ... آاااخ إلياس».

قام لفتح خزانته، وهو ينظر بتمعُّنٍ لملابسه التي تتخذ أسلوب الهاينك جميعها: «آاااه ... إذًا علمت أنها لسبب ...».

((آاااه لدى الجميع ندبة لا يحتمل رؤيتها على الأقل)).

.....

أندريس بغضبٍ، وهو يتحدث بصوتٍ خافتٍ، وهو ينظر لألكاي الصامت، يُحدِّق أمامه بعد ثلاثة أسابيع من إجراء الجراحة: «علمت أنَّ ذَهابك هناك سيتسبب بمشكلة حقًّا، لم تُنصِت لي أبدًا ... أكسبتهم الوقت فقط لبلوغك العشرين».

لم يتحدَّث ألكاي، واستمر في النظر أمامه في الفراغ ...

أندريس يُمسِك به ويلفُّه بحذرٍ، وهو ينظر لعينيه المتورمة وعروق جانبَي رأسه البارزة بشيء من التورُّم: «انظر إليَّ ... تحدَّث معي ... أرجوك لم أخبر والدك بعدُ ألكاي ... تحدَّث معي، أعلم أنني تركتك وحدَك بالجراحة، ولكن تعلم السبب، هم أخطر ممَّا توقعنا ... وضعوا لي بالمياه مخدرًا ... آاه وهو مُرْخٍ للأعصاب؛ لذلك أصبح وكأنني أخذته بقصدٍ ... سأُجَنُّ بحقٍّ ... آااف ... حسنًا، انظر لي بهدوء».

رفع عينيه ببطء ....

«أووه هذا جميل إذًا، هل تستطيع التحدُّث؟ قم بالضغط على يدي إن كنت مستعدًّا لذلك».

لم يقم بالضغط ....

أغمض أندريس عينيه، وهو يذهب لدورة المياه الداخلية، ويفتح صنبور الماء ويبكي بشدَّة، قام بغسْل وجهه ورقبته لِيُعيد تركيزه، خرج ووجد ملفًّا تم إدخاله من أسفل باب جناح المشفى الذي يمكثون به ...

رفعه، ثم قام بفتح الباب، ولم يجد أحدًا.

دهش من محتواه الذي لم يتعمَّق به بعدُ، وقام بإخفائه بالخِزانة عند سماعه أصوات الأطباء يقتربون ...

دخل الأطباء، ونظروا له ... وهو صامت!

الطبيب (1): «هل أنت تشعر بتحسن ألكاي؟».

أندريس: «استجاب لندائي عندما طلبت أن ينظر لي فقط».

الطبيب (2): هذا جيد، تطوُّر رائع، سنقوم بفحصٍ آخر لمشيرات الدماغ».

دخل بعد دقائق رئيس مركز الأبحاث البروفيسور راين:

- أوه ألكاي، ألم تتحدث بعدُ؟! ستصبح أفضل بعد الجراحة الأخيرة

التي سنجريها بعد أسبوعين.

أندريس -بغضب وقهر شديد، نطق وهو يسيطر على نفسه-: «لمَ أنت متحمِّسٌ بشدَّة لإخراج الرقاقة بهذه السرعة؟! لم يتعرض لنوبة إغماء سوى واحدة».

راين: «واحدة تكفي أندريس، تريدنا أن ننتظر شهرًا ليُفيق من القادمة؟ استغرقته هذه أسبوعين بالفعل، هل أنت مستعدٌّ للمخاطرة؟!»

أندريس -وهو يتقدم منه بغضب-: «هو سيصبح بخير بالتأكيد، ولن تخرجني من الجراحة كما فعلتَ مُسبَقًا».

راين -وهو يبتسم بمكرٍ، ويقوم برفع حاجبيه-: «أندريس عما تتحدَّث؟! بالطبع ستدخل ... احرص فقط على النوم جيدًا لكي لا تحتاج للمُهدِّئات!» وربَّت على كتفه وخرج.

.....

اقترب أندريس وأخذ الملف، وبدأ يتصفح، ولم يُكمِل حتى انحنى ليجلس بالأرض، وأجهش بالبكاء وهو يضرب على صدره بيده، وهو ينظر إلى ألكاي الصامت، ويحدِّق به باستغرابٍ اتضح بناظرَيه.

أندريس -وهو يئنُّ ويبكي بتحسُّر-: «أنا آسف ألكاي، أرجوووك سامحني - ويبكي بحرقة- آاااه، أنا لا أستحق ثقتك، آاااه أشعر وكأن رأسي سيتفجَّر، كيف فاتتني تلك؟!» ويعَضُّ على شفتيه بألمٍ ويحاول النهوض حتى وقف وهو يترنح بانهيار، ويدخل الملف ويغلق عليه، ويقترب ويجلس بالقرب من ألكاي بالكرسي المقابل له، ويُمسِك بيده بخفَّة، وهي مليئة بالأسلاك الكهربائية والمستشعرات، ويجاهد البكاء بشدَّة، وهو يُقوِّس شفتيه، ويبتلع غصَّته في كل مرة يحاول التحدث.

وبعد مُدَّة مُلِئت رئتُه ببعض الهواء المتسلِّل من النافذة، تحدَّث دون رفع عينيه، لن يستطيع الصمود لرؤيته عينَي ألكاي، تحدَّث وصوته يرتجف: «أأنا ... أناا ... ألكاي لم أنجح ... سبقوني بخطوة، حصلوا بالفعل على ما يريدون ... آاا ...»، ويعَضُّ على شفتَيه بشدَّة حتى نطق: «الرقـ...اقه بالفعل معبأة بخزعات دماغية» ويغمض عينيه ليمنع الدموع رُغم تدفُّقِها عَنوة.

رفع عينيه بسرعةٍ، وهو يُدقِّق بنظره على يد ألكاي تتحرَّك وتقبض على يده ...

مسح دموعه بسرعةٍ وعنفٍ وهو يقول: «هل تستطيع التحدث الآن؟!».

ألكاي -وهو يحرك شفتيه ببطء-: «أ..أ..» ويغمض عينيه ويتنفس بهدوء، وهو يضغط على يد أندريس الذي طلب عدم استعجاله للحديث.

ابتسم بصعوبةٍ، وبعض الدموع تنزلق بسرعةٍ: «أ... أندريس ... أنا ... بخير مع ...» ويعاود التقاط بعض النفس ... «أنا بخير مع هذا كله ... كانوا سيفعلون مهما كلفهم ذلك!».

أندريس -وهو ينظر إليه بعينين دامعتين-: «لكن أنا تركتك لهم!».

ألكاي -وهو يتكلم بتعب-: «لا بأس، أنت لم تفعل أي شيء خاطئ».

لا تخبرهم بتحدُّثي، لا أريد الحديث معهم .. بعد الانتهاء من الجراحة هناك شيء أخير سأطلبه منك ... والآن أريد النوم» وهو يستلقي بمساعدة أندريس ويغمض عينيه.

16. أندريس

أقسمتُ قبل خمسة عشر عامًا على مساعدة ألكاي بكلِّ ما أملك من مال وعلم ووقت ...

عندما دخل عليَّ في أحد الأيام، التي كانت بداية يوم عمل روتيني، ذلك الأب الذي اتضح بعينيه التعبُ الشديدُ والحزنُ والفراقُ الذي أعرفه جيدًا، كنت أراه من جديدٍ بعد ثلاثة أعوامٍ.

ثم نطق بشيء من التردُّد والقلق، وهو ينقل نظره لذلك الطفل الجميل الصغير بحجره.

ليمان: «سيد أندريس، أتيت إليك بكلِّ خوف وقلق يستطيع كتفاي حملَه، أترى هذا الطفل؟! أعتقد أن به علةً أخشى أن تُفقدني إياه يومًا».

فَزِعتُ بشدَّة وأنا أنظر للطفل الصامت، ويحدِّق بمكعب الألوان على طاولتي: «ماذا تقول؟! ممَّ يشتكي؟!».

ليمان: «يتحدَّث بالكثير من الأحاديث التي لا أعرفها حتى مع نفسه، ويكتب كثيرًا، أشعر أنه مختلف عن كافة الأطفال، لا تستهويه الأشياء البسيطة، يحب المعقَّد من كل شيء!».

ابتسمتُ عندما مددتُ المكعب له، ولم يستغرق ثوانيَ حتى حلَّ أحجيته! وتطابقت كافة اللوانة: «لا تقلق هو بخير»، وتحدثت وأنا أنظر إليه: «ما هو اسمك يا صغير؟» رُغم معرفتي له من قبل.

حتى نطق: «اسمي هو ألكاي، أبلغ من العمر أربع سنوات وخمسة أشهر، ويرمز اسمي إلى القمر في طوره الأول، وهو اسمٌ أعطتني إياه والدتي!» ثم تقوَّست شفتيه بشيء من الحزن.

وهو يقول: «وهي الآن نجمة بالسماء تُراقِبني حتى أذهب لها يومًا!» ... ثم رأيت الفزع ارتسم بملامح والده.

لا أعلم شعوري بتلك اللحظة، اختلط عليَّ، قلت: «حسنًا سيد ليمان، ما رأيك بفحصي له بمساعدة الأخصائي النفسي والاجتماعي، لن يستغرق الأمر الكثير حقًّا».

قلتُ وأنا أُمسِك بيده الصغيرة: «هل تمانع لو بقيتَ لمقابلة السيد الطبيب، يريد التحدث معك؟».

أومأ برأسه إجابًا، ثم خرج والده، وبدأنا بالحديث معه، حتى دهشنا من حديثه، ولأصدقكم القول: «اجتاحني القلق عليه كوالده حينما بدا إعجاب اللجنة يفيض من أعينهم».

اجتمعت بوالده، وطلبت منه عدم إخبار أي طبيب آخر، وأنني سأقوم بالمزيد، وأخبرته التشخيص الأوَّلي -إن صدق- «حالة تشبه (متلازمة الموهوب الشديدة) ولكن تعتبر مختلفة ونادرة؛ حيث لا يعاني من أيِّ أعراض لِطَيف التوحُّد أو أيِّ شيء آخر»، والذي لم يقابلها بفرحٍ حقًّا، بل كان أول سؤال نطق به بعد صمتٍ لبعض الوقت: «هل سيكون بخير؟».

وهكذا أولت الأمور بعدها، حتى سُرق ملفه الطبي الذي كنت أغلق عليه بخزانتي بالمنزل، كنت أخبئه عن الأطباء الذين كانوا يتدرَّبون آنذاك؛ لأنهم كانوا من أماكن وأفكار تختلف، ومتعطشين لشيء يُغيِّر حياتهم أولًا.

والغريب أن الملف عاد مكانه بعد أيام، ولم ينقص منه أي شيء بتاتًا!

حتى تفاجأت يومًا -بعد عامين- بتقديم حالته الطبية في مؤتمر طبي دولي بواسطة أحد المتدربين، والذي أصبح بعدها بروفيسورًا.

أخذ مني إثبات الأدلة، إنني طبيبُه المكتشف الكثيرَ، وتعرضت للكثير من المساءلات على إخفاء ملف مريض بالمنزل.

ما زلت أذكر بكاء ليمان عندما أجبت على اتصاله وهو يقول: «أندريس أرجوك ألكاي ألكاي».

ركضت بكل خوف تلك الليلة، ووجدته متمدِّدًا مرتفع الحرارة، ينتفض بشدَّة أمام باب غرفته؛ حيث سقط هناك.

ثم بعد مرته الثانية كنت قد شرَعتُ بصنع الحقنة بمساعدة شخصٍ أثق به بشدَّة، نظر لي ليمان بعد استيقاظه، وهو يقوم بجرّي خارج الغرفة ويقول بحزمٍ: «خذه أندريس، أرجوك» نظرتُ بشيء من الغضب، ثم نطق وهو يراه يقترب، وعلم أنه سيسمع حديثنا حتمًا: «أنا لا أستطيع تحمُّله أبدًا، تعبت كثيرًا، أنت الآن المسؤول عنه أنا لديَّ أطفالي سأعتني بهم!».

ولم نمكث حتى رأيت ألكاي يعود يحمل حقيبة يد امتلأت ببعض الملابس التي دُسَّت بها بعنفٍ، وهناك آثار دموع بعينَيه.

رفعت نظري لوالده، الذي كان يحدِّق بالأسفل، بينما كان يحدِّق بالحقيبة، ودموعه تتزاحم حتى التفَّ مُغادِرًا وهو يقول: «اذهب معه ألكاي، هذا أمر والدك، عُدْ متى ما أردت أو ابقَ لدى ماريا، فهي تُعَدُّ والدتك».

صرخ به ألكاي وهو يقول: «أاابي، أنا سأكون قمرًا مكتملًا بجوار نجمة أمي، وأنت ستكون وحيدًا وبعيدًا عنا».

وغادر معي، ودموعه تنسكب بشدَّة، وبعد ذلك اليوم لم أرَهُ يبكي أمام أحد،

مكث لديَّ ثلاثة أعوامٍ، وكان يرى والده بين فترة والأخرى، حتى عاد للمنزل أخيرًا.

وهنا بدأت نوباتُه التي أخفيتها بشدَّة طوال تلك الأعوام الماضية، لكن المؤلم أنها بدأت في تزايد مدَّتِها.

اكتشفت مؤخَّرًا أن من سرَّب الملف لم يكن سوى والدة إلياس؛ حيث أعطتْه أحدهم أثناء زيارتها لإلياس بعد انفصالنا، أعادته بعد أيام في زيارة أخرى، لم استطع مواجهة إلياس بذلك، تركت له مظروفًا يحمل الرسالة وبعض التفاصيل الأخرى.

الغريب أن لا صلة لها بالبروفيسور راين مُقدِّم الملف آنذاك.

وضعتُ الكثير في دائرة الاتهام.

حسنا اليوم، وجدت ملفًّا أسفل الباب التقطتُه بسرعةٍ، وبعد تفحُّصِه شعرتُ وكأن السقف سقط عليَّ حقًّا، والدم اجتمع بوجهي وهو يحتدم بشدَّة.

في التقارير المُرفَقة كُتب عن الخطة التي نجحتْ لمركز الأبحاث، وبالفعل أرفقوا خزعات من دماغه بالرقاقة ليستخدموها لـ(بحوث بيولوجيه لعلم الأجنَّة الوراثي).

سيُجرُون تجارِب بالخزعات بالأجنَّة وحديثي الولادة لتغيُّر شيء هم لم يخلقوه من الأساس، يريدون تغير التسلسل الجيني العلمي وصنع جيلٍ ذكيٍّ كما يزعمون باستخدام ألكاي.

آلمني ذلك حقًّا، شعرت بالتقصير الشديد تُجاهَه رُغم نفْيِه لذلك، يؤلمني مروره بكلِّ هذا برُغم صِغَر سنِّه.

أتمنى أن ينجح إلياس بما أوليتُ له من مهمَّة.

يبدو كلُّ شيء جميلًا كما المخططات التي وجدتها، علمت أنه صبيٌّ يمكن الاعتماد عليه.

لطالما كان أخًا وابنًا رائعًا فعلًا .....

.....

.....

- بعد أيام -

أندريس يدخل بعد اتصالاتٍ أجراها مع إلياس وليمان وماريا ليطمئنُّوا عليه، وقف ينظر إليه وهو شارد الذهن ينظر للنافذة، وعينه المتَّضحة لأندريس تنزلق من عليها الكثير من الدموع المتألِّمة.

عاد أدراجه ليُعطِيَه بعض من الوقت.

17. ألكاي

بالنظر للخلف، لم أكن ذلك الفتى المُدلَّل كثيرًا....

لم تكن طفولتي مُفعَمة بالكثير من المغامرات ولا السفريات ...

ولم أكن أخرج لوقتٍ مُتأخِّر، وأقضي الكثير من الوقت على ألعاب الفيديو في مراهقتي ...

فعندما بلغت الثامنة عشرة كنت قد أصبحت خاطبًا من ابنة أحد العلماء الذين لطالما قدموا المساعدة لأندريس منذ صغري، وأرادوا توثيق ذلك التعاون بالزواج بعد بلوغي العشرين.

ولكن لم تدم تلك المخططات مقابل رفض ابنته عندما واجهتني يومًا في إحدى الحفلات التي جمعت بين العائلات؛ حيث قالت بلسان مثقل بالرفض: «أعتذر منك ألكاي ... أنا لا أخطط أن أكون يومًا زوجة لشخصٍ لا يشبه سوى روبوت يتحكَّم الجميع في كيفية عمله حقًّا، وأعلم أنك لن تستطيع منحي حتى المشاعر التي أشكُّ بوجودها لديك!».

ثم قالت قبل مغادرتها: «هل يمكنك فسخ الخطوبة؟! لا أريد تلقِّي العتاب وحدي أنا هنا الضحية».

حسنًا ... أعترف أنه لضَربٌ من الجنون زواجي بعمر العشرين حقًّا، ولم أكن أخطِّط لحياةٍ زوجيةٍ مثاليه أبدًا.

لكن ظننت أنه يمكنني التحرر عند بلوغي تلك الغاية، وأني أستطيع الذهاب؛ حيث أشاء، وأعيش كيفما أريد ....

رغم فسخ تلك الخطوبة إلا أن والدها لم يتوقف عن مد يد العون حتى أنه أنشأ منظَّمة بالتعاون مع أندريس، مُخصَّصة للرعاية الكاملة بي واستمرار البحوث والدراسات التي يمكن بها اكتشاف علَّتي وعلاجها!

اعتدت النوم في وقتٍ تم جدولته لي مسبقًا، الساعة العاشرة، والاستيقاظ السادسة صباحًا، هههه ... يا للعجب!!! تسقطني تلك الإغماءات رُغمًا عني عند تخطئتي لهذا الوقت، وكأنها تذكرني بكوني غير مخيَّرٍ حتى بالنوم!!!

تلقيت الكثير من الاهتمام من والدي، والذي فسَّرته فيما مضى، لا أعلم كيف أصيغها غير العبء.

اهتمام أندريس وإلياس وماريا وحتى إيفا التي اكتشفتُ مؤخَّرًا أنها أختي شعورٌ غريبٌ وجميلٌ جدًّا ... لست أشتكي من اهتمامهم، ولكن أشعر بثقلي عليهم، أشعر بالوحدة رُغم وجودهم حولي ... أشعر أني أمتلك كل شيء، ولكن لا أستطيع الاستمتاع به!

هناك جزء مني بدأ بالانطفاء، أريد النوم بعد الحاديه عشرة مساءً، وليس قبلها ... أريد الركض حتى ينقطع النفس لدي ... أريد الصراخ بملء حنجرتي ... وأخيرًا: أريد لهم الاستمرار دون وجودي!!!

17. رماد الزيتون

بعد بعض الوقت دخل بسرعةٍ ليخبره بالقادمين ...

دخل الكثيييييير من الأطباء والمتدربين، الذين يفوق عددهم العشرين على الأقل!

حيث بدأ أندريس بشرح الحالة لهم أمام ألكاي الصامت، الذي يدور بنظره بينهم حتى استوقفته إحدى المتدرّبات، وهي تذرف الدموع بالخلف، وتحاول تخبئة وجهِها بالنظارات والشعر الذي عرف أنه مستعارٌ لمعرفته لصاحبته الحقيقية؛ ألا وهي (روف)، تقف من بعيد وتراقبه، وهي تمسح كلَّ دمعةٍ تنزل بسرعةٍ خوفًا من رؤية أحدهم لها.

شاح بنظره بسرعةٍ عندما رفعت عينيها نحوه.

التفتَ له بسرعةٍ أندريس عندما أشار أحدهم على جهاز قياس نبضات القلب التي تشير بالارتفاع ...

اقترب أندريس، وهو يقوم بفحص سريع له، وهو يشتت بنظره عن عيني أندريس حتى غادروا جميعًا!

أندريس، وهو يقترب منه ويقول بقلقٍ: «هل تتألم؟ قلبك هل يؤلمك؟! أين تتألم؟ أخبرني، لمَ ارتفعت نبضاتُك؟! هاه أخبرني».

ضَحِك ألكاي بصوتٍ خافتٍ؛ ممَّا جعل أندريس يبتسم بتساؤل ويقول: «ماذاااا ألكاي؟» ويبتسم له: «اشتقت لضحكاتك لكن ما سببها الآن!».

ألكاي -وهو لا يزال مبتسمًا-: «أنا بخير ... فقط لم أتوقَّع أن تصل لهذا الحدِّ!» ويغمض عينيه ويبتسم.

خرجتْ وهي تبتعد عن جموع الأطباء، وتدخل لغرفة صديقتها.

كارتال: «روف ماذا بكِ؟ هل بكيتِ؟!».

روف: «لا عليك، بخير، شكرًا لك كارتال حقًّا».

كارتال: «شكرًا لكوني متدربة هنا هههه، ماذا فعلتِ؟ هل رأيتِه؟ هل هو بخير؟».

روف: «لا أعرف! لا أراه بخيرٍ أبدًا، يبدو أن أبي فعل ما يريد بالفعل».

كارتال: «ما الذي يريد فعله روف؟!».

روف -وهي تنفخ شفتيها، وتلوح بعينيها يسارًا-: «حقًّا أعجزُ عن تصديق ما يريد الوصول له كارتال، يريد صنع جيلٍ جديدٍ من دماغ ألكاي! هل تستطيعين تخيُّل ذلك حقًّا؟!».

كارتال تُطبق شفتيها بيدها، وتقترب منها متسعة العينين: «كيف؟! رووف ... هل جُنِنتِ؟! تحدَّثي بما يصدَّق أرجوك!

روف –تبتسم، وهي تزمُّ شفتيها وتومئ برأسها-: «ضربٌ من الجنون! صحيح؟ مع الأسف الشديد هذا ما سيفعله، آاه، ويبدو أنه أستطاع ذلك».

تغيَّر صوتها، وتحشرجت حنجرتُها، وهي تصف لها حالَه: «كارتال، تورمت عيناه، وبرزت عروق رأسه، وتغيَّر لونُها، لم يستطِعْ التحدُّث ولا الحراك ... آاه، وتمَّ وصلُه بالكثيير الكثير من المستشعرات الدقيقة!».

امتلأت عيناها مرة أخرى ...

اقتربت منها كارتال، وهي تجلسها مقابلًا لها، وتنظر جيدًا لها ...

روف -بتعب وهي تبتسم وتمسح دموعها براحة يديها-: «ماذاااا؟! لمَ تحدِّقين بي؟!».

كارتال -تبتسم وهي تقول-: «روف، أنتِ وقعتِ بحبِّ هذا الفتى!».

روف -تشتت نظراتها وهي تقول-: «ظنُّك خاطئ مع الأسف، ليس كذلك».

كارتال –باستدراج-: «حقًّا، آاه ... فهمت ... ماذا إذًا؟ هل تَرَينَه كأخٍ أو شخصٍ قابلٍ للشفقة لا أكثر؟ صحيح!».

روف -بتعبٍ وهي ترخي جسدها على المقعد الجلدي خلفها-: «آه، لم أقُلْ إنني إنني أراه كأخٍ، ما هذا؟ حسنًا ... لا أشفق عليه كما ظننتِ، فقط لا أريد لوالدي التورط أكثر، ستنفجر الأمور بسوء، فقط أكره جشع العلماء».

كارتال -بتغير للموضوع-: «هل قلتِ له إذًا للذَّهاب معي؟».

روف -وهي تتعدل-: «لا هو متوتر هذه الفترة، أحاول عدم الاحتكاك معه».

كارتال -بحزن-: روف كيف أصبح والدك هكذا؟!».

روف -وهي تأخذ نفسًا عميقًا-: «آاه ... لطالما كان هكذا، لا يخبرنا بشيء من صِغَرِي، كان يغلق على نفسه في مكتبه، ولا يسمح لنا برؤيته بتاتًا، وبالأخص بعد تلك الليلة، ما زلت أذكر لمعة عينيها ببعض الدموع، ما زلت أذكر صُرَاخه على أمِّي بعد دخولها مكتبه لتُحضِر لي الكرة خاصَّتي عندما تدحرجَتْ لتدخل أثناء خروجه منه، لا يثق أبدًا بمن حوله؛ حتى عائلته!».

كارتال -بمواساة-: «روف، سيدرك مع الوقت ... صدقيني!».

روف -تومئ برأسها-: «سيدرك سيدرك، ولكن المهم متى سيدرك كارتال؟! وكم سيكلفه ذلك الإدراك المتأخر؟!».

- يوم جراحة ألكاي الأخيرة في مركز الأبحاث -

مرَّ الوقت، وهم لم يستطيعوا تخديره، لم يستجب جسده له ... بعد مرور ساعتين نجحت محاولاتُهم!

يجلس على طرف السرير بعد تجفيف شعره بعد رحلةٍ مُتعبةٍ.

التقط هاتفه، وهو يرى رسالة أندريس التي يخبره: أنه سيغلق هاتفه لدخولهم للجراحة.

زَفَرَ، ثم تمدَّد وهو يتمتم بالدعوات لألكاي، أغلق عينيه لعلَّه يسرق من الوقت بعض النوم والراحة.

عَبَسَ وهو يسمع صوت رسالةٍ وارِدةٍ بهاتفه، نهض باستياء بعد ارتفاع صوته هذه المرة بالرنين، الذي لم يستمر سوى ثوانٍ، اعتدل بجلسته، وهو يرفع الهاتف، ويقوم بفتحه ليُصعق لما ورد بالرسالة التي لم تكن من أندريس!

أخذ يركض بالغرفة، لا يعلم: ماذا يريد حتى؟! خرج تاركًا هاتفه الذي يرن خلفه دون انتباهٍ منه ... التقط طفاية الحريق الموجودة بالمطبخ، وهو يركض بعد استيعابه لهول ما حدث ... توقفت قدماه، وهو يرى ألسِنَة النار تتصاعد من المعمل في بستان الزيتون!

جذب انتباهه صوت عثمان وهو يصرخ، يركض من آخر الحقل عند رؤيته للحريق!

ركض أيضًا وهو يلهث ويقترب من المعمل بسرعةٍ، محاولًا الدخول، ولكن أوقفه عثمان وهو يجذبه للخلف، وهو يصرخ عليه: «سيدي سيدي، لنخرج أرجوك، سينفجر لا محالة، الحريق سيفجر الكهرباء».

دفعه إلياس وهو يدفع الباب، ويصرخ ويغطي وجهه بكلتا يديه عندما واجهه اللهب.

اتصل عثمان بليمان -وهو يصرخ- ليخبره بالحريق، وأنَّ إلياس لا يزال بالداخل.

تصاعدت الأدخنة وعلَتْ أصوات الانفجارات بالداخل التي كان سببها المحاليل والأوكسيجين ... التي سبَّبت امتداد الحريق بكافَّة المبنى.

بعد فتور كلِّ شيء، وتحوُّل كلِّ شيء للونٍ أسود تُخالِطُه بعض النيران الصغيرة في بعض الأخشاب ...

ليمان -وهو يصرخ على عثمان ويهزه-: «عثمااان! أمتأكد أنه خرج؟!».

عثمان -وعينيه ترتجف-: «أقسم لك، أنه خرج أحدهم من الداخل وهو عبارةٌ عن كتلة من السواد، وتوارى خلف الجدار الصغير الذي لم تصِلْه النيران، أو على الأقل لم يتضرَّر كثيرًا».

ركض ليمان حتى جثا على ركبتيه أمامه بصدمة ...

كان شارد الذهن، وجهه مغطًّى بالدُّخَان الأسود، وشعره يغطِّي عينيه، متقرفصًا، محتضنًا نفسه بصمتٍ.

أخذ ليمان يتفقده وهو يقول: «إلياس هل أنت بخير؟ تحدث يا بني، هل حدث شيء لعينيك؟» وهو يزيح بعض الخصل عن جبينه.

زَفَر براحةٍ، ولكن نظر ليده اليمنى القابض عليها بشدَّة، رفعها وهو يقول: «هل تؤلمك؟» ويحاول فتحها، حتى سقطت منها بعض الصور التي احترقت أطرافُها.

جلس بجواره، وهو يتنهَّد، وقال بعد بعض الوقت، وهو ينظر أمامه: «إلياس، وكأن حال الجدار يقول: لو ظننت أنك وحيدٌ هناك، من يجد بك متكئًا له؟».

نظر إلياس -وهو يأخذ تنهيدة-: «آاه، هل ينبت الزيتون من جديد رُغم رماد الأرض ليمان؟!».

أومئ برأسه وهو يقول: «ما دامت الأرض تتعرَّف على الزيتون ستقبل نموها ولو مُلئت بالرماد».

وقف ليمان، ومد يده لإلياس: «هيا انهض، لا عليك، ستتعرَّف كل أرضٍ من جديد على أشجارها».

وقف إلياس، ولكن تأوَّه، وهو يحاول الوقوف، ولكن دون جدوى، حتى أسنده ليمان وأجلسه بالسيارة، وهو يقوم برفع بنطال البجامة الذي كان يرتديه، بالفعل ساقه تعرَّضت لحرقٍ شديدٍ، أخذه للمشفى وقاموا بتضميده.

إلياس -وهو ينظر لمنزل ماريا الذي توقَّفت سيارة ليمان أمامَه-: «ماذا تفعل؟ لمَ أخذتني هنا؟!».

كان الوقت السادسة صباحًا.

ليمان نظر له: «أنت بحاجة للرعاية، لا تعاند، حاول النقاش، ولكن فتح الباب وأسنده لينزل، أغمض عينيه وهو يتوقع ردَّة فعل ماريا ...

طرق الباب، فتحت ماريا وهي تضع الوشاح عليها لبرودة الطقس، لِتُسقِطَه بهلعٍ وهي تُطبق يديها على شفتيها: «ماذاااا حصل؟ مااذا؟» وتأخذ بيده:

«إلياس من الذي فعل بك هذا يا بني؟» وتبكي، ممَّا جعل الصغار يُخرِجون رؤوسهم من خلف باب غرفتهم، وإيفا تركض من الأعلى بشعرٍ منكوشٍ وعيونٍ مرعوبةٍ، وهي تصرخ: «أمي أأأأمي! ماذا حدث لها؟!».

توقفتْ أسفل السلالم، وهي تراهم توقفوا بسبب صراخها، وينظرون لها، حدَّقت بسرعةٍ بهم لعلها تستوعب: «أمي بخير! وعم ليمان! ماذا يفعل هنا؟!»، عقدت حواجبها، وهي تقول -لكن بصوت أصبح مسموعًا-: «من هذا الأسود؟»، وتقترب وتمدُّ يدَها بغباء ترفع كمَّه الأيسر المقطوع «آاااه أنت إلياس؟!».

إلياس ضَحِكَ بسبب مظهرها، لم تستوعب كلَّ هذا إلا بعد ضَحِكِهم جميعًا عليها.

.....

بغرفة المعيشة، بعدما شرح لهم إلياس؛ حيث أخبرهم باحتراق منزل البستان دون الخوض بالتفاصيل.

نطقت إيفا، وهي تنظر له بتحليلٍ للأحداث: «إلياس، هل هناك أدوية تخصُّ ألكاي؟ قد تكون تسبَّبت في انتشار الحريق!».

إلياس، وهو يركِّز نظره عليها: «دَعِي إيفا المُحقِّقة جانبًا، أعلم إلى أين تريدين الوصول ...»، والتفتَ على ماريا بنظرات مكسورة: «ماريا، أنا جائع ...».

ماريا تمسح براحة يدها عليه: «آاااه صغيري، إيفا هل ستعدين الإفطار أم أقوم أنا بإعداده؟!».

إيفا تقف: «لا ... أمي، سأفعله» وترمق إلياس بنظرة ابتسم بسببها.

بعد الإفطار وذهاب ليمان...

إيفا: «أمي سأذهب، لديَّ عملٌ يتوجب عليَّ فعلُه».

ماريا: «إيفا ابْقِي معنا قليلًا».

إلياس وهو ينظر ليدَيه بعد تنظيفها: «قابلتِ أخاك؟ كيف وجدتِه؟!».

ابتسمت: «أجل، لا يزال رائعًا كما اعتاد أن يكون».

قام برفع حاجبه الأيمن وهو يبتسم وينظر لها: «أجل هو كذلك».

أعادت له الحركة: «إلياس، لا تحاول استفزازي!».

نظر ببراءة بعدما تنبَّهت لهم ماريا: «ماذاااا فعلتُ؟ لم أقل شيئًا سوى أنه رائعٌ -كما وصفْتِه-، حَصلْتِ على أخٍ كما تمنَّيتِ».

ماريا: «آاه، حسنًا، توقَّفا ... أعلم أنه سيتجه حديثكما هذا، تحاولان الجدال في كل فرصة، انْهي عملك إذًا، وأنت اخلُدْ للنوم، أنت مصاب بالأرق بالفعل».

إلياس -ابتسم وهو يراها تقف-: «إذا احتجْتِ مساعدةً في دروسك تعالِي إليَّ».

ابتسمتْ ورمقَتْه بنظرةِ كبرياء: «شكرًا لك، سيساعدني أخي عندما يأتي، كما تعرف، هو أذكى منك بالطبع» وغادرت ...

وهو نام بعد بعض الوقت، وبعد إخبار أندريس له بانتهاء الجراحة بسلام.

.....

يعيد شعره للخلف بالفرشاة عدَّة مرات، وهو ينظر للمرآة، أغلق الساعة على معصمه، نثر بعض العطر، قام بتعديل معطفه، وهو يعطي نفسه نظرةً أخيرةً قبل ذَهابه، ابتسم برضاء ...

دخل أندريس وهو يقوم بصوت صفارة دليلٌ على إعجابه، ويغمز له بالمرآة أمامه: «إلى أين أيَّه الأمير بهذه الأناقة العالية؟».

ألكاي، وهو لا يزال ينظر بالمرآة: «كيف أصبحتُ؟ أستحقُّ التَّجوال بعد أسبوعين من التعب».

أندريس: «أربعة أسابيع ألكاي، كنْ حذِرًا، أصبحت حديث الصحافة، الجميع يعرفك الآن أكثر، غدًا نعود للديار، احرِصْ على العودة باكرًا».

نظر للساعة بمعصمه: «آاااه، أجل، لا تزال الثالثة، أريد رؤية الغروب»، ابتسم وهو يَهمُّ بالمغادرة: «لا عليك سأعود قبل العاشرة بالتأكيد لا عليك».

.....

أوشكت الشمس على الالتحاف بضوء النجوم بعد انتهاء دورها لهذا اليوم.

نظر لساعة معصمه باستنكارٍ: «السادسة ولم تحضر!».

فتح هاتفه ليتأكَّد مرة أخرى، لربما نسي الوقت بالتحديد، كما نسي المدة التي مكث بها بالمشفى.

- لا هذا صحيح، الرابعة مساءً هو الموعد!

وعادت به الذكريات للَّيلة الماضية، تمدَّد على السرير وزَفَر براحة، يشعر ببعض السعادة لانتهاء كل هذا.

رغم انزعاجه من الأخبار المنتشرة، والسبب الحقيقي خلف الجراحة، ولكن لم يتتبع أيًّا منها أو يخوض في قراءة أيِّ مقال.

رفع هاتفه، وهو يريد لقاءها قبل مغادرته، لديه الكثير من الأسئلة، كان سيتصل، ولكن تراجع ثم قام بفتح تطبيق المراسلة.

وهو يكتب بتردُّد: «مرحبًا ... هل لك بملاقاتي غدًا قبل ذَهابي، لديَّ ما أريد قوله!».

أراد مسحها لجِديَّتِه في الرسالة، ولكن اتَّضح أنها قُرئت، عضَّ على شفته وهو يُغمِض عينًا ويفتح الأخرى، وهو يرى أنها تكتب.

فتح عينَه عندما اهتزَّت يده لوصول الرسالة: «حسنًا، أين؟».

عقد حاجبَيه، وشاح بنظره للأعلى جهة اليمين في تفكيرٍ: «عند الصخرة تلك، الغروب هناك جميل».

- حسنًا، الرابعة مساءً، سأكون هناك.

....

18. الثانية عشر بعد منتصف الليل

تحرَّك بسرعةٍ لسماعه خطوات تقترب، لكن خابت آماله عند رؤيته للسائق.

- سيدي، هل نغادر؟ أتيت بالوقت المحدَّد صحيح!

زَفَر وهو يرى الشمس توارت بالفعل خلف الغيوم، وأسدل الليل ستاره بهدوء، نظر مرة أخرى لساعته التي تشير للثَّامنة إلا دقائق، هزَّ رأسه وعاد للفندق للاستعداد للرحيل في الغد.

- التاسعة صباحًا يتصفَّح أحد المقالات التي تتحدَّث عنه خصيصًا أثناء انتظاره لإقلاع الطائرة.

عقد حاجبيه واتسعت عيناه بسرعةٍ وهو يُدقِّق على الصور، التفَّ على أندريس وهو قد أمسك بحزام الأمان لفكِّه، أندريس استعد للنوم.

توقف وهو يزمُّ شفتيه للداخل بقلقٍ، وهو يسمع البلاغ بإقلاع الطائرة، زَفَرَ وضرب بقدَمِه الأرض.

نظر له أندريس: «ماذا بك؟».

ألكاي -وهو يحدق بالنافذة-: «لا شيء، ارتطمت قدمي بالأسفل» وأكمل في صمتٍ تحديقَه، وهو استنتج: سبب تخلُّفِها عن المجيء الليلة الماضية.

المقالة نُشرت صباح الأمس بالتأكيد، اطَّلع عليها البروفيسور راين، ولن يستغرق كثيرًا في ربط تلك الصور بالأحداث.

حاول النوم وهو يطمْئنُ نفسَه أنه والدها مهما حدث لن يفعل لها شيئًا.

وعندما أغمض عينيه، تذكَّر حالتها وارتجافها وخوفها تلك المرة عند الشاطئ، فتح عينيه وعضَّ على شفته.

وعقلُه يَعرِض عليه كل الاحتمالات التي قد حدثت أو ستحدث.

.....

كان منحنيًا وهو يحدِّق بشرود في الأرض، ولم ينتبه لنداء أندريس له.

فزَّ، وكأن عقله أخيرًا أعاده للواقع: «هاااه».

أندريس -وهو ينظر لعينيه الحمراوين، والتعب المتَّضِح بهما-: «أنت! ماذا بك؟».

- لا، هذا مستحيل، صحيح!

نظر بتشتُّت: «ماذا .. ما هو المستحيل؟».

أندريس بدهشة واستنكار: «ألكاي الوقت هو الثانية عشر صباحًا».

وكأنه أدرك ما حوله وهو ينظر بهاتفه: «آاه أجل ... واااو تخطيت العاشرة أندريس».

أندريس -وهو ينظر إليه بغضبٍ-: «اقسم بذلك لي ... هي ... أأنت ... هل جننت مؤخَّرًا؟! ألكاي، ألَمْ تنَمْ حقًّا من صعودنا؟ لم يتبق إلا القليل ونَصِل ... ماذا تفعل؟!» وهو يضع أصبعه السبابة على جانب رأسه الأيمن، ويدفعه قليلًا: «أتريد أن تمرض وتَغِيب عن الوعي قبل لقائهم؟ انظر لعينيك، أُجزِم أنك ستسقط قريبًا!».

ارتخى ألكاي للخلف، وهو بالفعل يشعر بالصداع، لكن دماغه لم يكن يدرك ما حوله بسبب ضغطه عليه للتفكير المبالغ به، قال وهو ينظر للأمام:

«تخطَّيت العاشرة بالفعل، هذا جنون» ويبتسم بهدوء!

أندريس -وهو يسحب معصمه ويغرس حقنة صغيرة به-: «ما الذي عشْتَه بعد العاشرة إذًا؟! تسع ساعات ستفي بالغرض».

نظر إلى أندريس دون أن يرفع رأسه بحزنٍ، وهو يقاوم مفعول المنوم الذي يسري بجسده.

- رأيتك بعد حلول الثانية عشرة ... انزلقتْ من عينه دمعةٌ قبل إغلاقها واستسلامه للنوم.

مسح أندريس دمعته ويده ترتجف: «أعتذر يا صغيري، أنا آسف حقًّا».

- اليوم السابق -

تتحدَّث مع كارتال وهي تجلس على سريرها حتى اهتزَّ هاتفها برسالة.
ابتسمت والتقطت كارتال الهاتف بسرعةٍ: «واااو!!! موعد غرامي».

روف -وهي تقفز عليها وتغلق فمها بيدها خشية سماع والدها-: «اصمتي اصمتي»، وتأخذ الهاتف، وتَجِدُها قرأت الرسالة، نظرت بها بغيظٍ: «ماذا فعلتِ كارتال؟».

- هههه، أجيبي عليه، لا تطيلي، سيظن أنَّكِ ما زلتِ تُعيدين القراءة .. هههه.

أجابت: «حسنًا، أين؟».

كارتال -وهي تجلس بجوارها-: «ما هذا؟! بروووود!».

روف: «ماذا أقول أيضًا؟!».

بعد اقتراح المكان أغمضت عينيها، وهي تجترُّ تنهدة حزينة.

كارتال: «آاااه، يبدو أنكم قضيتم وقتًا جميلًا هناك، اكتبي الرابعة مساءً هيا».

روف تنظر لها وتكتب، بعد تأييد كارتال لها بعينيها، أغلقت الهاتف.

ابتسمت وهي ترى كارتال تفتح الخزانة، وتخرج الفساتين، وتدور بها أمام روف، وتقترح عليها ارتفعت ضحكاتهم وتعليقاتهم ...

حتى سكن الصمت والرعب أرجاء المكان بعد اقتحام والدها الغرفة، وهو يفتح الباب بقوَّة، حتى أصدر صوتًا وهو يرتطم بالجدار.

أسقطت اللباس الذي تم اختياره على الأرض، وعيناها ترتعشان، وهي تتذكَّر نظراته الغاضبة، نظرت لكارتال التي تبتلع ريقها بصعوبةٍ، وهي تغلق أحمر الشفاه، وتضعه بهدوء، نظر راين بكارتال: «اخرُجِي، السائق سيوصلك لمنزلك».

كارتال نظرت إلى روف، التي تهز رأسها لها.

اقترب منها بعد إغلاق كارتال باب الغرفة بعد خروجها، وهو يمشي على اللباس المُلقَى على الأرض، وهي تنظر لخطواته بخوفٍ.

روف -ابتسمت بخوف-: «أبي! ماذا حدث؟».

راين -وهو يمسح على شعرها، حتى اقترب من مؤخِّرة رأسها، وقام بسحبه، حتى التقت أعينهم، وهو يقف خلفها متجاهلًا تأوُّهَها لشَدِّه شعرَها بقوَّة ودموعها المتجمعة-: «ماذا حدث؟! أنا أخبرك ماذا سيحدث الآن؟».

قام بتعديل وقفتها، ثم صفعها حتى سقطت على الأرض، اقترب ونظر لها بتقزُّز وبصَق بوجْهِها.

- يا أسفي على تربيتي لفتاة مثلك، ليتك بجانبها .....

ارتجف فكُّها وهي تمسح وجْهَها بيديها ودموعها تَكسو وجنتَيها، رفعت رأسها وهي تزيح شعرها الذي غطَّاها، وتقول بصوتٍ مرتجفٍ: «تستطيع تحقيق أمنيتك، ليست مرَّتَك الأولى على كلِّ حالٍ، صحيح!».

انحنى حتى أصبح بمستواها ونطق: «ماذا تقصدين؟».

نظرت له بكُرهٍ واشمئزازٍ وبارتجافٍ: «العالِم الشابُّ (جيم) لا أزال أرى آثار دمائه بتقاطيع وجهك أبي».

رفع فكَّها بسبَّابته، حتى نظرت له، وابتسم بخبثٍ: «بفضل ابنتي الذكية - وبصرخةٍ أرعبتْها- والخائنة أيضًا».

أخذ هاتفها وتصفَّحه، ثم رماه حتى تحطَّم بالأرض، أحنت رأسها بالأرض دون حراكٍ، ودموعها تسقيها ترى خطواته يبتعد من الغرفة، ثم يعود مرَّةً أخرى، رفعها بيدها حتى وقفت.

- حسنًا روف، هل تحبينه لهذه الدرجة؟

كانت تنفي بقوة، ودموعها تنهمر.

- لا لا هو فقط أنقذني أبي عندما سقطت في البحر.

أومأ برأسه: «آه، هذا هو الموضوع! أتفهم ذلك».

رفع الجهاز اللَّوحي: «ما هذا إذًا؟!».

روف تنظر بعيونٍ متَّسعة ...

ستة صورٍ وهم يركبون السيارة عند مغادرتهم.

- للتوضيح: لم أبحث عنها، خرجت أمامي في أحد المقالات، تحقَّقت قليلًا لكيلا أصدق ذلك، حتى اتضح أنه لدى المصوِّر المتعقِّب أن صحَّ الوصف

الكثير الكثير، مثلًا الرقم (4) هل يعني لك شيئًا؟ رقم مقعده بالطائرة خلفَك بمقعدك يحمل رقم (1).

روف روف -وهي ترتجف بشدَّة ودموعها تحجب الرؤية-.

التفتَ عليها وهو يومئ برأسه: «لا، لا تبكي يا صغيرتي، دموعُك ثمينة، لا بأس، كلُّ الأطفال يُخطِئون، والآباء يعاقبون لأجل ألا يعودوا للخطأ بهذه البساطة».

روف تهزُّ رأسها بشدَّة وشهقاتها ترتفع عندما قام بسحبها، عرفت العقاب، صرخت وهي تتشبَّث بحافة الباب الخشبية؛ علَّه ينجدها، تُغمِض عينيها لكي لا تنظر، وتبكي وتتوسَّل وتصرخ.

وهي تتمسَّك مرة أخرى بقدمَيه، وتحني رأسها عليها: «أرجوك أرجوك أبي، أقسم لك، لا أستطيع الدخول، ليس هذا المكان، أي شيء آخر، أي شيء، اقتلني أرجوك» وتبكي وتنحني.

اجتذبها من شعرها، وهو يدفعها للداخل، ويغلق الباب عليها، ويذهب وصوت صراخها يملأ المكان، واستنجادها يتردَّد له.

لم يمرَّ سوى نصف ساعة حتى امتلأ جسدُها بالجروح الصغيرة التي تُسبِّب لها الحكة الشديدة، ولا تستطيع حتى أن ترفع رأسها لتنظر للجدران حولها التي أصبحت عقابًا لها منذ كانت صغيرة هي ووالدتها (جدران مليئة بالثقوب متفاوتة الحجم، والتي كانت عقاب والدتها قبلها معظم الأوقات، وأصبحت هي حبيسة غرفة الثقوب الآن).

صرخت واستنجدت وبكت حتى فقدت الوعي عند محاولتها التغلب على خوفها.

.....

19. أمواج صاخبة

احتضن إلياس وهو يقول: «أتمنَّى ألَّا تختفي يومًا تارِكًني خلفك، لا تفعل ذلك أبدًا مهما حصل».

إلياس وهو يبتسم: «لن نترك أحدًا خلفنا ألكاي اتفقنا».

إيفا تقف وهي تبتسم بجوار ماريا، ومدَّت يدها لتصافِحَه، ولكن احتضنها وهو يبتسم لها: «إيفا، كيف حالك؟».

ابتسمت وهي تبتعد عنه: «بصحة وسعادة غامرة لعودتك للديار».

ربَّت على رأسها بحنانٍ، وإلياس يبتسم بتأثُّر.

رفع يدَ ماريا وقبَّلها، وهي تمسح دموعها بفرحة.

بعد السلام والتحايا وفي بيت ليمان ...

تردد إلياس وهو يقول -وقد ثبَّت ناظرَيه على أندريس وألكاي-: «ماذا ستفعلون حيال ذلك؟ أقصد -وهو يقضم شفتيه بتوتُّر بعد تركيزهم نحوه- المعمل».

ألكاي بتوجُّس: «ماذا حدث للمعمل؟! ماذا نفعل به؟».

عاد إلياس ينظر نحو ليمان الذي أشار له بعينَيه ليكمل الحديث، ثم نطق: «آاا ... حسنًا في اليوم الذي دخلتَ الجراحة، وردتني رسالة محتواها أنه قد اندلع حريقٌ بالمعمل».

استوقف حديثه عندما نهض ألكاي بسرعةٍ فَزِعًا مُتَّسِع العينين: «ماذا تقول؟! كيف ذلك؟! ماذا فعلتَ؟! هل احترق بالكامل؟! تحدَّث إلياس».

ليمان يتحدَّث بهدوء: «ألكاي، كدنا نخسر إلياس ذلك اليوم؛ حيث رما بنفسه داخل النيران ليُخرِج ببعض الصور بيده».

إلياس أحنى رأسه بحُزنٍ لِمَا حدث.

جلس ألكاي بصمتٍ ينظر للأرض.

رفعوا رؤوسهم حين نطق أندريس: «أنا مفتعل الحريق، أعتذر منك ليمان لإلحاق الضرر ببُستانك».

قطب إلياس حاجبَيه، وركز نظره بوالده: «ماذاااا تقول أندريس؟!».

ألكاي نظر نظرة جانبية، مع ابتسامة بسيطة، وبعدها زَفَرَ: «انتهى الأمر إذًا؟! صحيح أندريس؟!».

وقف بعد دقائق متجهًا للخارج عندما لم يجد إجابة من أندريس.

أوقفه إلياس قبل أن يُغلِق باب سيارته ليغادر.

إلياس يفتح الباب الآخر ويركب ويربط حزام الأمان: «انطلق الآن».

نظر له ألكاي دون أن يلتفَّ نحوه، وانطلق متجهًا للبستان القريب من منزل والده.

.....

يقف بدهشة؛ حيث لم يَعُدْ لمكان المعمل أيُّ أثرٍ أبدًا، حتى أن الرماد غُطِّي برمالٍ جديدةٍ، وهم بخضَمِّ إنشاء شيء ما.

ألكاي -وهو يرمي بقدمه بالأرض متنهدًا-: «يبدو أنهم اكتشفوا بالفعل المكان كما قال أندريس، ويبدوا أن الأمر انتهى إذًا».

إلياس -وهو يلحق به-: «ما هو الذي انتهى ألكاي؟ تحدَّث، أنا لم أعد أعرف شيئًا حقًّا!».

ألكاي -ابتسم بحزن-: «لنذهب للشاطئ، ما رأيك؟ وسوف أخبرك».

أومأ إلياس بموافقة وأكملوا الطريق للشاطئ.

رفع رأسه للأعلى ويُغمِض عينيه بشهيقٍ وزفيرٍ للتخفيف من توتُّره ولاستنشاق نسيم البحر، ابتسم بعد فتحه لعينيه باستمتاعٍ للغروب الجميل.

استخرج هاتفه، وفتح على صُوَرِه ومدَّه لإلياس الذي يجلس متكئًا على يديه خلْفَه حتى تعدَّل وقطَّب حاجبيه، لفَّ برأسه تُجاه ألكاي الواقف يراقب الغروب بصمتٍ: «ماذاااا؟».

ألكاي: «ماذا تعتقد سيحدث لو علم والدُها أنها ساعدتْ بذهابي وبرفقتها أيضًا؟!».

إلياس يقف وينظر له بدهشة: «ماذا يحدث بينكم يا رفاق؟».

ألكاي يدلك رأسه من الخلف ثم يهزُّ رأسه مع بعض التنهيدات التي تصدر منه: «لا شيء».

إلياس -وهو ينظر له بشكٍّ ونفاذِ صبرٍ-: «لا شي! هي ... أنت تكلَّم، ماذا؟ هل بينكم علاقة جدية يااا...؟» وهو يرفع حاجبه ويغلق فمه بدهشة.

- انتظر انتظر، أنت تقول إنها هي من جعلتك تأتي هنا، ثم قامت بصنع الحقنة لستِّ ساعاتٍ متواصلةٍ، وحقنتْك بها، ثم عادت تبحث عنك من جديدٍ لِتُوهِم والدها بعدم المعرفة!!! واااه، أشعر بالقشعريرة ... هههه ... هذا جنونٌ!».

ألكاي يلتفتُ بسرعةٍ، ويقاطع حديثه بعينَين متسعتين: «ماذاااا؟ أنت لم تكن من أعطاني الحقنة إلياس!! ماذا تقول؟!».

إلياس -وهو يحني رأسه ويعضُّ شفتيه-: «أوو هذا صحيح، وقد طلبت من والدك وماريا عدم إخبارك، دعْكَ من هذا الآن، لِمَ أنت قلِقٌ الآن؟».

ألكاي يقف وهو يُغمِض عينَيه ويضع يده على جبينه، وَيزفِر، يشعر بضِيقٍ شديدٍ، ويتحرَّك يمينًا وشمالًا -بتوتُّر- ثم يعود ويضغط ما بين حاجبيه، وهو يقطبها ويزمُّ شفتَيه لداخلٍ بضيقٍ، أخَذَ هاتفه وفتح الدردشة -بتردُّد- ثم عاد وأغلقه، وزَفَر وهو يضرب بالهاتف بجبينِه خفيفًا بتفكيرٍ.

اقترب إلياس وهو يسحبه ويجلسه على إحدى الصخور القريبة، ويجلس أمامه على الأرض: «هل تحبها ألكاي؟!».

ألكاي قطَّب حاجبيه وأخذ تنهيدة: «آاا ... لا ... فقط» ويعضُّ على شفتِه.

إلياس يهزُّ رأسه ليكمل: «فقط ماذا؟».

ألكاي: «فقط قلِقٌ حقًّا، والدها شخصٌ سيئ -كما قالت- أعني أخشى أن .. آاا ا ... حسنًا ... أوف ... لا أعلم»، ويقف بسرعةٍ ويُعطي إلياس ظهرَه، وهو يحدِّق بالشمس، وقد توارتْ.

عاد يلف وجهه، وهو يضع يده على صدره ويدلِّكه بخفَّةٍ، وهو يقول بنفَسٍ ثقيلٍ: «أعتقد أنَّ القلق سبَّب لي ألمًا هنا» وعيناه ترتعشان «أخاف حقًّا أن أكون سبب ألمٍ أو وقتٍ صعبٍ تمرُّ به الآن» ويرفع رأسه وهو يسحب هواءً بشِدَّة، ويعود ليَزفِرَه.

قطَّب جاجبَيه، وعضَّ على شفتيه عندما احتضنه إلياس، وهو يُربِّت على ظهره، وهو يبتسم بحزنٍ: «قلبك ينبض بشدَّة يا أخي».

20. روف

اعتدتُ على صراخ والدي وغضبه الدائم من أمِّي على أيِّ شيء تفعله.

كنت أتلمَّس ندباتها في وجنتَيها كلَّ ليلةٍ؛ لأنها كانت تقول لي: «لمساتك لوجهي تُبعِد الألم» لكن كانت تُغمِض عينيها عندما أضع يدي على الحديثة منها.

وذات يومٍ، خرجتُ عن صمتي، كنتُ قد بلغتُ التاسعة حينها: «أمي، لماذا نبقى معه وهو قاسٍ، ويقوم بضربك؟ لِمَ تصمتين؟

قالت لي وهي تحتضنني: «أنا أنتظرك لتَكبُري قليلًا؛ لكي تُخلِّصيني من كلِّ هذا».

قلتُ وأنا أقبِّل يدَها: «سأصبح طبيبةً ماهرةً، وسوف أخفي نُدوبَك للأبد».

ابتسمتْ نصف ابتسامة، يبدو أنها لم تُحبَّ ذلك، ولكن لم تُرِدْ كسْرَ حماسي على الأغلب: «أجل ابنتي، ستصبح أمهر طبيبة».

ابتسمتُ بحماسٍ شديدٍ وأنا أنتظر اليوم الذي أنقذ كلتَينا فيه حتى فقدتُ تلك الأحلام في نفس العام، وقبل إتمامي حتى للعاشرة، ذهبتْ أمي وتركتْني أُجابِهُ كلَّ شيء وحدي.

كان والدي شخصًا لطيفًا معي بعد ذَهابِها، أراد لي الالتحاق بالطبِّ بالجامعة دون أن يكون لي اختيارٌ، فدرستُ بقسم الطبِّ وبالتخصص الدقيق (العقاقير)، وهو القسم الذي كَرِهتُه عندما فقدتُ أمِّي، فلم يعد هناك سبب لدراسته.

مرَّ الكثير من الوقت الذي كنتُ وحيدةً فيه، لو لم تكن كارتال صبورةً على تقلُّباتي المزاجية من بداية تعرُّفنا في إحدى العطل حين التقينا عند الشاطئ؛ حيث كانت تكبرني بعامَين، ولم يكن هذا الفارق عائقًا بصداقتنا العميقة والنقية، وبعد أن بدأت تسير حياتي بهدوء.

ثم أتت تلك الليلة، التي أقام فيها والدي حفلًا خاصًّا بيوم مولدي، الذي لم يحتفل به مسبقًا! اخترت الصمت تلك الليلة، كنت قد خشيت أن أُفسِد هذا الاهتمام المبالغ فيه حقًّا.

لكن بعدها بإحدى الليالي الباردة، والتي بدأت عندها حياتي بالانقلاب رأسًا على عقب، عندما شهِدتُ تلك الجريمة الشنعاء التي تمنَّيت حقًّا لو فقدت البصر على رؤيتها، والتي ما زلت ألوم نفسي عليها.

كان هذا لقائي الثاني معه ... طورَ القمر .... ذلك الفتى الذي حقًّا رأيت بعينيه جمالًا مختلفًا مليئًا بالحديث الذي لم أُرِدْ حقًّا التعمُّق في محاولة فهمه.

لا أعلم لِمَ شعَرتُ -عندما أنقذني- برغبة إخفائه عن هذا العالم؟ هو كثيرٌ على بحوثهم التافهة التي قد تُودِي بحياته، ومن مصدر هذا الخطر؟! والدي! آاه ... القاتل، هذا كثيرٌ حقًّا.

هو حقًّا جميلٌ بشكلٍ لافتٍ وهادئٍ وغريبٍ، يكتسي بلباسه الأسود كسواد أهداب عينيه الكثيفة، لديه ملامح تُشعر بالراحة وأنت تنظر إليها، أتيحت لي الفرصة للتمعُّن بكلِّ ذلك عندما غلبه النعاس بالطائرة، بتمام العاشرة مساءً، قبل وصولنا بساعتين، والتي أمضيتها بتفقُّدِه دون أن انتبه لمرور الوقت.

وعندما كنت على وشك العودة اتصلتُ وأنا أعلم أنه لا يريد الرحيل، لكن أردت سماع صوتِه، وأيضًا سأخفِي هذا الهاتف عند عودتي، شعرتُ بفُقدان التوازن بقدمي عندما أخبرني والدُه أنه مريضٌ!

عندما دخلتُ ووجدتُه، خجلتُ حقًّا من والده، وإلا كنت انتحبت من الخوف حقًّا،

أقسمت أنني سأنقذه وأنا أصنع الحقنة.

((سأكون دائمًا قاربَ النجاة لا الهاوية)).

حدث شيء غريبٌ عندما مرَّ بي أحدهم على درَّاجة نارية، ودسَّ بيدي رسالة قبل حَقني له أمام البستان؛ محتواها: أنَّ إلياس قادمٌ، وسيتولى الباقي، ظللتُ أفكر في هذا الشخص، ومن يكون؟ وهل يعرفون عنه في عودتي عندما بالفعل أرسل إلياس من هاتفه لوالدي أنه سيعود كنت أعلم أنه لم يستيقظ بعد

لن أنسى لكارتال مساعدتها لي عندما سَمِحتْ لي بالاطمئنان عليه عندما التفَّ الأطباء لصوت النبض المنبعث من الجهاز، حقًّا ظننتهم سمعوا قلبي أنا!

ولأن الحظ السيئ كتب بطريقي في كلِّ مرةٍ أحاول النجاة أَجِد القاع ابتلعني من جديدٍ، وكأنه أقسم على عدم إفلاتي!
هذه المرة، هناك من يتعقَّب طَور القمر، حتى أنني لم أستطع لقاءه مرةً أخيرةً قبل أن يحبسني والدي بتلك الغرفة المُرعِبة؛ التي كانت جدرانها تحتوي صرخاتي بثقوبها.

في تلك الليلة، أمطرت بشدَّة، أنا لم أره لكن سمعته من النافذة، ولعجزي عن فتح عيني صوَّرَتْ لي مخيَّلتي مشهدًا أخرجني من عالمي السيئ، لكن اللافت هذه المرة ضمَّته مخيلتي في أحداثها!
رأيتني أركض وضحكاتي تضجُّ بالمكان، أرتدي فستاني الأبيض المتَّسِع، وقد علَقتْ بأطرافه رمال البحر المبلولة بالموج، حافية القدمين، وشعري منسدِلٌ على كتفي، أشعَّة الشمس خفيفةٌ، فهي أوشكت على المغيب، شعور سعادةٍ جديدٌ فقدْتُه منذ زمنٍ.

أشعر بالفراشات تُحلِّق ببطني، ولسرعة نبضات قلبي التي سمعناها بوضوحٍ عندما أمسكني وهو يلهث، يمنعني من الركض، ويضحك، شعَرتُ وكأنني سأفقد الوعي بين يديه، الشاطئ هو المكان الذي اشتركنا بحبِّه بشدَّة.

توقف كلُّ هذا عندما حاولت استراق النظر لخيالي الذي صوَّره عقلي، وكأنه واقعٌ؛ لترتفع صرخاتي لرؤيتي لكل تلك الثقوب بالأعلى، وعلى كلِّ حائط بكل الجهات الأربعة عيني أقسمت لحظتها أن تجعلني أواجه مخاوفي بعد صمودٍ لعدة أيام، وأنا مطبقة عليها بشدَّة.

وبعد مدَّة، أخرجني والدي، وأنا هامدة فاقدة لصوتي الذي ابتلعته الثقوب.

21. صراخ الظل

إلياس يميل برأسه من خلف باب الحديقة الخلفية لبيت ماريا ويَطرُقه بخفَّة لينتبِه له كلٌّ من (ألكاي وإيفا)، وهما يحدِّقان بالنار الصغيرة الموقدة أمامهما.
اقترب وجلس مقابل الاثنين: «حقًّا، كيف لم ننتبه أنكم إخوة؟! نفس الاهتمامات، وأصبحتما تتشابهان بعيني -ويقوم بتدليكها- أااوه ... ما هذا؟ هل هو صحيح؟!».
إيفا وألكاي: «هههههه».
إيفا: «هل تعتقد ذلك حقًّا؟! يمكنني أن أصبح أختك أيضًا، نحـ...ن» توقَّفت عن الحديث وهي ترى الشحوب الذي اعتلى وجهه: «.. أنا.. آا .. عني..».
ابتسم وهو ينظر للأرض: «لا عليك ... أعلم ما تقصدين».
وبتنهيدة طويلة: «سيصبح لديَّ أختٌ فعليًّا!».
نظرَا له، الاثنان! فأومأ برأسه: «جمان ستولد مرة أخرى!».
بدا يَسْعل بخفَّةٍ، ويرفع عينيه للأعلى، وهو يقول: «آه ... النار جعلت عيني تدمع».
بعد قليل من الوقت، رفع عينيه لهما بعدما تحجَّج بدموعها بسبب الدخان المنبعث من أعواد الخشب، وجدهم صامتين، وإيفا قد احمرَّ أنفها من البكاء الصامت.
تبسَّم حتى اتَّضحت غمازته الشهيرة، وهو يقطب حاجبيه: «هي ... أنتِ لما ... ههه ... وأيضًا نسيتِ علاقتنا!».
إيفا تمسح عينها بالمنديل، وهي ممسكةٌ به بشدَّة، وقد انكمش: «هاه أي علاقة؟!».

أخرج ألكاي وإلياس في نفس الوقت منديلًا، وقدَّماه لها، نظرتْ للاثنين، وأخذت كلاهما: «أحتاج كليهما».

ابتسموا وأكمل ألكاي: «أي علاقة بينكما؟».

إيفا تمدُّ يدها بتبرير: «لا تسئ الفهم» وتغمض عينيها وتعضُّ شفتَيها عندما تذكَّرت كلَّ شيء، وتغطي بكلتا يديها وجهها وتنحني.

اعتلت ضحكات إلياس بشدَّة لردَّة فعلها اللطيفة حتى شاركه ألكاي ذلك دون أن يعلم الحقيقة: «هههههههههههه .... هذا يكفي أرجوكم أخبروني ماذا حدث؟!».

إلياس: «هههه عندما كنتَ مريضًا وفي وقت بحث روف عنك عرَّفتْ نفسَها كخطيبةٍ لي هههه».
ضَحِك ألكاي وهو يومئ برأسه.

نظرت إيفا له، أمسكت يده بحنيَّة، حتى نظر إليها وابتسم.
- ماذا حدث؟ لمَ شعَرتُ بحزنٍ في ابتسامتك؟!

إلياس كان ينظر لهم بصمتٍ ويبتسم بهدوء، وهو يراهم متماسكين بالأيدي: «أنا سعيد حقًّا لمَا آلَتْ إليه الأمور» قال بعدما نظرا له: «اقصد -ويشير برأسه ليديهم- كونكم إخوةً، هذا جميلٌ جدًّا».

ألكاي نظر بساعته: «اقترب نومي، هل ننهض؟ الطقس بارد».

شدَّت إيفا على يده قبل أن يقف: «أخبرني ماذا حدث أولًا؟».

إلياس يتقدم وهو يلوِّح لهم بيده: «سأذهب قبلكم، سأحصل على حنان ماريا أولًا».

جلس ألكاي وهو ينظر ليديه: «أشعر بالذنب تجاهها فقط، سبق وساعدتني كما تعلمين، وأعتقد أنها واقعة بمشكلة بسببي غالبًا».

إيفا: «تقصد روف؟».

أومأ برأسه إيجابًا.

إيفا -تومئ برأسها بأسفٍ-: «لا عليك، سيقف بجانبها الحظُّ على الأقل على أفعالها الرائعة، صحيح!».

«الطقس بدا يشتدُّ برودة، اعتقد أنَّ الثلج سينزل قريبًا» يقولها ألكاي وهو يغلق الباب خلفه.
إيفا تُسرِع وتسحب الكتاب من يد إلياس المستلقي على الكنبة بغرفة الضيوف التي سينامون بها هو وألكاي.

إلياس يقف: «لا لا لا تغلقيه، توقَّفتُ في حدثٍ مهم».

ألكاي يضحك، وهو متكئ على الباب يشاهد محاولات إلياس لأخذ الكتاب، وهي تخبئه خلفَها، اقترب وسحبه من يَدِها وصرخت، والتفَّا عليه، الاثنان، وهو قام برفعه للأعلى، وعندما اقتربوا قَفَزَ على الكنبة ورَفَعَه، وعلَتْ أصواتهم.
ألكاي -وهو يقرأ عنوانه (صراخ الظل)-: «واوو ... هذا الكتاب الذي تحدث عنه إلياس خذ» ويمدُّه له.

صرخت: «آاااا ألكاي، لِمَ فعلتَ ذلك؟».

اقترب ألكاي مرة أخرى وسحبه من إلياس الذي صرخ عليه وهو يدقِّق به: «أووووه ... نفس المؤلف لـ(ودق الليل) أووه هذا جميل».

وأعاده له، وتمدَّد على الكنبة المُقابِلة.

نظر إلى إيفا، التي لا تزال تقف وتنظر لإلياس بغيظ: «إيفا، هل أنتِ غاضبةٌ حقًّا؟».

وبحماسٍ اعتدل: «هل هو موقَّع من الكاتب نفسِه؟ ولم يكمل حتى اعتدل إلياس، وهو يُقلِّب الصفحات، والذي امتلأت ملامِحُ وجهه بالدهشة عندما وجدَه مُوقَّعًا بالفعل ومرفق الاسم (إيفا)!

إلياس: «أووووه ... واااو ... حقًّا يستحقُّ غضبك! كيف حصلتِ على التوقيع؟! واااو مدهش، أنتِ حقًّا تعرفين كيف تُحدِثين الدهشة في كل مرة».

ابتسمتْ، وهي تقوم برفع حاجبيها بفخرٍ: «توقيع شخصي، ما رأيكما؟».

ألكاي: «هل التقيتِ حقًّا بالكاتب؟ أنا أحببت له (ودق الليل)».

إيفا -وهي تشيح بنظرِها عنه-: «تقدَّمتُ بالطلب للحصول على التوقيع بالفعل».
وذهبتْ وعادتْ بعد وقتٍ قصيرٍ لتجد إلياس مستمرًّا بالقراءة، وألكاي ينظر بهاتفه.
إيفا: «إحم إحم» أكملت وهم يولونها انتباههم، وتُخرِج من خلفها بطاقتين تررااا: «حصلت على هذه لأجلكما».

إلياس يحدُّ نظره: «ما هذه؟!» بعدما أخذ ألكاي خاصته، وناوله بطاقته: «وووواه دعوة لحدثٍ خاصٍّ! واوو ... حقًّا» وهو يقرب حاجبيه بشكٍّ: «هل أنتِ على معرفة بالكاتب؟».

ألكاي: «حقًّا؟ توقيعٌ، والآن دعوة خاصة لحدثِه الخاصِّ للقاء الـ 100قارئ؟ على مدى معرفتي هذا أول حدثٍ، وأول ظهورٍ أيضًا للكاتب، هذا مدهش!».

إيفا: «أجل ... على علاقة وثيقة جدًّا».

ألكاي: «متى سيقام الحدث إذًا؟ لديَّ عملٌ قريبًا».

إلياس يضرب كتفه بخفَّة: «ألم تكن مفاجأة؟».

إيفا -وعيناها تشرق بفرح-: «ماذا؟! ما هي المفاجأة؟! هيا أخبراني أرجوكم».

ابتسم ألكاي وهو يضع يده على كتف إلياس: «نحن متدربان رسميًّا في مشفى أندريس».

إيفا -وهي تقفز من الفرح-: «آاه، وأخيرًا لن تحتاج الذهاب بعيدًا بدوننا».

ربَّت براحة يده على شعرها، وهو يبتسم: «حمدًا لله ... هذا صحيح».

بتنهيدة صدرت من إلياس: «هذا غير عادل حقًّا، تخطَّيت أخوَّتكم، ولكن لِمَ أنت تفوقني بالطول أيضًا؟! إيفا فتاة فرق الطول منطي، أما أنا؟! وأيضًا أنا أكبرك، هذا غير منصف».

إيفا: «هههههه ... يا ذكي على أحد الأصدقاء أن يكون أقصر، ألم تعرِف تلك المعلومة ... هههه».
ألكاي: «هههه ... أجل، وربما لأنك تقدَّمت بالسن، توقَّفتَ عن النموّ ... هههه ... هي ... أنتِ متى الحدث؟ سنبدأ الأسبوع القادم نحن».

إيفا: «هناك وقتٌ لا عليك، يقام في مطلع الشهر القادم، مُوضَّح بالدعوة التي بيدَيك، اذهبا للنوم الآن، هيا ... ليلة سعيدة».

وانتهت الليلة بسلامٍ هنا بعكس تلك البلاد البعيدة التي انتشلت الأمان من روف عندما عجزت عن تحمُّل ما حدث ولأجل ماذا؟ أيمكن للبشر أن يصلوا لقاع الخبث والشر؟! ما لغايات الحقيقة؟

.....
فتحت عينيها بصعوبة، أعادت إغلاقها عندما استرجعت الذكريات، عادت لتفتحها عند سماعها لكارتال تبكي وتقول: «أنتِ في أمان روف ... أرجوكِ انظري إليَّ الآن ... كفاك رحيلًا عن واقعنا».

ابتلعت غصتها دون أن تستجيب لطلب صديقتها ودموعها تنساب، أمالت رأسها وهي تكسر حاجبَيها تُجاهِد نفسها لتفتح عينيها.

حتى بدأت تأخذ نفسًا بقوة، وهي في حالة من الهلع الشديد في محاولة تنظيم التنفس لديها لتستوعب أنها لم تَعُدْ بغرفة الثقوب بعد دقائق بذَلْتْها كارتال في إسعافها لإخراجها من الحالة.

- رووووووف، اسمعيني، أنا كارتال، أنتِ بخير، أنتِ لا تحتضرين، أنتِ فقط تمرّين بحالة من الهلع، حاولي سحب المزيد من الهواء، أرجوكِ رووووف».

ثم بعد هدوئها لثوانٍ؛ حيث ابتدأت نوبة بكاء حادة أمام صديقتها التي اكتفت بمشاركتها بالدموع، تريد لها إخراجَ كلِّ ذلك الزحام.

تعدَّلت وهي تعَضُّ على شفتَيها وتحاول تصفية رؤيتها الضبابية بسبب الدموع التي تفيض: «كاارتال، أنا ...» وترفع رأسها للأعلى وهي تسحب المزيد من الهواء للداخل وتعود لتنهار بالبكاء وهي تستعين بيديها للشرح «أريد أن أفقد ذاكرتي كارتال حقًّا».

كارتال تقوّس شفتيها ودموعها تشارك الموقف، أخذت تنهيدة وتحدَّثت بعدما اقتربت منها وهي تحتضنها: «أنا آسفة روف، آسفة، أنا صديقة سيئة حقًّا، لم أحمِكِ، آاه».
وبعد لحظات تراجعت للخلف وهي تسحب يدي روف وتُمسك بها، وهي تنظر بها ودموعها تتسابق بشدَّة، وهي ترى احمرارها بسبب حكَّة روف نفسَها بشدَّة، والتي كان الحال كباقي جسدها!

وبقوَّةٍ اتضحت بكلامها رُغم ارتجاف فكِّها ببكاء: «آاه اسمعي روف كلُّ هذا انتهى حقًّا، هل أنتِ مستعدة لحياة جديدة كلية؟! هل أنتِ مستعدة للتخلّي عنهم جميعًا بما فيهم ال ...» لم تُكمِل حتى أغلقت روف شفتَيها بيدها، وهي تتلفَّت برعبٍ وتقول بصوتٍ خافتٍ: «أخشى أن يسمعك».
أطلقت كارتال تنهيدة طويلة وهي تغمض عينيها بشدَّة: «آه روف، والدك رحل لبلاد أخرى، تم طلبه على عجلٍ لأجل ذلك أخرجك روف، لنبدأ من جديدٍ وحدَنا، لننسى الجميع، بذلك فقط سيبقى الجميع آمنًا، تفهميني؟ صحيح؟».
أومأت برأسها: «حسنًا لكي نعيش لننسى إذًا؛ ليبقى الجميع بخير، ليبقى الجميع بخير».

مدت كارتال هاتفًا لها ...
- حاولت استعادة بيانات هاتفك المحطَّم، لكن فقط بعض من رسائل البريد عادت، ليس شيئًا آخر.
نهضت روف بسرعة لتنحني أسفل السرير، وتخرج الهاتف، لكن كان ملصقًا هو على الأرض!

كارتال تنظر باستغراب: «ما هذا؟».
روف -وهي ترميه على السرير-:«علمت ذلك؛ حيث وجدته محطمًا بالكامل، وقد وضع بعلبة صغيرة».
روف تنظر لكارتال: «لنرحل إذًا، كل شيء يوحي بذلك».

كارتال تشرح لروف: «والدك وافق على طلب إكمال دراستك برُفقتي بشرط ارتدائك لهذه القلادة من لحظة خروجنا من المنزل حتى نصِلَ لمقرنا النهائي».

روف ترفع القلادة؛ حيث تحتوي على جوهرة كبيرة بمنتصفه باللون الأسود، وبضحك: «حجر كريم! أم جهاز تتبُّع أو حتى كاميرا مراقبة كارتال ...».

كارتال بقلة حيلة: «ربما جهاز تنصُّت أيضًا تشتغل عند ارتدائك لها».

قامت برمْيِها: «لن أرتديها كارتال، يكفي ما فعل بي حتى الآن».

كارتال: «لن نستطيع الرحيل دونها روف، انظري» وهي تفتح النافذة وترى السيارة بانتظارها، وهناك بعض الحراس المنتشرين بالمكان.

أخذت هاتفها الجديد والقلادة بيدها: «هيا لنذهب».

كارتال تنظر بدهشة: «فقط لا شيء آخر روف! انظري حتى لملابسك!».

روف نظرت بالمرآة: «أوف هناك آثار كثيرة، حسنًا»، واقتربت وهي تسحب معطفًا أسود كبيرًا، وترتديه وتشدُّ ربطه على خَصرِها.

كارتال: «أوف! ما هذا؟ هل هو ملكك؟!».
روف تعيد النظر للمرآة وهي تتنهد: «هو الوحيد الذي سيرافقني لحياتي الجديدة كارتال».
نظرت لكارتال عندما اهتزَّ هاتفها بإشعار رسالة واردة لهاتفها: «رسالة؟».

كارتال: «ربما من البريد».

روف تتفقد الرسائل الغير مقروءة: «ما هذا؟» وتلف الهاتف على كارتال!

كارتال: «دعوة خاصة جدًّا، ما هذا؟ السيدة ثلاثة حروف! ما هذا؟».
روف -تبتسم بحزن بعد قراءتها جيدًا-: «آه .. هذا حقًّا، حدث تنميته من عامين، لم أتوقَّع أن تأتيني دعوة وأكون من المئة شخص! آاااه هذا جميل لكن لن أذهب».

كارتال -تنظر لمكان إقامة الحدث-: «أووه، هذا رائع، سنتوقف هناك للعبور لمكاننا النهائي؛ مما يعني أننا سننتظر هناك يومًا كاملًا قبل رحلتنا الأخيرة، يمكنك حضورُه لكن ما هذا الاسم الغريب؟!».

روف: «هههه، اسم المستخدم لصفحتي، أليس بمطلع الشهر القادم؟ كيف ذلك إذًا ونحن رحلتنا الآن؟!».

كارتال تبتسم: «لا سنذهب لمنزلي، سنستغرق وقتًا لإجراءات دراستك، والكثير، ومن أهمِّها ملابس جديدة لك؛ حيث إنك رفضتِ أخذ أيٍّ من هذه رغم جمالها».

روف -وهي تتمعن بالملابس المعلقة-: «مبهرجة بشدَّة مليئة بالفرح المبالَغ به والغير حقيقي كارتال».

كارتال: «لا بأس بالتغير، متحمسة بشدَّة لجولة تسوُّقِنا القادمة».

ارتدَتْ روف القلادة، وعند ملامستها لبشرتها لمَع بداخل الحجر لونٌ أحمرُ خافتٌ استطاعت المرآة عكسَه لها.

روف: «متى أستطيع خلعه؟ هل من استثناءات؟!».

كارتال وهي تمدُّ لها الهاتف وتريها رسالة والدها: «اعلم يقينًا أنني لست بذلك الأب الرائع، وأعلم يقينًا أيضًا أن روف ليست تلك الابنة المطيعة، والتي قد تجعلني يومًا فخورًا بها، وأخص بذلك تخبطاتها الأخيرة وخيانتها الكبرى لي!
لكن أدركت أنها سلكت هذا الطريق بسبب وحدتها، لم أستطع تقبُّل حبها الرديء ذا الطرف الواحد، وما فعلته هو محاولة لإعادة التوازن؛ لأنها لن تجد مقابلًا من شخص لا يمتلك سوى دماغ خارق فقط، دون مشاعر وقلب، هو نموذج للتعلُّم البشري لا شيء آخر! ولا يحقُّ له الحصول على شيء من هذا العالم، اكتفى بالفعل من تلك الهبة.
أما القلادة فهي لمحاولتي الجادة في إعطاء فرصة جديدة لها أكثر أمانًا لي ولها، لن تُغلَق إلا بعد التعرُّف على شعار دورات المياه للنساء، ولمدة لا تتخطَّى (60) دقيقة؛ كحدٍّ أقصى، لا تتأثَّر بأي عوامل، حتى الماء!
تستطيع خلعَها نهائيًّا عند وصولكما لبلد الوجهة النهائي، رافقتكما السلامة».

خرجتْ بصمتٍ دون تعليق، فتح الحارس لها باب السيارة بعد إبرازها للقلادة، وانطلقت لتأسيس حياةٍ جديدةٍ.

22. العودة للخلف

السابعة صباحًا وإلياس يقطب حاجبيه ويغلق عينيه؛ ليمنع تسلل أشعة الشمس من خلف الستائر التي يزيحها ألكاي بعجل: «هيا، انهض ... تأخَّرنا ... هياااا».

أعاد رفع رأسه وهو يجاهد ليستوعب، زحَفَ بصعوبةٍ ليرفع جسده ليتكئ، وبصوتٍ ثقيلٍ جدًّا خالٍ من أي حماس: «على ماذا تأخرنا؟ هي .. أنت ... أغلِق النافذة، لم أنَمْ إلا قبل قليل».

اقترب ألكاي وهو يسحب يديه ويدفعه لداخل دورة المياه، وبصوتٍ عالٍ: «أنَسِيتَ اليوم؟! هياااا ... سيغضب أندريس».

أطلَّ إلياس برأسه من خلف الباب، وهو يريحه على الحائط: «آاه ... هل تقصد المشفى؟!» وهو يتقدم ويرمي بجسده على السرير مرةً أخرى، ويشير بيده: «اخرُجْ اخرُجْ ... غاااادر، هيا، لا أريد العمل، ماذا ستفعل؟! لمااذا أنت مستميتٌ للعمل بشدَّة؟! لديك بالفعل ما يكفي من النقود لبقيَّة حياتك».

خرج وترك الباب مفتوحًا ثم توقَّف في مسافة يعلم أن إلياس سيسمع حديثه ونطق بحزنٍ مصطنع: «كنت فقط أريد شعور أني حقيقيٌّ ولي قراراتي الخاصة وتجارِبي التي أخوضها؛ أن أكون جزءًا من المجتمع، هو أمنية لطالما حَلَمْتُ بها حقًّا، اعتذر أخي، أكمل نومك إذًا!».

ابتسم -وهو يرفع عينه من ساعته-: «رقم قياسي جديد استغرقت ثلاث دقائق».

إلياس -وهو يقترب ويلكمه على كتفه بخفة-: «مشكلتي الوحيدة هي أنت حقًّا».

ترجل أمام الباب الرئيسي بحماس وتوتُّر، ودخلا سويًّا يبحثون عن مكتب رئيس الأطباء، وقف سكرتير المكتب: «عفوًا ماذا تريدان؟».

ألكاي: «متدربان جديدان نودُّ مقابلة الرئيس!».

قطَّب السكرتير حاجبيه باستغرابٍ اتضح بملامحه: «اليوم فقط الطورى يعمل في نهاية الأسبوع، والبروفيسور يوجد بداية الأسبوع القادم؛ أي بعد يومين».

إلياس: «نهاية الأسبوع، ويرفع هاتفة بسرعةٍ، ويغمض عينيه بهدوء، ويلتفتُ على ألكاي ليصرخ به، لكن توقف وهو يراه يحسب على رؤوس أصابعه، ويدلك جبينه في محاولة تذكُّر، قطب حاجبيه ويبتلع غصَّة قفزت في حنجرته!

اعتذر من الموظَّف، وأمسك ألكاي، وابتسم بخفَّة: «نحن حمقى، وكأننا أطفال حقًّا ... هههه».

ألكاي يتحدَّث مع إلياس الذي يسبقه بالمشي: «كيف ذلك؟! كيف نسيت اليوم إلياس؟! أشعر بالغرابة».
إلياس -وهو يحرك السيارة من المواقف الخارجية للمشفى-: «لا بأس عليك، تَحدُث كثيرًا، أوصلك للمنزل أو نذهب لماريا؟».

ألكاي -وهو صامت في محاولة إدراكٍ ثم نطق»: «لنذهب لماريا».

.....
ألكاي -وهو يشير لإلياس-: «هيا تعالَ، هل ستبقى هنا؟».

إلياس: «اذهب ... سأُعرِّج للمنزل ... أريد أخْذَ من المنزل ... سأعود بسرعةٍ».

أومأ برأسه وذهب للداخل ...

توقَّف إلياس عن القيادة بمنتصف الطريق عندما بدأت الدموع تحجب الرؤية أجهش بالبكاء كثيرًا حتى مرَّ الوقت لينتبِه عندما أضاءت الشاشة باسم أندريس، بصوت مرهق متعب ومبحوح: «أهلًا أندريس!».
أندريس بصمتٍ وهو يحلل صوته: «أتبكي؟ هل حدث شيء لك؟ ماريا؟ أخوك بخيرٍ؟ صحيح!».
إلياس بتنهيدة اجترَّها من أعمق جوفه الحزين: «أبي أَنقِذْه أرجوك، لا تدعْه ينسانا يومًا ما!»، وأكمل البكاء بحرقة.

ابتلع أندريس ريقه بتوتُّر بعدما أخبره إلياس بما حدث، وهو يربط الأحداث السابقة، نطق بعد مدَّة بصعوبةٍ، وقد اتضحت الرجفة بصوته: «بدأتْ إذن!».

إلياس -بصراخ وهو يضرب أيَّ شيء أمامه-: «ما هو الذي بدأ أندريس ها؟! ماذا؟! هل ستشاهده وهو ... -وتحشرج صوته- وهو ينسى طور القمر الذي لطالما حلم باكتماله بجوار نجمة والدته، أرجوك أندريس أرجووك افعل شيئًا».
.....
أندريس: «ألكاي لا بدَّ أن يعرف إلياس».

إلياس: «ماذا؟! ماذا تقول؟! هل ستخبره أنه أوشك على فقدان أثمن ما يملك! ذاكِرتُه التي لطالما ميَّزتْه عن الجميع، هاه؟!».

أندريس: «أخشى ألَّا يتقبل الموضوع ويحدث ما هو أسوأ».

إلياس وهو يفتح باب مكتب والده في المنزل، ويخفض الهاتف، ويجلس أمامه، أندريس وهو يخلع النظارة، وينظر لوجه ابنه الذي تورَّمت عيناه من البكاء، نطق إلياس: «ما هو الأسوأ أندريس؟ أسوأ من هذا؟».

أندريس : «إذا لم يتقبل المرض ستزداد سرعته، فقط لن تتشابه الأيام، بل حتى الوقت وغيره ...».
إلياس ينهض ويلف: «لا تكمل، يكفي -ويمسح عينية بسرعةٍ- أخي سيكون بخير، لن يحدث شيء، أنا قمت بتجهيز الجزيرة بالفعل، هذا يكفي».

التفُّوا بسرعة عندما طرق الباب وفتح بهدوء ليتَّضِح من خلفه.

ألكاي -بابتسامة-: «هل أنتم هنا؟! هل سنذهب لمكان أيِّ جزيرة إلياس؟» وهو يقترب ويقطِّب حاجبيه: «هل بكيت؟».

إلياس يحني رأسه وهو يومئ برفضٍ، ويحرك شعره لعلَّه يغطِّي شيئًا من وجهه.

أندريس: «أخبرني بميلاد أخته الجديدة قبل أيَّام، وهي تحمل اسم جمان بالفعل».

اقترب ألكاي وهو يحتضنه، بينما هو تتَّسع عيناه بالفعل، هو لم يعرف من قبلُ، ودموعه تنهمر من جديد.

على عتبة باب منزل أندريس يجلس الاثنان، يحمل كل منهم كوبًا ساخنًا يتصاعد دخانه عكس الأجواء الباردة، ويحدِّقان بالمطر الذي بدأ بالتساقط بخفَّة، تراجعا للخلف ليحتمُوا بستارة الباب الحجرية العلوية.

ابتسم ألكاي، وهو ينظر للأمام: «أشعر برجفة لسعادتي بهذه الأجواء، أشعر وكأنني بداخل فيلم، أريد للوقت أن يتوقَّف».

ألتفَّ عليه إلياس وابتسم: «سعادتك تُمِدُّني بالسعادة، هل تعلم؟!».

ألكاي: «بالطبع أعلم، أمم ما هو رأيك في إيفا؟».

إلياس ابتسم وهو يحتسي القليل من القهوة، ثم يرفع رأسه للغيوم المتلبدة: «أمم ... غريبة، لطيفة نوعًا ما، فتاة مجنونة، هذا الأكيد -وابتسم حتى اتضحت غمازتاه- لمَ تسأل؟ أتبحث لها عن زوج؟! هههه فعلًا! لا تزال صغيرة!».

ألكاي يضحك بصوت مرتفع حتى سمعه أندريس الذي ينظر من النافذة وابتسم بحنان شديد: «لا، أنا لا أبحث لها عن زوج وأنت موجود» التفتَ إلياس عليه بسرعةٍ وحاجبيه منعقدة.

ألكاي يربّت على كتفه ويضحك بخفة: «أنتما أعلنتما مسبقًا هههههه».

إلياس -وهو يبتسم-: «ألم أقلْ لك مجنونة؟ هذه إحدى نزواتها ... هههه».

وقف ألكاي وهو يتقدَّم ويتبلَّل من المطر بصمتٍ تحت نظرات إلياس المُدهش، وأندريس يخرج: «ألكاي، متى أصبحت صديقًا للمطر؟».

ألكاي: «منذ بدأت بحب البحر والغروب والنجوم أحببت المطر أيضًا، الطبيعة ترتبط بشكلٍ جميلٍ للغاية، المطر ينظف الأرض، والبحر يعكس الغروب بأجمل صُورِه، وهكذا دوالَيها».
رفع هاتفه الذي يرن وهو يجفف شعره: «أهلًا إيفا؟».

إيفا -بصراخ-: «أين ذهبت؟ تحجَّجت بإلياس ولم تعودوا!».

ابتسم ألكاي: «سنأتي الآن، حسنًا حسنًا، لا لن نتأخر، لا عليك».

وقف بالخارج بعدما دخل إلياس للداخل -لمنزل ماريا- ورفع يده وتحسَس الحَجرة السوداء بمنتصف الخاتم الفضي الذي في أصبعه الثالث، ورفعه لمستوى شفتيه ونطق: «أعتقد أننا بدأنا، اختلط عليَّ اليوم أيضًا!» وحدد اليوم والتاريخ، وبعدها أكمل: «المؤلم بالأمر بكاء إلياس الذي أحرق فؤادي، حقًّا شكرتُ المطر كثيرًا؛ حيث أخذ من دموعي ما يشاء دون إدراك أحد».

إلياس ينظر لألكاي وهو يبتسم ويمازح ماريا، ثم يحتضنها بحبٍّ وهو يقبِّل رأسها.

ابتلع عبْرتَه لتخيُّله، ردت ماريا: لو لم يتعرف عليها يومًا ما.

خفض نظره عندما التصقت قطعة المنديل بها؛ حيث وضعتها إيفا أسفل محاجره: «ماذا؟!».

إيفا: «تتزاحم بشدَّة هل حدث شيء؟».

نفض رأسه ومسح عينيه بعنف، ووقف وربَّت على كتف ألكاي دون أن ينظر له: «ابقَ لدى ماريا، سأنام بالأعلى».

ابتسم ألكاي بصعوبة: «حسنًا، خذ قسطًا من الراحة».

إيفا تجلس بجواره: «ألكاي، أحدث شيء معه؟ تكاد تتدفق مقلتاه بالأنهار!».

ألكاي: «لا ... أعتقد تعلمين هو حساس تُجاه الماضي، وقد رُزِق بأخت حديثًا واسمها جمان!».

ماريا تضع يدها على قلبها بحزن: «آاااه يا صغيري، هذه المرأة قاسية عليه حقًّا».

إيفا وهي تحدِّق بعينَين متسعتين، ويدها على فمها، أغمضت عينيها بغضبٍ: «لا يحقُّ لها فعل ذلك، هي سيئة بالفعل، هي تبعده فقط عنها، لا تستحقُّ أن تكون أمه بالأساس».

ألكاي ينظر للأسفل، ويدلِّك يديه بخفَّة وصمتٍ، ونطقَ: «لا أحد يختار عائلته إيفا».

ماريا: «إيفا، خُذي له الشاي الذي اعتاد شربه لِيهْدأ قليلًا، لا أريد أن ينام وهو حزين».

بعد دقائق طرقت الباب بخفَّة ثم فتحتْه، وأطلَّت من خلفه، واقتربت لتَجِده يغطي وجهه بالغطاء، مُتمدِّدًا على الأريكة، وضعت كوبَين من الشاي على الطاولة، وجلست على الأريكة المفردة بالمنتصف، وهي بمحاذاة رأسه: «أعلمُ أنك لم تنَمْ، حضرت لك الشاي الذي تحبُّه، خلاصة التوت الأزرق وزهرة البابونج، أيضًا لن أذهب حتى أُنهِي كوبي على الأقل، أنت لن تستطيع النوم ما دامت مشاعرك مضطربة، أعرفك بهذا القدر على الأقل».
انتظرت قليلًا حتى أزاح الغطاء بخفَّة، وهو يحدِّق حوله حتى لفَّ برأسه نحوها.

ابتسمت: «أووه هذا فاتن، خصل شعرك الملتصقة بجبينك، عيناك الممتلئتان بالدموع، رموشك التي تشبه ورق الزهور التي علقت بها قطرات من الندى وتوشك على الانزلاق ...

قطَّب حاجبَيه وهو ينهض ويعدل جلسته، ويقوم بتحريك يده بداخل الهاينك الشتوي الذي يرتديه: «ماذا تريدين؟ لِتَصِفِي حالي!».

إيفا تبتسم: «أقصد أنك لو لم تكن إلياس لفتنتني حقًّا بهذا الجمال!».

إلياس يرفع حاجبه وبطيف ابتسامة: «معتوهة!».

إيفا: «اكتشاف متأخر، المهم تذوَّقْه».

إلياس وهو يغمض عينَيه بحب عندما رفع الكوب، واشتمَّ رائحته اللطيفة، وارتشف قليلًا، وبعدما أبعده قليلًا: «لو لم تكوني إيفا لفتنتني بهذا الشاي حقًّا، أعتقد أنه الشيء الوحيد الجميل الذي تُجيدِين صنعه رُغم بشاعتك المريعة!».

إيفا تتسع عيناها: «أنا بشعة، أنا بشعة! يااا ...» وتغمض عينيها، وتبتسم حتى اتضحت غمازة صغيرة بوجنتِها اليمنى، وبكبرياء، وهي ترفع عينيها للأعلى، ثم تنظر له بعلُوٍّ: «كل هذا الجمال، وتقول (بشاعة!)، عيناك ملوثة إذًا يا عزيزي، انظر فقط -وتشير بيدها على وجهها- انظر ... كل هذا لا تراه حقًّا! تحتاج زيارةً لطبيب العيون مع الأسف ... ههه».

ضحك بخفَّة وتبعتها تنهيدة أخرجها بصعوبة: «علمتِ؟!».

إيفا تومئ برأسها: «جمان الصغيرة! أجل، لكن ليست هي السبب الوحيد على ما أعتقد».

نظر لها بصمتٍ طويلًا حتى خفضت نظراتها عندما أطال التحديق بها، وهي تقوم بإعادة خُصَل شعرها لخلف أذنيها بتوتُّر، ونطق وهو يكسر نظراته أيضًا: «إيفا!» حتى عادت تنظر له «أصبحتِ تخيفينني حقًّا، ماذا تكونين بالفعل؟ كيف تستطيعين؟!».

إيفا: «يتعلق بألكاي صحيح؟ كلما نظرت له اليوم تمتلئ عيناك، هل تشاجرتم؟».

ابتسم: «نتشاجر! كما كنا في التاسعه ؟! آاااه إيفا ... ليس هناك شيء ... لا تقلقي»، ويقف ويجعلها تقف بدورها، ويرفع الأكواب ويضعها بيديها، ويدفعها للباب ويخرجها وهو يقول: «شكرًا لك حقًّا إيفا، ساعدتِني على الاسترخاء بهذا الشاي» وهو يغمز لها، وهي تقف مقابل الباب قبل أن يُغلِقَه؛ وبجمالك الذي لا يراه سواك، ويغلقه ويضحك لصوت لكمتِها للباب، وهي تتمْتِم بالشتائم له.

ابتسم وهو يعود ليجلس مكانه ويأخذ نفسًا ويَزفِر ويربّت بيده على قلبه: «اهدأ أيها الغبي، كدتَ أن تُفضَح، وإذا كانت عيناها بهذا العمق الساحر! تحكَّم بنبضك».

في صباح اليوم التالي، استيقظ على أصوات ضحكات عإليه تقترب من الغرفة، فتح عينيه عندما دخل ألكاي والابتسامة العريضة تشعُّ.

- هيا استيقظ، نحن ننتظرك على الإفطار وهو من إعدادي، تررری! ويلفُّ ليُرِيَه مئزر المطبخ الذي يرتديه.

ابتسم إلياس وبعدها نظر بتقزُّز مصطنع: «لا لا أَعِدْ ألكاي الفاخر ... خفيفًا للغاية مزعجًا»
لم يُكمِل حتى قام بسحبه ..

اجتمعوا على طاولة الطعام وهم بانتظار ألكاي، ذهب ليوقظ إيفا لم تستجِب لندائهم، رفعوا رؤوسهم وهم يسمعون ضحكات ألكاي التي ملأت الجميع بالسعادة، ويختلط معها صراخ إيفا التي يحملها بين يديه وينزل بها من على السلالم.

- أنزِلْني ألكاي أرجوك، هذا محرجٌ، لم أغير منامتي ... وتلتف لتراهم يضحكون وتعود لتدسَّ رأسها بيديها، وهو يضحك: «لا عليك، متأكد أنهم جميعًا سبق ورأوكِ هكذا».

أنزلها وهو يتصنَّع التعب: «آه ما هذا؟! كم تَزِنِين؟! أنتِ ثقيلة ... هههههه».

ضربتْه على كتفه: «لم أجعلك تحملني قسرًا» وتجلس على مقعدها بغضبٍ ونومٍ، ولم تنظر لهم لشعورها بالحرج، تعلم أن مظهرها محرجٌ بالتأكيد.

ماريا تبتسم: «لقد حضرت أنا وألكاي الإفطار»، وتمد الطبق نحو إلياس: «خذْ هذا المفضل لديك أعدَّه ألكاي!».

أخذ منه بعدما نظر نحوه وابتسم: «شكرًا لك يا أخي، أنت الأفضل حقًّا».

واستمر الحديث والضحكات السعيدة تملأ صباحهم الهادي.

23. (لن تبقى وحيدًا للأبد)

روف تنظر بشرودٍ بلباسها في انعكاس الزجاج للمحلِّ وهي تنتظر كارتال التي تحمل الكثير من الأكياس.

كارتال تنظر لها: «هل أنتِ هاربة أو قاتلة متسلسلة؟ هههه».

روف تبتسم: «هل هو غريب؟».

كارتال: «أرى انعكاس القمر أمامي، رحلتنا غدًا، هل أنتِ مستعدَّة؟».

روف: «أجل، أنا كذلك».

التاسعة مساءً، خلعت روف القلادة ووضعتها على الطاولة، ووقَّتت هاتفها لنصف ساعة.

أغلقت باب الغرفة، وهي تتحدَّث بصوتٍ خافتٍ لكارتال التي تنتظرها.
- تبقَّى سبعةٌ وعشرون دقيقة تحدَّثي بسرعةٍ.
كارتال: «روف، في المطار سنتبادل القلادة!».
روف: «ماذا؟! سترتدينها؟!».

كارتال: «أعلم أنك أوقفتِ هذه السنة الدراسية، أعطيك فرصةً، سأذهب بالقلادة للوجهة وأتخلص منها هناك، أليس هذا شرطه ليضمن وصولك؟!».

روف بدهشة: «كارتال! ماذا تقولين؟ سيلزم أن يراك أمام من يرتدي القلادة!».

كارتال تنظر للمؤقت بتوتُّر وتشرح بسرعةٍ لها: «أختي تنتظرنا في المحطة الأولى، يصادف أنها في عطلة هناك، وستعود معي، سترتدي القلادة!».

روف تحتضنها وهي تبكي...

أخرجت كارتال بطاقة ومدَّتها: «نقودك التي جمعتُها طوال السنوات هذه بطاقتها، باسم أمي؛ لكي لا يتم تعقُّبُك، عيشي الآن كما تريدين».
ونطقت بسرعةٍ، وهي ترى المؤقت يشير بخمس دقائق: «قابلي طور القمر، يحتمل أنه قلِقٌ أن رأى الخبر».

عادت وارتدت القلادة وهي تقطع حتى الأفكار، تخاف أن يكون يحلِّل تخيلاتها! هي تتوقع أي شيء منه!
.....

خرجتا من صالة القادمين، وتوجهتا لدورات المياه، وخلعت القلادة ووضعتها بحقيبتها، وأعطتها أخت كارتال التي كانت تنتظرهما خارج المكان.

احتضنت كارتال بحزن: «لن أنسى صنيعك ما حييت كارتال».

كارتال: «اسمعيني ... الوقت يمر ... لا وقت لدينا، أنا فقط أساعدك لحريتك التي تحتاجينها حقًّا، استعيدي صحتك النفسية والجسدية، تحدَّثي للمحيط، شاهدي الغروب الذي لطالما أحببتيه، اضحكي كثيرًا، زوري والدتك، افعلي كلَّ شيء تريدينَه».
قالت وهي تتجهز للخروج: «احضري الملتقى غدًا، أعطيكِ عامًا تعويضًا عن ثمانية عشر عامًا روف».

روف تومئ برأسها ودموعها تنهمر بشدة.

كارتال وهي تعود بعدما اقتربت من باب الخروج وتمسكها بكتفيها وبحزمٍ متَّضحٍ بحديثها: «والأهم من كلِّ هذا: كوني قوية لا تُقهَر، هذه آخر مرة تذرفين الدموع، سمعتِ ... أراكِ بعد عامٍ قويةً ورائعةً -وتغمز لها بابتسامة رغم الدموع التي تشعر بها- وجميلةً أيضًا».

بعد مغادرة كارتال وأختها تقف روف أمام المرآة وتغسل وجهها بالماء البارد ليخفِّف احمرار عينَيها.
نظرت بصمتٍ لانعكاسها، ترتدي معطفه الأسود على الهاينك الأسود: «أصبح يعجبني هذا الطابع من اللباس ... هههه ... هيا لنضع خطة محكَمة».

جلست بأحد المقاهي، وأخرجت قلمًا وورقةً، ودوَّنت فيها خطة لتتَّبِعَها لأيام.
تفقَّدت الدعوة، ومتى وقت الدخول؟

.....

رش بعض العطر بعد انتهائه من اللباس، عدَّل خصلته بخفَّة لجانب رأسه الأيمن بعد انزلاقها بخفَّة على عينه: «إلياس، هل لديك شيء لتثبيت الشعر كما وضعت قبل قليل؟ هي ... ألم تنتهِ من اللباس؟».

خرج إلياس وهو يوازن جانبي معطفه بحذر.

رفع ألكاي صوته بالتصفير لإعجابه: «واااو من هذا الأمير الفاتن، من أي حكاية خرجت؟».

ابتسم إلياس وهو يقترب ويتناول قنينة المثبِّت، ويرفع خصلته ويبخُّ بخفَّة حتى رتَّبه وهو يقول: «ينطبق عليك الكلام أيها الوسيم، ربما تلتقي بالسندريلا هذا المساء .. - ويغمز له-».

.....

-في مكان الحدث-
تكلم إلياس له قبل أن يتقدَّم ويُمسِك بيده: «هي ... هل ننتظر إيفا؟».

ألكاي: «أنسيت أنها على مقربة من (إساف أولاني) بالتأكيد قد سبقتنا، التفَّ على إلياس الذي لا يزال يقف مكانه».

ألكاي: «إلياس؟ ماذا هناك؟ هيا لا نريد التأخير».

إلياس بتفكير: «ألا تشعر بالغرابة مثلي؟! فكرت كثيرًا في اسم الكاتب الغريب! هل هو رجل أو فتاة؟ وكيف أصبحت إيفا مقرَّبة منه؟ أثارت تساؤلاتي حقًّا انزعاجي».

ألكاي بابتسامة مائلة: «هل تشعر بالغيرة؟!» وتتسع ابتسامته وهو يقترب منه: «آاااه ... هذا صحيحٌ! أجل!».

تخطاه إلياس بغيظٍ وهو يدفعه بكتفه: «هيا لنذهب، أمامنا طابور التحقُّق من الدعوات!».
في الطابور تبقى أمامهم خمسة أشخاص ....

إلياس وهو يتحرك بملَلٍ، ويتفقد المتبقِّين، عاد وهو يهمس لألكاي: «هي ... يبدو أن من الحضور مشاهير! انظر هناك التي يتفقَّدون دعوتها، ترتدي ماسك، وتُغطِّي وجهها بالكاب الأسود، يا رجل وكأنها أنت نفس اللباس!».

ألكاي يميل رأسه ليرى ذلك: «أوه حقًّا يُشبِه معطفي».

إلياس وهو يتقدَّم بالصف قليلًا: «معاطفك مميزة، تحمل اسمك المصمَّم عليها، هذه ميزة الثراء –ويبتسم-».

ألكاي -وهو يقوم برفع حاجبيه-: «أستحق ذلك، على الأقل قطعٌ مُخصَّصةٌ لي».

بعد دخولهم لقاعة الحدث، كان هناك عددٌ قليلٌ من الحضور.

رفعا يديهما مُجارَاة لماريا التي تشير لهم وهي تجلس على طاولة بالأمام.

جلس ألكاي -وهو يعدل معطفه-: «ماريا هل أتيتِ مع إيفا؟» وهو ينظر لإلياس.

ماريا: «أوصلتني هنا، وذهبت للداخل تقول: هناك شخصٌ ينبغي عليها مقابلتُه، وأخبرتني بقدومكما».

إلياس: «هذا جيد» ألتفتَ على ألكاي الذي ينظر للطاولة المجاورة، والتي عليها فقط شخصٌ واحدٌ: «ماذا هناك ألكاي يبدو أنَّ كلامي صحيحٌ، هناك مشاهير!».

ألكاي -وهو يخفض صوته ويهز رأسه-: «لا هناك شيء آخر مألوف، المعطف يحمل نفس القطعة الجلدية على كمِّه الأيسر».

إلياس يبتسم: «وإذا! هل هو ملكك مثلًا؟».

قطع حديثهم عندما أنارت الشاشة، وأغلقت كافة الإضاءة لبداية الحدث، ارتفعت الأصوات قليلًا ثم خفتتْ، عندما بدأت تعرض الشاشة عبارات مقتبسَة من كتابات المؤلف:

«ألم يصلك حديثي المزدحم طوال تحديقي بك»

-إساف أولاني
(صراخ الظل)

«الدموع هي بقايا المطر يعيرها للبؤساء»

-إساف أولاني
(ودق الليل)

«تسقط ورقه في كل مرة يُخلف أحدهم وعدَه. (حجة الخريف)»

-إساف أولاني
(عشرون خريفًا)

«يقال: إنَّ لون اللباس هو تعبير آخر للمشاعر»

-إساف أولاني
(لن تبقى وحيدًا للأبد)

أُغلِقت الشاشة، وعاد الظلام يغطي المكان، حتى انبثق نورٌ من الأعلى يتوسط الصفوف، ويمشي برفقتها، حتى اعتلت المنصَّة واستقرت بالمنتصف بابتسامة واسعةٍ وجمالٍ لافتٍ جدًّا بفستانها ذي اللون الأسود الفاخر، طلة لم يُسبَق لهم رؤيتها، ثبات تعابير شخصية مختلفة كليًّا كما لو أنها لم تكن ((إيفا)) التي يراها الجميع الطفلة المدلَّلة، أنثى مختلفة وفاتنة.
دارت بنظرها إلى الحضور بعدما تم إضاءة المكان بالكامل، ابتسمت برِفْقٍ لوالدتها ومن هم برفقتها، متجاهلةً لتعابير الدهشة التي اعتلت ملامحهم.

- مرحبًا بكم في حدث الـ (100 قارئ)، معكم (إساف أولاني)، يشرفني كونكم جزءًا من هذا الملتقى، أقدم اعتذاري لجميع من لم تَصِلْهم الدعوة، لكن كما تعرفون أنتم؛ هو وعد قطعته عندما اكتمل قرَّاء (ودق الليل) المئة شخصٍ، أحدثكم اليوم بعد اقترابنا من الخمسة ملايين.

أخذت نفسًا وهي تُكمِل؛ كنتم أول من أستحقُّ أن يشاركني أوَّل حدثٍ أُقِيمه، ولكي أوفي بوعدي لكيلا تسقط ورقة هذا الخريف بسببي.

ابتسمتْ، وهي تغيِّر اتجاهها نحو طاولة والدتها التي كانت تجاهد دموعها وكلتا يديها على فوائدها بحنانٍ بالغٍ، ونطقت وبدا صوتُها يهتز: أمي، أستطيع أن أرى نظراتِك الفخورة من هنا، أصبحت مثلهما الآن -وتشير نحوهما- لديَّ شيء يدعو للفخر!
صمتت عندما وقف الثلاثة، وارتفع التصفيق حتى وقف الجميع، صمتتْ قليلًا، وهي تقضم شفتيها للداخل، وبعد جلوس الجميع.

بالحقيقة، اسم (إساف أولاني) هو لقبي الفني، اتَّخذتُه لجمال معانِيه؛ حيث يرمز (إساف) للأرض الرقيقة الناعمة، ونحن جميعنا ننتمي للأرض بطريقةٍ أو بأخرى، ثم يأتي (أولاني) ليجسد شخصية المبعوث أو المرسل الملكي؛ حيث يَنقُل أصدق الرسائل وأقربها للملك.

حسنًا، هل لي ببعض الوقت؟!
أعتذر، سنكمل بعد قليل، سأذهب لوالدتي لتحيَّتِها.
قالتها بابتسامة حتى ارتفعت أصوات الضحكات لتصرفاتها البريئة واللطيفة.

نزلت واتجهت لوالدتها التي وقفت واحتضنتْها، وهي تبكي.

قالت وهي تبتعد عن حضنها وتعقد شفتَيها: «أمي لا تفسدي زينتي سأبكي بسببك».
ابتسمت ماريا وهي تومئ برأسها وتمسح دموعها.
نظرت لهما وهما يقفان: «ماذا؟ هل تشعران بالغَيرة؟! ألا أستحق التهنئة على النجاح الذي بذلتُه؟!».

اقترب ألكاي، وقبَّل جبينها واحتضنها: «أنا فخورٌ جدًّا أنَّ لدي أختًا مثلك».

ابتسم إلياس، وهي تقف أمامه، قام بمصافحتها: «أنتِ رائعة جدًّا، لدي سؤالٌ واحدٌ فقط ؟».

إيفا: «أجل!».

قال -بابتسامه عريضة-: «هل كنتِ تعرفين ترتيب الكلام من قبلُ؟! أم هل حفظتيه مسبقًا؟ وأيضًا تعرفين كيف تصبحين أنثى جميلة، أدهشتِني!»

اتسعت عيناها وهي تضربه على كتفِه، وهو يتأوَّه، ويضحكون.

اقتربت منها مُنسِّقة الحفل، وهي تجرُّ خلفها عربة مليئة بالإصدار الجديد لها (لن تبقى وحيدًا للأبد).

أشارت لها، وأخذت المايك منها، وتتحدَّث: «هديتي لهذا الحدث المميز هي إصداري الجديد؛ لتكونوا أوَّل القراء».
أخذت ثلاث نسخ، وبدأت توقِّعُها لوالدتها، وألكاي، وإلياس، وهم ينظرون لها!

بينما أكملت المنسقة: «لا تحتاجون القدوم، ستقوم الكاتبة بتحيتكم جميعًا في أماكنكم، والتعرف شخصيًّا على الأعضاء بمعرفات المستخدِم الخاصة بكم، والتوقيع على جميع النسخ، وسيتم جمع سؤالٍ من كلِّ عضو تلبيةً لطلباتكم بعد التوقيع».

نظرت إليهم: «أعتذر على تركككم».

ألكاي: «لا عليك، اذهبي أيتها الجميلة، نحن ننتظرك».

بعد انتهائها من التوقيع، عادت لتجلس معهم، بينما يتم جمع الأسئلة وتنسيقها.

إيفا وهي تأخذ قنينة ماء صغيرة وتشربها دفعة واحدة بتعبٍ.

أخرج كلٌّ من ألكاي وإلياس منديلًا لها.

ابتسمت وهي تأخذها: «أحتاج لكليهما، أنا متعبة حقًّا».
استمر حديثهم حتى أشارت لها المنسقة، وتقدمت للمنصة، وابتسمت، وأدخلت يدها بالفازة الدائرية التي تحتوي أوراق الأسئلة.

إيفا -وهي تأخذ ورقه وتفتحها وتبتسم-: «توقعت هذا السؤال، اسمي الحقيقي هو (إيفا) .. وعمري هو واحد وعشرون خريفًا ... كان سؤال (يونا)».

سؤال آخر عن سبب تسميتها لـ (ودق الليل) بهذا الاسم؟
- اعتقد أنه لشدَّة حبي للمطر، وبالأخص ليلًا، ولأنني شرعت بكتابته تحت صوت المطر، وأنا أشاهده من نافذتي في ليلة شديدة البرودة، شعَرتُ وكأنه يشاركني البداية، فأسميته تيمُّنًا به آنذاك ... شكرًا لسؤالك الجميل (آينا).

هنا سؤالٌ من السيدة (ثلاثة حروف) لطالما راودني الفضولُ حقًّا عن صاحبة هذا اللقب؛ حيث تقول: هناك اقتباس من إصدارك الجديد، كون اللباس هو تعبير آخر للمشاعر، أعرف شخصًا يرتدي الأسود دائمًا، هل يعني أنه حزينٌ أم له معنى آخر؟! وماذا لو أصبحتُ يومًا أرتدي كما يرتدي، هل نحمل نفس المشاعر إذًا؟!

أرادات أن تُجِيب، لكن لفت انتباهُها ألكاي، الذي تحرَّك من مكانه وهو يبحث عن شيء ما.

قبل لحظات نطق اسم (السيدة ثلاثة حروف) وقف بسرعةٍ، وهو يتلفَّت ويتحدَّث مع نفسه: «هي هنا، وترتدي مثلي، هي بالتأكيد!».

إلياس يقف بدَورِه وهو يتحدث إليه: «هي ... أنت ... ألكاي! ماذا حدث؟! ماذا تبحث عنه؟!».

ألكاي وهو يمشي نحو أحد المنسِّقين بالقرب منه، وإلياس يَتْبَعُه: «هي هنا إلياس، متأكد من ذلك»، اعذرني أين السيدة التي كانت بهذه الطاولة، ويشير على التي كانت قريبةً منهم .... يتحدث مع المنسق.

المنسق: «لا أعلم دخل عدة اشخاص هذا الرُّواق قبل قليل لمشاهدة الإصدارات المعروضة للبيع».

إلياس ينظر له: «ألكاي! عن ماذا تتحدَّث؟».

قاطعه المنسق: «هل تعرف ماذا ترتدي؟».

ألكاي بسرعةٍ: «ترتدي لباسًا يُشبِه ما أرتديه الآن، رَكِّز معي في هذه القطعة الجلدية .. مطابقه لها!».
إلياس: «يا ... ماذا تقصد بالقطعة الجلدية؟ هل سبق وأعطيت أحدًا من معاطفك؟».

المنسق بعد تفكير: «هناك فتاة ترتدي بالفعل لباسًا أسود مع ماسك أيضًا دخلت ...».

تخطَّاه ألكاي بسرعةٍ ودخل للداخل ....
توقَّف إلياس ليشير إلى إيفا التي ارتبكت بدَورِها وهي تنظر نحوهم ... لتُكمِل ولا تقلق حتى استأنفت حديثها.

دخل وهو يتفقَّد المكان بنظرات مركَّزة، اقترب من إحداهنَّ وهي تلتقط أحد الكتب وتتصفحه بهدوء: «روف؟!» أعاد السؤال عندما لم تُجِبْ: «روف! كان عليك التخلص من معطفي على الأقل».

التفَّت بهدوء، وهي تنظر له بصمتٍ، ثم نطقت بثقلٍ: «ماذا تريد؟».

نظر لها باستغراب ثم نطق: «هل أنتِ غاضبة؟ ماذا حدث؟».

ردَّت وهي تتخطاه بيدها الكتاب لكي تذهب لصالة الحدث مرة أخرى: «لا شيء يستحقُّ الغضب، لا تغترَّ!».
لَحِقَ بها، وكان على وشك النطق، لكن توقف وهو يرى ماريا تقف وتحتضنها دون مقدمات.

روف كانت تعود لمقعدها، زَفَرت وهي تخلع الماسك وتضعه بجيب المعطف، تستعد للمغادرة مبكِّرًا، لكن وقفت ماريا التي كانت تنظر نحوها، وعند تعرُّفِها عليها نهضت بسرعةٍ وهي تبتسم بفرح وتحتضنها بحبٍّ بالرُّغم أنَّ روف لم تقابلها بأيِّ ردة فعل، حتى أنها لم ترفع يديها الَّتي سَبَلَتْها ممدودةً بدهشة.

ماريا: «أنتِ! أخيرًا التقيتُ بك!» ابتعدت عنها قليلًا وتُمسك بيديها الاثنتين، وهي تنظر بعينيها التي تنبعث منها الحَيرة، والتوتر، والحزن ذاته: «أهلا بك».

ماريا: «هل كنتِ بخير حقًّا؟! هذا يوم جميل، التقيت بك هنا، أنا سعيدة».

تقدم إلياس وهو يمدُّ يدَه بعد ابتعاد ماريا عنه: «أخيرًا التقينا آنسة روف راين، تسرُّني رؤيتك، صافحها وهو يُعرِّف بنفسه (إلياس)».
هزت رأسها بابتسامة: «تشرفت بك، شكرًا لكِ ماريا، أنا بخير، كيف حالك أنتِ؟ هل أصبحتِ بخير الآن؟».
أمسكت ماريا بيدها: «أجل، أنا بخير، تفضَّلي، انضمِّي لنا، ستكون إيفا هنا قريبًا».
نظرت ماريا نحو إلياس: «أين ألكاي؟ هل ذهب لمكان؟».

التفَت وهو يقترب ويتكلم: «أنا هنا»، ويقف بعد سحبه للمقعد المقابل لروف، ويمد يدَه ويبتسم «مرحبًا»، وقفت بسرعةٍ وهي تبادله المصافحة والتحية.
- أعتقد أننا سبق والتقينا أنا ألكاي!

جلست روف بعدما جلس: «أجل أعرفك بالطبع» نظرت لماريا التي تحدِّق بيدها، قامت بجرِّ الكمِّ حتى غطَّت يدها بصمتٍ.
قطَّب حاجبيه، ثم نطق بطيف ابتسامة وهو ينظر نحو إلياس: «ألا يتطابق معطفي مع الآنسة روف إلياس؟!».

إلياس ينظر نحوها وهي تنظر بدهشة: «آ .. لا أظن ذلك، ربما يشبه التصميم واللون، أنت لا تمتلك سوى الأسود، كيف تفرّق بين تصاميمها بالأساس ... ههه».

ألكاي نظر له بغيظ وهو يرمقه بنظرة: «أنت مضحك، هي لا تتشابه إلا بلونها الموحد فقط».

تقدَّمت إيفا بعد بعض الوقت، وهي تحييها بابتسامة: «أهلًا بك أهلًا روف، أنا إيفا - وتهمس- معلومة خاصة ... هههه، وتجلس بجوارها».

روف تبتسم وهي تنظر لها بتركيز: «هل التقينا من قبلُ؟!» وتفكر: «... آه أجل أنتِ ...» وهي ترفع ناظريها نحو إلياس، الذي صد بنظراته بسرعةٍ، توقَّع ما تريد أن تقول بتوتُّر.

صمتت عندما نطقت إيفا بسرعةٍ: «أكون أخت ألكاي، اشتركنا بحليب أمي اللطيفة التي يبدو أنها أحبَّتك بشدَّة، ولن تتركك بسهولة حسبما أظن».

ابتسمت روف بهدوء، وهي تدلِّك جبينها بإحدى أصابعها لشعورها بالتوتُّر: «آاه .. نعم في زيارتي الماضية التقيت بماريا متأكِّدة بكونها أم جيدة» وأحنت رأسها للأسفل وتضغط على يديها أسفل الطاولة.
وقفت وهي تُشتِّت نظراتها التي علقتْ بنظرات ألكاي: «أعتذر، سأغادر قبلكم، سررت بلقائكم حقًّا».

أوقفتها إيفا: «روف انتظري» وأكملت وهي تراها تنظر لها: «أرجوك اقبلي دعوتي لك، أمي أقامت حفلًا عائليًّا صغيرًا بمنزلنا، لنذهب ما رأيك؟!».

روف بهدوء: «يسعدني ذلك، ولكن كما قلتِ: (عائلي) إيفا! أناا لا أريد أن أشعركم بعدم الراحة، وأيضا لديَّ مكان أريد الذهاب إليه».
إيفا وهي تقترب وتدخل يدها بذراعها: «ألا تستطيعين أن تلبّي طلبي، مللتُ من وجودي في منزلٍ مليء بالفتيان، أنا وحيدةٌ، أرجوكِ، وأيضًا لن يشعر أحدٌ بالانزعاج، صحيح؟!» والتفَّت نحوهم «صحيح» أشاروا برؤوسهم بصمتٍ.

حتى وقفت ماريا، وهي تنظر لساعتها: «الآن الساعة الرابعة مساءً، اذهبي للمكان الذي تريدين وتعالي للعشاء بعد أربع ساعات؛ إذ يتوجَّب عليَّ شكرك روف، أرجوك ساعديني على ذلك».

ابتسمت روف: «حقًّا لا داعي للشكر، ولكن حسنًا، سأكون هنا بالوقت المحدَّد».
إيفا بفرحٍ نطقت: «أجلال» ثم ودَّعتْها وغادرت بهدوء.

24. كذب الحروف

توقفتْ بالخارج، تنتظر الأجرة، وهي تشدُّ المعطف بشدَّة لبرودة الطقس، وترتدي الماسك وتغطي رأسها بالكاب من جديد: «أووه ما هذا الموقف؟!» وتحني رأسها تنظر للقطعة الجلدية التي نقشت بها حروفُه بالفعل، ونطقت: «عملٌ صبيانيٌّ حقًّا من لا يزال ينقش اسمه على ملابسه!» توقَّفت أمامها سيارة فارهة مفتوحة السقف.

- تحتاجين توصيلة يا آنسه؟

كانت ستجيب حتى تقدَّم من خلفها، وهو يُمسِك بكمِّ المعطف، ويقوم بسحبها وهي تنظر بدهشةٍ لهذه الجرأة حتى توقف أمام سيارته، وهو يقوم بفتح الباب لها.

نظرت له بغرور: «ماذا تريد؟ لن أذهب برفقتك».

تكلم بهدوء، وهو يأخذ نفسًا: «روف نحتاج للحديث فقط».

تكلمت بنفس الهدوء الذي يعتليها بعد تحديق طويل: «لا شيء بيننا لنتحدَّث عنه، سأغادر، نلتقي هناك».

أوقفها بهدوء، وهو يقف أمامها حتى تراجعت بخفة: «لِمَ تُخفِين ملامحك؟! هل حدث معك شيء؟!».

ابتسمت بملل وبرود: «ماذا تظن نفسك؟! تصطنع القلق؟! ما الذي تحاول ايصاله بالضبط؟! م أتوقع رؤيتك هكذا حقًّا، لا، أنا لم أتوقع أصلًا رؤيتك هنا من الأساس».

وذهبتْ وهي تُوقِف الأجرة، وتغادر المكان تحت دهشة ألكاي!
- ما هذا الموقف روف؟
.....

نطقت بتعبٍ وهي تنظر للمحيط، والشمس توشك على الغروب، الطقس آسِرٌ رغم برودته، جلست على الصخور التي نحتت أغلبها على شكل مقاعد، التقطت صورةً لها وخيوط الشمس تنعكس في عدسة عينيها، ثم أخذت صورة أخرى وهي تبتسم.

ذهبت تتصفَّح مشاركات الأعضاء في نادي القراء؛ حيث علق أغلبهم باقتباسات الكتب وإبداء إعجابه الشديد بالكاتبة، اكتشفت أنها لم ترفع أي مشاركة من وقتٍ طويلٍ!

استمرَّت تكتب وتقوم بحذفه مرة أخرى حتى أرسلت هذه المشاركة: "ألم يصلك حديثي المزدحم طوال تحديقي بك؟!".
وعلقت أسفله: ربما لم يكن بهذا العمق لو لم يتوافق مع الموقف.

انهالت الإعجابات والتعليقات؛ حيث إنها كانت عضوًا فعَّالًا حقًّا.

لم تستطِع منع نفسها من آخر مشاركة قامت بها قبل عودتها للفندق: "أتقنتَ كلَّ اللغات، أَعَجَزْتَ عن بوح العيون؟!".

أغلقت هاتفها، وعادت للفندق للاستعداد للذهاب لمنزل ماريا دون أن تدرك سرعة تداولهم لهذه المشاركة ولكمية التفاعلات معها.

وقفت أمام المرآة، وتنظر في لباسها؛ الذي يتمحور بالكامل بالأسود، باستثناء المنديل القماشي المربوط على عنقِها الذي ينتمي لوالدتها؛ حيث قامت بتطريزه باللون الزهري تتداخل في بعض ألوانٍ رُسِمت بها الزهور لمُطرَّزةٍ بعنايةٍ، تستعد للمغادرة هي لم تتوقع أن تلتقي به، ولكن هي على وشك لقاء كامل العائلة، ظنَّت أنها ستبقى عامًا وحيدةً، وها هو أول يوم يجمعها معه ذلك الشخص الذي قرَّرت نسيانه مع الأشياء الباقية التي تخلَّت عنها.

أخذت علبة الشكولاتة التي ابتاعتها عند عودتها، لا تريد الذهاب خاليه اليدين.

نزلت أمام الباب، وهي تُرتِّب مظهرها بعنايةٍ، ثم رنت الجرس وتراجعت للخلف قليلًا، ولم يستغرق سوى دقيقةٍ حتى فتح.
بابتسامة هادئة: «أهلًا تفضَّلي».
صمتتْ قليلًا قبل أن تُجيب أو تتقدَّم لدهشتِها من مظهره الذي تراه لأوَّل مرَّة، لا يرتدي الأسود أبدًا، بل يرتدي تِشِرْت أبيض أسفل البليزر البيج المطابِق للبنطالون، طقم غير رسمي باللَّون الأبيض والبيج!

- آاه شكرًا، وتقدَّمت للداخل بعدما تراجع قليلًا عن الباب للخلف.

بعد تحية الجميع، والجلوس على طاولة الطعام، تحدَّث ليمان: «أهلًا بك، أنا سعيد لرؤيتك بحقٍّ، وشكرًا لك آنسه روف على كلِّ شيء».

كانت متوترة بشدَّة، الجميع هنا (ليمان وعائلته، أندريس، ماريا وعائلتها، ألكاي، إلياس، إيفا) الجميع حقًّا، توتَّرت ونطقتْ بابتسامةٍ بسيطة: «لا عليك، لا شيء يُذكَر حقًّا، توجَّب عليَّ فعلُ ذلك».

نطقت سونا (زوجة ليمان) بشيء من الضحك: «ألكاي، هل أنت معجبٌ بها؟! أنت تحدِّق بها طوال حديثها».

اكتسى وجه روف بالخجل، بينما ردَّ ألكاي بابتسامة عريضة وببرود بكلامه: «حقًّا! ها أنا أنظر إليك، هل أنا معجب بك؟! ببساطة الجميع هنا ينظرون نحو المتكلِّم! - قاطع حديثَه ضحِكُ إيفا وإلياس-».

رفع أندريس صوته مقاطعًا ضحكهما لرؤيتِه حرج سونا: «برعتِ بصنع الحقنة، أشكرك بجدٍّ، وأعتذر لك عن وضعك بمثل هذا الموقف المصيري، حقًّا أنا مدرك صعوبة مشاعرك أثناء صنعها بالتأكيد».

أخذت تنهيدة خفيفة لتستطيع الكلام: «شكرًا لك، متأكدة أن أيَّ طبيب يستطيع صنعها لو أراد حقًّا».

تحدث إلياس بجِدّيه: «لا تُقلِّلي من قدرتك آنسه روف، أنا طبيب متدرب، ولن أستطيع صنعها حقًّا، يتوجب على ألكاي شكرك أكثر منا جميعًا، أنتِ مُنقِذتُه».

ازداد توتُّرها كلَّما طال الحديث، والكل ينظر نحوها حتى أكمل عليها بذلك ألكاي وهو ينطق وينظر لها: «روف أنا لا أعرف الطريقة الصحيحة لشكرك، ولكن شكرًا لك روف حقًّا، أنا ممتنٌّ لك بحقٍّ».
نظر ألكاي بجِدَّة نحو سونا، التي نطقت بحديثٍ يُشبِه الهمس، رُغم ارتفاعه وهي تقول: «لا رسمية في الحديث حتى هذا حقًّا».

قاطعت حديثها هذه المرة إيفا، وهي تقف وتنطق بضحك: «عن إذنكم جميعًا، سأختطف ضيفتنا للأعلى، وقالت بابتسامة عريضة لتخفيف توتُّرها: «أريد إبرام عقدٍ للحصول على صديقة ربما تُعوِّضني عن الأخت».
وقفت روف وشكرتْهم على الطعام، وذهبت برفقة إيفا لغرفتها، طلبت منها تنتظر لحين ذهابها تجلب الشاي.
بقيت روف تتمشى بالأرجاء، اقتربت من النافذة التي على شكل باب زجاجي: «واو» وفتحته بخفَّة؛ حيث يفتح على سطح المنزل (جزء خاص بغرفة إيفا فقط) وكانت به مقاعد جميلة، مع إضاءة خافتة جدًّا جميلة، وتساعد للاسترخاء ...
أغمضت عينيها لتستشعر الهدوء الرائع.

تحرَّكت بفزعٍ شديدٍ عندما غطَّت إيفا عينيها: «أووه ... من؟!».

إيفا -بحرج وهي تعتذر-: «اعتذر روف، أفزعتك، لم أعلم أنك غير مدركة.. أنا آسفة حقًّا».

ابتسمت روف وهي تأخذ نفسًا عميقًا: «لا لا أنا فقط لوهلة نسيت نفسي أمام هذا الجمال، هل نجلس هنا؟».

إيفا وهي تأخذ الأكواب وتتقدَّم: «بالطبع، هذا مكاني المفضَّل -جلستْ وتبتسم- قمت بتزين المكان بعد إصداري لـ(ودق الليل)، واتخذته مكان استرخاء ومصدرًا لإلهامي لكتاباتي، وبالفعل أصبحت أنسج بدايات كتبي عندما كنت أجلس في هذا المكان - ونظرتْ لها- هل لديك مشكلة؟! الطقس شديد البرودة!».

روف وهي تأخذ نفسًا عميقًا: «لم أعِشْ لحظة أجمل من هذه منذ زمنٍ صدقيني».

ابتسمت إيفا: «حسنًا، أتمنى أن تكون القادمة أجمل روف، هل لديك منزلٌ هنا كما قلتِ؟! والدك لم يأت برفقتك؟».
روف: «أنا الآن أقيم بفندق قريب، غدًا سأذهب لرؤية سكنٍ جديدٍ أمكث الفترة القادمة به».

إيفا: «أعتذر روف عن السؤال: هل أنتِ بخير؟ أعني الخبر الذي نُشِر ... تعلمين ... لا تفهمي ذلك بطريقةٍ ... آه ... تبًّا لي لسؤالي».

لمعت عيناها، ثم حركت عينيها لتشتت ذلك: «الآن أنا بخير حمدًا لله ... لا بأس عليك فهمت سؤالك».

نظرت روف بيديها قليلًا، وهي تدلكها بحُزنٍ تسلَّل لها، وبصوت مرتجفٍ دون أن ترفع نظرها للأعلى: «أانا تعثَّرت بإحدى الطرق، وعند خروجي منه بصعوبة أردت بداية جديدة لا تحتوي سواي؛ لأنه ومهما تعثَّرت به سيكون تأثيرُ ذلك بي أنا فقط، وبالكاد أستطيع هذا».

كانت إيفا ستتحدث، ولكن سمعت طرقات على الباب وذهبت لتفتح لتجدَه ألكاي!

ابتسم بهدوء: «أرسلَتْه ماريا لكما».

نظرتْ إيفا بالصينية التي يحملها، بها أطباق من العشاء: «آه ... أجل ... روف لم تتناول العشاء ... لم تجلب أدوات الطعام، ضعه بالشرفة، سأذهب لجلْبِها» ربَّتت على كتفه وتخطَّته للدَّور السفلي.

تقدَّم وأطلَّ برأسه مع باب الشرفة: «مرحبًا، سأضعه هنا ... ماريا تطلب أن تأكلي، بالتأكيد لم تتناولي سوى القليل».
وقفت ونظرت روف له بهدوء وأشارت له برأسها: «حسنًا، شكرًا لك».

كان سيغادر، ولكن تراجع وهو يقول: «هل ستعودين قريبًا؟ هل أنتِ بخير روف؟».

روف تقبض يدَها، وهي تكبح نفسها، وبنظرات قاسية وبصوتٍ مرتفعٍ قليلًا: «ماذا تظنُّ؟! أنَّ والدي عذَّبني ... لا تقلق ... أنا وأبي نعرف متى نستغل ونستغني ... هههه ... أنت حساس جدًّا ... أنت وأختك تسألونني منذ أتيت عن حالي، أنا لا أحتاج لاهتمامك المزيف يا طور القمر ...»، ثم صمتت قليلًا وأكملت: «كن كما اعتدتَ؛ باردَ المشاعر، لا تثق بأحدٍ، أصبحتَ مثيرًا للشفقة حقًّا».

والتفَّت لتغادر حتى أمسكها بغضبٍ، وعيناه تكاد تُطلِق الشرار، وبصوتٍ مرتفِعٍ: «أجل، قلقت عليك -وبصراخ- لاااا، وبشدة أيضًا حسنًا، أناااا تخطَّيت الحادية عشرة مساء لأوَّل مرة من ولادتي حتى حقَنَني أندريس بالمنوِّم قسرًا بسببك، انتظرتك عند الشاطئ حتى تيبَّستْ قدماي من البرد، لُمت نفسي كثيرًاااا روف -ويعضُّ شفته بغضبٍ ويأخذ نفسًا- لا تقلقي، لم أتوقع منك أن تعانقيني عندما نلتقي، أنا فقط أريد طمأنة هذا -ويسحب يدها ويضرب بها على صدرِه- لا أعلم علَّته حقًّا».

عادت إيفا أدراجها من لحظاتٍ عندما سمعت أصواتهم ارتفعت، ووقفت عند رأس السلالم بهدوء، وهي تنظر بهاتفها تتصفَّح موقع (نادي القراء) وردود أفعالهم، وغير ذلك.

روف تنظر له بدهشة، وتسحب يدها وتقبضها، وتتنفس بهدوء، وتغمض عينيها، ثم تفتحها: «لك ذلك، أنا كنت بخير للغاية حتى إنني تجاهلت رسالة اللقاء عن قصدٍ!، وبالنسبة للخبر: لم يغضب والدي؛ لأن ذلك ساعده على بلوغ هدفه، أكسبته الوقت الذي كان يريده، ألم أخبرك أننا نعرف (متى نَستغِلُّ ومتى نستغني)، بالنهاية أنا ابنة والدي صحيح، لن أفسد اسمه لأجل أحدهم، أعتذر لك، لكن كن أقوى من ذلك».
اتسعت حدقاته ثم كسر حاجبيه وهو يقول: «روف! ألم يستحق قلقي حقًّا إذًا؟! -ثم هز رأسه وقطَّب شفتيه- أعلم أنك لستِ بخير مع هذا كلِّه» وغادر.
أوقفته قبل أن يفتح باب الغرفة، وهي تتكئ على باب الشرفة: «آه ... شيء أخير ... - وتشير بيديها عليه من الأعلى إلى الأسفل- هل تُعبِّر عن مشاعرك بلون اللباس؟! أحببتَ هذا اللون؟!».

ابتسم ابتسامة واسعة جميلة، وهو يومئ برأسه: «آه ... أجل ... على ما أعتقد إنْ صدقت الكاتبة، كما أصبح الأسود يليق بك ويعكس مشاعرك!» وخرج وأغلق الباب خلفه.

عادت وأغلقت باب الشرفة، وانزلقت لتتكئ على باب الشرفة، وأجهشت بالبكاء بحُرقة وحزنٍ، وهي تقبض على وشاح العنق.

وقفت واقتربت من صينية الأكل التي جلبها، وأكلت ودموعُها تختلط مع الأكل: «لقد أحضره لأجلي، يتوجب على تناوُلُه»، مسحت دموعها بعنفٍ: «لن أبكي، لقد وعدتُ كارتال، أنهيتِ المهمة بنجاحٍ، أحسنتِ روف؛ لكي يبقى بخيرٍ عليه أن يبتعد عني».

وذهبت لدورة المياه المرفقة بغرفة إيفا، وغسلت عينيها رُغم احمرارِها، وأخرجت علبة (الميك آب) الصغيرة، وهي تطبطب على وجنتَيها بيدين مرتجفتين: «أخفيت الندوب، ليس فقط بضع دموع».

خرجت لتجد إيفا تقف بالغرفة وتحدَّثت وهي تبتسم: «اعتذر، هل تأخرت عليك؟ هل غادر بالفعل؟ لنأكل» وترفع أدوات الطعام.

نطقت روف بخجلٍ، وهي ترفع يديها: «أكلتُ بالفعل، وها أنا أخرج بعد تنظيف يدي».

إيفا ابتسمت بعينين مدهشتين، وهي تنظر للطبق الفارغ على الطاولة: «هذا جيد، وهو الأهم بالطبع، أتمنى أنك استمتعت بتناوُله، كانت فكرة ألكاي؛ حيث طلب من أمي أن تضع لنا الطعام».

روف تقاربت حاجباها وفردتها بسرعةٍ: «آه ... أجل ... شكرًا لكم، سأهمُّ بالمغادرة إذًا، اشكري عائلتك عني أرجوك»، واقتربت واحتضنت إيفا: «أتمنى لكِ النجاح إيفا».

إيفا تبتسم بحزن اجتاحها: «حسنًا سأبلغهم بذلك، شكرًا لحضورك، وأعتذر منك أيضًا، وأيضًا كوني بخير روف دائمًا» أكلمت وهي ترى روف تومئ برأسها إيجابًا، وتبتسم، وأيضًا روف: «لنلتقي من وقتٍ لآخر ما دمتِ هنا».

غادرت روف وودعتها إيفا حتى غادرت، ولم تلتقِ بأحد؛ حيث كان الوقت قد تخطَّى العاشرة، وقد رحل ألكاي مع والده، وذهب إلياس لمنزله هو ووالده.

دخلتْ روف للفندق، وهي تشعر بألمٍ شديدٍ بمعدتها حتى استفرغتْ كلَّ ما أكلتْ بسبب الاضطراب الذي أصابها عندما حبسها والدها، ولم تعد تستطيع هضم الأكل حتى تستفرغ من جديد، غيَّرت لباسها واستعدَّت للنوم، وعندما مر الوقت ولم تستطِعْ النوم نظرت بساعة هاتفها، كانت تشير للرابعة فجرًا.
أخذت معطفها الأسود الذي لم تستطِعْ التخلص منه بأيِّ شكلٍ، وذهبت لقبر والدتها وانحنت عليه رُغم برودة التراب، إلا أنها نامت وهي تشعر أنها بحضن والدتها، وتتحدَّث إليها حتى غلبها النعاس:
أمي، هل تحتضنيني بجانبك، أنا لم أَعُد أعلم ماذا أفعل؟ ذهبتِ وتركتِني معه، هو يكرهني بالفعل، أنا بعدك لم اتِّخذ قرارًا بحياتي، حتى دراستي، هو من اختار التخصُّص الذي كَرِهتُه سوى تلك المرة الذي ساعدني لإنقاذه، أجل (طورَ القمر) يا أمي، لقد أذيتُه البارحة كثيرًا، تجاهلت عينيه وصوتَ قلبه، أمي، هل يعقل أن يوجد شخصٌ يُحب دون شروطٍ؟! أنا مرتبكة جدًّا بشأنه بعد تلك الأعوام، حاولت الفرار من واقعي والعيش بحرية تامة، ولكن كان أوَّلَ شخصٍ تعرَّف عليَّ.
قلبي يؤلمني كثيرًا، أريد التحرُّر من سلطة والدي كيف ذلك؟! ... أاانا .... (سرقها النوم لأحضانها على تلك التربة الباردة، ولم تستيقظ إلا بعدما اشتدَّت حرارة الشمس برأسها.
نهضت بفزعٍ، ثم ترنَّحت عندما وقفت بدوارٍ شديدٍ أفقَدَها التوازن للحظاتٍ، صُعقت عندما وجدتْ الساعة تشير للثانية عشرة مساءً، أغمضت عينيها ثم نظرت نحو القبر: «أمي، شكرًا لك، لم أنم بعُمقٍ منذ وقتٍ طويلٍ جدًّا، حتى إنني لم أحْظَ بأيِّ كوابيس، سأعود مرة أخرى» وغادرت.

وقفت بدهشةٍ، وهي ترى إيفا تنتظرها أمام الفندق، تقدَّمت منها: «أهلًا إيفا».

إيفا: «مرحبًا روف، انتظرتك، غادرتي الرابعة فجرًا، هل كل شيء بخير؟ أعطيني رقم هاتفك».
روف: «آه أجل كان هناك مكانٌ أريد زيارته، واستغرقت وقتًا طويلًا دون إدراك بالوقت، كلُّ شيء على ما يرام».

إيفا -وهي تنظر لآثار التراب على أسفل المعطف-: «والدتك؟».

روف -تنظر لأسفل المعطف-: «أجل، يمرُّ وقتي بجوارها بالأمان لرُوحي، هل نتناول الغداء؟! اقبلي دعوتي!».

إيفا تبتسم: «لكِ ذلك، هيا بنا، أتيت لأخْذِك بالأساس لنقضي الوقت معًا، هذا رائع».

روف بتردُّد: «إيفا ... هل يمكنك دعوتهم؟! أعني: إلياس وألكاي».

إيفا -بالرُّغم من الاستغراب إلا أنها وافقت-: «بالتأكيد، كوّني صدقاتٍ ما دُمتِ هنا».

ابتسمت روف بهدوء: «حسنًا، سأذهب لتبديل لباسي، نلتقي هناك بعد نصف ساعة، حدِّدي المكان وأخبريني، لا أعرف أماكن كثيرة!».

بعد نصف ساعةٍ دخلتْ، وهي تبحث عن إيفا، التي أشارت لها، وذهبت نحوها، وكانت وحدها.

روف تجلس وهي تنظر حولها: «واو، هذا جميلٌ، المكان رائع».

إيفا: «مكاننا المفضل نحن الثلاثة، متأكدةٌ سيصبح مكانك المفضل؛ الطعام هنا لذيذٌ، تحتاجين للتغذية، أشعر أنك فقدتِ نصف الوزن عن آخر مرة رأيتك بها».

روف تبتسم وتحك جبينها: «ربما ... هل سيأتون؟».

إيفا: «أجل، ها هما قادمان» وتشير لهما ويتقدَّمان.

كان ألكاي يرتدي هاينك ثقيل باللون البني مع بنطال أسود، وإلياس هاينك كالعادة باللون البيج مع بنطال بنّي اللون، وبليزر نفس لون البنطال.

تقدَّم ألكاي وجلس بجوار إيفا وبابتسامة: «مرحبًا، اختيار موفَّق، أُحِبُّ المكان حقًّا».

تحدث إلياس بعد التحية: «المكان بالجليس!» ويرفع حاجبيه للأعلى.

إيفا: «أووه هذا مغترٌّ جدًّا بنفسه، اشكروا روف على الدعوة، وهَيا لنطلب، يبدو أنها على وجبة العشاء الماضية».

إلياس: «أووه حقًّا! لماذا؟ هل أنتِ بخير؟».

روف تقطب شفتيها: «آه أجل، كان لديَّ عملٌ ومرَّ الوقت دون إدراكٍ مني، ولم أكن جائعة أكلت كثيرًا الليلة الماضية، طعام ماريا لذيذ».

إيفا -وهي تنظر بهاتفها-: «واااو ... ما هذا؟»، نظروا نحوها وهي تلف الهاتف: «انظروا ... مشاركةً من أحد الحضور أمسِ كسرتْ حاجز المليون متداولٍ، هذا جنون!».

إلياس يقرؤها: "أتقنتَ كلَّ اللُّغات ... أعَجزْتَ عن بَوح العيون؟!" «واه».

إيفا: «كيف أستطيع الوصول لصاحب هذا، مؤثِّر جدًّا، أمم ... آه وجدته!».

أمال ألكاي رأسه لينظر معها بالهاتف، وبابتسامة خفيفة: «سيدة الحروف الثلاثة!».

أشارت روف بسرعةٍ للنادل، وطلبت القائمة للطلب.

بعد الأكل، استأذنت روف الذَّهاب لدورة المياه، واستفرغت كلَّ ما تناولته، وهي تشعر بتعبٍ مُضاعَفٍ، وقفتْ أمام المرايا وهي تطبطب بالمياه على عنقها، وتضغط على رقبتها، ثم تضغط بسبَّابتيها على جانبي جبينها لتستشعر برودة الماء، تشعر بالدوار، عادت تغسل وجهها من جديدٍ، ثم جففت المياه، وعدَّلت مظهرها، وعادت لهم .
وقفت على بُعدٍ منهم، ورأتهم يبتسمون ويتحدَّثون فيما بينهم، اقتربت وجلست بسرعةٍ عند شعورها بالدوار من جديد، أخذت كوب المياه وشربتْه دفعةً واحدةً بعطشٍ شديدٍ.

ألكاي نظر بتمعُّنٍ بها، وهو يرى جبينها يتعرَّق من جانبيه: «هل أنتِ ...» ثم توقف ولم يكمل، حتى أجابت: «بخير .... أنا بخير، شكرًا لكم لتلبية الدعوة، أردتُ أن أعتذِر منكم لكلِّ شيءٍ وأي موقفٍ وضعتُكم به مسبقًا».

إلياس: «الشكر لك أنتِ على ما فعلتِيه، تمنَّيتُ حقًّا لقاءك، كانت فرصه رائعة»، ونهض: «لديَّ عملٌ، شكرًا على الدعوة» قال وهو يغادر: «المرة القادمة على كلفة ألكاي، اتفقنا؟» وغادر.
ألكاي الذي عاد إلى الطاولة وهو يقول: «روف هيا بنا، ستذهب معنا إيفا، أنتِ تحتاجين للمستشفى لا أريد نقاشًا هيا».

إيفا تقترب وتمسك بجبينها وتُفزع: «حرارتك مرتفعة بشدَّة هيا بنا ألكاي».

وقفت وهي تقول: «لا لا أحتاج للمستشفى، معي الدواء، لن أذهب» ولم تُكمِل حتى فقدت توازُنَها وأمسكا بها (إيفا وألكاي).
أخرج ألكاي مفتاح السيارة وأعطاه إيفا: «اذهبي افتحي لي الباب الخلفي، واصعدي قبلها» وعندما أراد حملها رفضتْ، واتكأت على يده، ومشتْ معه خطوات مترنِّحة.

فقدت الوعي عند خروجهم، وقبل أن تصل للأرض حملها بسرعةٍ بين يديه وأدخلها ووضع رأسها بحجْرِ إيفا، وذهب ليقود.
بالطريق كان تهمس ببعض الأحاديث، أحنت إيفا رأسها لتسمع ما تقول: «لا.. آاا ... أبي ... سيجدني .. أرجو ...» وغابت مرة أخرى عن الوعي.

إيفا بسرعةٍ: «ألكاي توجَّه لمشفاكم، ولا تُسجِّل دخولها أرجوك، يبدو أنها لا تريد معرفته لمكانها».

25. رسائل لا تُفهم

أومأ برأسه، وغيَّر اتِّجاهه بصمتٍ غريبٍ.

الطبيب بعد إدخالها لغرفة المعاينة: «اذهب لتسجيل المريضة، هل أنت الوصي؟».

صمت قليلًا: «آه، حسنًا» وذهب.

- اسم المريضة وبياناتها؟

ألكاي: «إساف أولاني، ويبحث في جيب معطفه، يا للأسف، لا أحمل رقْمَها الوطني، يبدو أنى نسيتُه بسبب حالتها؟».

- حسنًا، اسم الوصي وصلة القرابة؟

صمت حتى تحدَّثت إيفا من خلفه: «خطيبة السيد، وهو متدرّب هنا، ماذا تفعل؟!» وتُخرِج بطاقته، وتُمرّرها للموظف الذي ابتسم.

- ذاكرة الفولاذ! سُررتُ بمقابلتِك، تفضَّل -ويمد بطاقته- ستصدر الفاتورة بعد المعاينة، يمكنك المرور مرة أخرى لدفعها.

ألكاي يتناول بطاقته: «شكرًا لك ... حسنًا» وذهب مع إيفا لمقابلة الطبيب المعايِن.

ألكاي يتحدَّث مع الطبيب بينما إيفا دخلت الغرفة: «من ماذا تشتكي؟ هل ستصبح بخير؟».

الطبيب يقطِّب شفتيه ويهزُّ رأسه: «مصابة بالحمى الشديدة فعلًا، وأيضًا ...» أكمل عندما كانت عينا ألكاي تحثُّه على الحديث: «الأنسة تعاني من سوء تغذية حادٍّ، أيضًا ...» ولم يكمل.

ألكاي بتوتُّر، وهو يبتلع ريقَه بخوفٍ: «ما.. اا .. ذا؟! سيدي الطبيب أرجوك أخبرني؟».

الطبيب يُخفِت صوته: «هل هي خطيبتك؟ أنا بالفعل طلبت بياناتها لإبلاغ الشرطة!».

ألكاي فقَدَ صبرَه، وهو يشعر بالجفاف بحنجرته، وصوتُه يتقطَّع: «مااااذا تقول؟ هييي .... أنت ... ويُغمِض عينيه، ويأخذ نفسًا عميقًا .... تحددددث أرجوك».

الطبيب: «خطيبتك تعرَّضت للعنف الجسدي، أعتذر، سوف أبلِّغ عنك، الممرضة وجدت آثار الضرب الشديد بجسدها».

ألكاي يتراجع للخلف بعينَين متسعتين، ويُمسِك رأسه، وكلُّ شيء يُتصوَّر في مخيَّلتِه بعد الخبر، وحتى آخر عبارة شاركت بها، وضع يديه على وجهه، وهو يتنفس بشدَّة، ثم انتبه للطبيب وهو يُخرِج هاتفَه ومعه ورقة البيانات ... اقترب وهو يسحب الهاتف ويرميه بقوَّة على الجدار ليتحطَّم أمامه ويصرخ به: «لا تتَّصل، هناك سوء فهمٍ»، اشتدَّ الصراخ بينهم حتى أخرج هاتفه بسرعةٍ، وهو يتصل على أندريس، الذي يتجاهل المكالمة أثناء الاجتماع لمجلس الإدارة للمؤسسة الصحية، صرخ بغضب وهو يفتح باب الغرفة، ويُخرِج إيفا المصدومة للزَّحام بالخارج بوجه الغاضب: «إيفا ابْقِي هنا، لا تدعيه يذهب مكانًا، واتَّصلي بإلياس ... لا لا لا تتصلي ... انتظري».

وذهب يركض للمصعد ... ولكن تأخَّر ... صعد السلالم وهو يركض حتى وصل الطابق الخامس وهو يلهث ويتصبَّب جبينه عرقًا، فتح باب غرفة الاجتماع المظلمة والتي ينيرها جهاز العرض المرئي فقط.
انحنى على ركبتَيه بتعبٍ شديدٍ، وهو يشعر بالدوار لسرعته بالركض، وهو الشيء الأكثر منعًا عليه.
وقف أندريس بفزعٍ عندما التفَّت جميع الأنظار نحو الباب، وذهب يركض له، وأمسك به: «ماذا؟! ألكاي ما بك؟! هل أنت بخير؟! ماذا حصل؟! تحدَّث».

نطق بصوت مختلٍّ ومرهق: «لنخرج من هنا، أنا أحتاجك بسرعةٍ أندريس».

خرج هو وأندريس الذي أمسك به لكي يجلسه على أحد المقاعد، بينما رفض واتجه نحو المصعد الذي يشير باتجاهه لهذا الطابق، سحب أندريس بسرعةٍ عندما فتح المصعد، وجلس على الأرضية بتعبٍ وهو يتنفس بقوَّة.

أندريس ينحني لمستواه: «ألكاي لا تخيفني أكثر، أرجوك تحدَّث، ماذا حصل؟! تحدث إذًا!».

أخبره ألكاي بكلِّ شيء حتى توقُّعاته.

.....
بصوتٍ جَهْوريٍّ، وهو يقترب من الطبيب الغاضب: «مرحبًا، أنا البروفيسور أندريس، هل يمكننا التحدث؟!».

الطبيب اعتدل بوقفتِه بسرعةٍ، وارتبك وتغيَّرت ملامحه، ويتبادل المصافحة مع أندريس، الذي شدَّ على يده، وطلب منه مغادرة الجميع.

إيفا تفتح قنينة الماء وتعطيها إياه بعد جلوسه على مقعد الانتظار بالغرفة، وهو ينظر نحوها ترقد على السرير تنام وموصولة بجهاز النبض والمحلول، الوريدي مُعلَّقٌ.

إيفا بحزن: «ألكاي هل والدها هو السبب؟».
ألكاي بتنهيدة عميقة وهو يلكم رأسه قليلًا براحة يديه: «آاااه إيفا ... أنا السبب على الأقل هذه المرة، سِرٌّ جديدٌ إيفا بيننا نحن الثلاثة».

ينظر لها بحزنٍ وهو يعود بذكرياته: لباسها ... السؤال يوم الحدث ... قولها وهي غاضبه: "أتظنُّ والدي عذبني" ... وأخيرًا المشاركة التي نشرتها، رسالةٌ واضحةٌ جدًّا له وبالتأكيد، وشرد يتحدَّث مع ذاته.
- أعجزتُ حقًّا عن رؤية كلِّ هذا الألم بعينيها؟! هناك لغةٌ لم أحاول حتى تعلُّمها آاااه، أشعر بالألم حقًّا، عليَّ حمايتها بالتأكيد.

إيفا التي صرخت عليه حتى استفاق من التفكير: «ياا ألكاي! ماذا بك؟! أحدثك من وقتٍ طويلٍ، ولست مدركًا لما حولك!».

قال وهو يمسح وجهه براحة يديه: «آاه أعتذر، شردت للحظات، ماذا هناك؟».

إيفا: «ستستيقظ قريبًا، ماذا نفعل؟ خالي أخبر الطبيب والممرِّضة ألَّا يذكروا ذلك أمامها، ونحن لنتجاهل ذلك أيضًا، ما رأيك؟ تعرفها أكثر مني -ولو قليلًا- ألكاي ... لن تحبَّ هذا».

نظر ألكاي إليها، وهو يقطب حواجبه: «إيفا، كيف أتجاهل ذلك رُغم معرفتي بتألمها؟!» ويقضم شفتيه، ويخفت صوته: «لقد تعرضت للضرب، ومن والدها، هذا لن يمرَّ بسهولة».

إيفا -بجدِّية وهي تُمسِك يده-: «ماذا ستفعل ألكاي؟ لن تستطيع منع والدها أبدًا، أعتقد أنه لا يعلم حقًّا بوجودها، ولكن سيجدها بعد انتهاء العام، علينا فعل شيء ما».

ألكاي يتنهد وهو يضمُّ كفيه ببعضهما، وينظر بفراغ حتى نطق: «ماذا أفعل إذًا؟! لن أسمح له بإيذائها مرة أخرى أبدًا، فعَلَتِ الكثير من أجلي، بل كل ما حصل معها بسببي».

إيفا -بصمتٍ ثم قالت بتردُّد-: «إذًا اجعل كذبتي حقيقة، واحمها كرجل لا يُستهان به، دعها تنتمي لك أنت فقط!».

ألكاي بشرود وتفكير: «أتقصدين ...؟!».

إيفا تومئ برأسها: «أجل، اتخذها زوجةً بموجب القانون، وعندها تصبح وصيَّها، أعلم أنك لا تزال صغيرًا، بلغت عامك الثاني والعشرين، وهي على مشارف العشرين عامًا، ولكن عليك إيجاد سبب مقنع لها».

صمت دون ردة فعل، وهو يقف ينظر مع النافذة، كان المطر ينهمر بالخارج، والشمس على مشارف الغروب، وهي لمَّا تستيقظ بعدُ.

إيفا تقترب وتُربِّت على كتفه: «فكر مليًّا، سأعرّج للمنزل لجلب بعض الملابس والطعام، قد تستيقظ في أي وقتٍ، سأعود للمبيت معها كي تذهب ...» وغادرت.

جلس بالمقعد القريب منها، وهو ينظر ليَدِها التي وُصِّل بها المحلول الوريدي ومستشعر النبض، ظلَّ يحدِّق بها لمدةٍ ليست بالقليلة حتى تحركت يدَها بخفَّة، وانكسرت حاجباها بتألُّم، وقَفَ بسرعةٍ، وهو يقترب منها وينظر بتركيزٍ حتى فتحت عينيها، ثم عاودت إغلاقها وفتْحَها مرة أخرى ...

نطق باهتمام: «كيف تشعرين الآن؟ هل تتألَّمين؟ هل أنادي الطبيب؟» تحرك ليناديه، ولكن أمسكت بيده ليلتفَّ بسرعةٍ نحوها: «روف، ماذا تريدين؟» وأكمل وهو يعود ليسحب المقعد ويقترب، وهي لا تزال ممسكةً بيده: «سأفعل أي شيء تريدينه، فقط تحدَّثي أيَّ شيء».

انزلقت دمعة من عينها أمامه وقالت: «هل تم تسجيل دخولي؟».

نطق بهدوء: «تخافين أن يجدك والدك إذا تم تسجيلك؟ لا عليك أندريس رئيس المركز ولم يتم تسجيلك، هل أنتِ بخير إذًا الآن؟ هل تتألمين؟ انخفضت الحرارة قليلًا!

قالت -وهي تغمض عينيها وتَزفِر براحة-: «في أفضل حالاتي إذًا».

عضَّ على شفتَيه ثم تحدَّث: «لتكوني أفضل من هذا أيضًا»، وقف وهو يناولها كوب ماء ويبتسم عند دخول إيفا، ولكن كانت ماريا ترافقها، دفع المقعد بقَدمِه قليلًا للخلف، وتراجع، بَقِيَ لوقت قصير ثم أستأذن وغادر.

ماريا تقترب وتمسح على جبينها بقلق: «صغيرتي، هل أصبحتِ أفضل؟ ماذا حدث لكِ؟! آه صغيرتي المسكينة، لِمَ تعرضتِ للشمس كل هذه المدة؟».

ابتسمت: «أنا بخير الآن ماريا، الشكر لهم ساعدوني».

يجلس على المقعد بالخارج، رنَّ هاتفه: «مرحبًا إلياس ... أجل هي بخير ... سآتي بعد دقائق ... حسنًا».

يقف بصمتٍ في الممر، نسي أين المخرج، أغمض عينيه يحثُّ ذاكرته، يعرف كل ركن في المركز، ماذا الآن؟!.

أقبل إلياس نحوه وهو يتحدَّث: «تقف هنا وأنا أنتظرك بالخارج ... أندريس يريدك بالمنزل».

نطق -بتردُّد-: «هيا بنا، لنذهب».
إلياس: «هل أضعت المخرج؟! من هنا -وهو يشير له عندما عكس الاتجاه-».

ألكاي -يبتسم ويرفع حاجبيه-: «قليلًا اختلط عليَّ المكان، اعتقد بسبب التعب».

كسر إلياس حاجبيه وقال: «آه، أجل، ربما أنظر كم الوقت تأخَّرت هنا» اقترب منه وأخذ وضعية الاستعداد: «أنا هنا سيدي لإرشادك، تفضل» وابتسم.

ابتسم ألكاي: «لا شيء بحياتي أثمن من وجودك أخي شكرًا لك».

غمز له إلياس وهو يلامس كتفه: «يبدو أنه دار بينكما حديث شاعري هههه».

أصدر تنهيدة عفوية، وأكمل المسير بصمتٍ.

.....

في مكتب أندريس دخل وجلس أمامه، التفتَ أندريس وألكاي نحو إلياس الواقف.

إلياس: «ماذا؟ آه حسنًا، سأجلس» وعندما انحنى ليجلس نطق أندريس: «اخرج من فضلك».

إلياس بعينين متسعتين: «كيف؟! أخرج! لديكم شيء للحديث لا تريدان لي سماعَه ... هههههه».

أندريس -وهو يكبح ضحكته من ملامحه-: «أجل، هل يمكنك المغادرة إذًا؟!».

إلياس يرفع حاجبه الأيسر وابتسم بهدوء، وهو يشير برأسه وغادر.

أندريس ينظر نحو ألكاي: «اسمعني جيدًا، هذا قرارٌ صعبٌ للغاية، ولكن إذا كنت تريد ذلك سأكون معك».
ألكاي: «أنا لن أفعل شيئًا حاليًّا، سأنتظر للمزيد من الوقت، أنا أريد لها التعافي التام، وأهمُّه التعافي النفسي، أندريس، لا أعتقد أنها المرة الأولى التي تتعرَّض لذلك، ولكن تأكَّد من كونها الأخيرة، أعدك!

أندريس نطق بعد صمت، وهو يبتسم بحب كبير: «أصبحت رجلًا ناضجًا إذًا، الآن ستحمي نفسك أولًا ... اتفقنا».

نطق ألكاي بعد تردُّد وهو يحدِّق بخاتمه: «أ ... أندريس، أنت تعلم، صحيح! هل إلياس يعلم أيضًا؟ هل ذلك سبب بكائه في ذلك اليوم؟! أَنَ ... أعني الأعراض».

أمسك أندريس يده: «تعلمُ أنَّ إلياس حساسٌ للغاية، وتعرف السبب، صحيح؟ وأيضًا أنت ستكون بخير، هناك تجربة بحثية ستصدر نتيجتها قريبًا، وستكون أنت أول من يعرف ذلك، يعملون عليها منذ ستة أعوام، وأثق أنها ستؤتي ثمارها، تبقَّى عامٌ واحدٌ فقط، لست الحالة الوحيدة التي عانت من هذا المرض، تعرف ذلك؟!».

نطق، وهو ينظر بعيون مليئة بالدموع: «أخشى أن أنسى أبي قبل انتهاء العام، أنت، إلياس، الجميع أندريس».

أندريس، وهو يكبح مشاعره الحزينة: «أخبرْني، ماذا تريد؟ أعدك أن أساعدك بكلِّ ما أوتيتُ من قوَّة».

ألكاي -يمسح دموعه، ويركز ويتحدَّث بقوَّة-: «اعلم أنني سأغادر قبل أن يدرك أبي ضعفي، مهما كان هذا الضعف، حتى لو لم أعرف طريق العودة للمنزل، هو لن يستطيع الصمود حقًّا، أريد لكم الاستمرار بدون العناية بي ... أرشدني إن نسيت كلامي الآن عن الرحيل، واكتب لي».

أندريس تقوَّست شفتاه، ولمعت عيناه: «ألكاي، الجميع يحبُّك، لا أحد يريد العيش بدونك».

ألكاي: «أعلم ذلك، أنا قد أتحمَّل كلَّ ما تأتي لي به الحياة، إلا كوني عاجزًا عن تمييز والدي من بين الجميع أندريس!».

أندريس: «حسنًا، عامٌ واحدٌ، ابقَ بصحة جيدة أرجوك، وبعدها سأسمح لك بالرحيل إذا نجحت التجرِبة، أعِدُك، تجنَّب مسرعات المرض لديك، تعلم ما هي؟!».

ألكاي يقف ويغادر وهو يقول: «سيكون عامًا رائعًا، أنا واثق من ذلك».

خرج ليجد إلياس يحمل صينيه بها ثلاثة أكواب يتصاعد دخانها، ابتسم له واقترب منه وهو يأخذ كوبًا ويستنشق رائحته: «أووه، هذا رائعٌ، أحتاج حقًّا هذا الشاي» نظر إلياس إليه ثم نطق: «انتظرني هنا، سأعطيه أندريس وأعود».

خرج وجلس على عتبة المنزل الخارجية.

اقترب منه إلياس، وهو يجلس بالطرف الآخر: «لِمَ تحبُّ الجلوس هنا أكثر من الداخل؟! حتى بمنزلك! ومنزل ماريا!».

ألكاي -وهو ينظر بتمعُّن لعتبات المنزل-: «أُحبُّ التأمل في ترتيبها الشِّبْه هرميّ، وكيف أنه حتى باب منزلك لا تستطيع دخوله إلا بعد تخطِّيك كافة العتبات، مهما قلَّت أو كثُرت!».

إلياس: «واه ... هذا مدهش! أنت حقًّا مختلف».

ألكاي يبتسم: «أريد منك شيئًا، هل تستطيع فعله؟».

إلياس يلفتُ بكامل جسده نحوه، بعد أن كان ينظر للأمام: «بالتأكيد! ما هو؟!».

ألكاي بجدِّية: «كن أقوى شخصٍ أعرفه، إن كنت تحتاج للعلاج اخضع له، أرجوك، لا ضير في هذا، لا تبكِ على الراحلين، ولا على الأطياف والأشباه، أرجوك، كلُّ شخصٍ يعيش ما هو مقدَّرٌ له، لا أكثر ولا أقل».

قوَّس إلياس حاجبيه وابتلع ريقه: «ماذا تقصد بالعلاج والرحيل؟».

تنهَّد ألكاي، وهو يضع الكوب الذي كان يُمسِك به بكلتا يديه: «أعلمُ ما الذي مررتَ به حتى بالمعمل، رُغم عدم معرفتي بالسبب الدقيق، بكَيتَ جمان ميتةً وحيةً من جديدٍ، رُغم كونه شخصًا آخر، أنت بكَيتَ حتى نسياني للأيام، لا أريد لك ذلك».

إلياس ينظر للأسفل بصمتٍ، ثم قال وهو يبتسم: «أنا بخير الآن، صدِّقني، أشعر بشيء جديد في حياتي، لطيفٍ للغاية».

نظر ألكاي له، وهو يقوم برفع حاجبيه بابتسامة: «أوه، اعتراف خطير، يجعلني أشعر بالفضول الشديد!».

إلياس ينظر نحوه: «سأخبرك في الوقت المناسب»، وغمز وهو يقول: «لديَّ شيءٌ لِأخفِيه عنكما أيضًا ... هههههه».

ابتسم ألكاي وهو يقول بعد النظر للساعة: «أوه ... ينبغي عليَّ الذَّهاب، تأخَّر الوقت، حان موعد نومي، سأذهب للمنزل، عِمْتَ مساءً».

...

توقَّف أمام المنزل، رنَّ هاتفُه، ورأى رسالة من إيفا تخبره: أنها بخير.

ذهب ليجد والده وعائلته مجتمعة على طاولة الطعام، قال وهو يقترب ويسحب الكرسي ليجلس عليه: «عمتم مساءً»، وجلس ليتناول طبقًا فارغًا ويضعه أمامه.

نطق والده بابتسامة: «لِمَ لمْ تُخبِرْني بقدومك كنا ...» لم يُكمِل حتى نطقت سونا: «كنا ماذا؟! نُحضر غير هذه المائدة، ألَا تليق بابنك الذكي؟!».
أغمض عينَيه، وخفض المِلعقة التي ملأها بالطعام، وهو يقول: «لا، لا بأس، هذا جميلٌ».
نظر لإخوته الصغار، وهم يُحدِّقون بصمتٍ، وابتسم لهم: «ما رأيكم بجولة من لَعِب كرة القدم بالحديقة غدًا صباحًا؟».
ابتسموا بحماس، ثم التفُّوا بهدوء لوالدتهم التي تُحدِّق فيهم بغيظٍ، ونطقت بعدما ضغط ليمان على يدها لتُوافِقَ: «حسنًا، نصف ساعة فقط، أخوكم لديه الكثير من العمل، وأنتم لديكم دراسة».
نطقوا بفرح وحماس: «أجل، حسنًا، شكرًا على الطعام، سنذهب للنوم إذًا، غدًا لدينا مباراة».

ابتسم لهم، وأشار لهم بيده، وهم يصعدون السلالم.

نطقتْ وهي تراه يأكل بصمتٍ: «هذه الوجبة التي كانت والدتك لا تحبُّها وتمرض بعد أكلها».

توقف الطعام بحنجرته، وبدأ يكحُّ، وأخذ كوب الماء لشربه دفعةً واحدةً.

نظر لها نظرة شفقة: «سونا ... ألا تستطيعين النسيان؟ لن يُحزنني كلامُك هذا، أنا لم أعرفها كما عرفتيها، أنتِ شقيقتُها التي كبُرتي معها، وهذا ما أحسدك عليه فقط في هذه الحياه، أنتِ الآن من تكبُر ... هي توقَّف الزمن لديها ... عيشي بجوار أطفالك بحبٍّ ... كوني لهم حضنًا دافئًا لا يتمنَّون غيره ... أنا لا أحتاج حنانك ولا عطفك، ولا أستحقُّ غضبك أيضًا، ولكن بالطبع لا أريد لك الشتات حتى بالمشاعر، بالنهاية أنتِ ...» وصمت وهو ينهض، ويشكرهم على الطعام، ويغادر.

ثم غادر ليمان، وبَقِيَتْ سونا تحدِّق أمامها بصمتٍ ودهشةٍ بما قاله لها، كلامه صحيحٌ، هو لم يُؤذِها أبدًا، ولم يحاول تفريقها عن أطفالها أو والده حتى، لم يكن يومًا طفلًا غيورًا وكثير الشكوى، هو بالأساس لم يعِشْ طفولةً طبيعيةً بالكامل.

بعد ثلاثة أيام غادرت روف المشفى، واليوم تستعدُّ لتستلم منزلها الجديد، شقة صغيرة بمجمع سكني لطيف، تشعر بالسعادة، تتسرَّب لحياتها ببطء، فتحت الباب ودخلت المنزل، وابتسمت رُغم خلُوّه من أيِّ أثاثٍ.

اقتربت للنافذة الزجاجية الكبيرة، وجلست أمامها وهي تتأمَّل بصمتٍ جمالَ الإطلالة التي تراها، كيف والشاطئ أمام منزلها، تلك اللحظة تستطيع تسميتها بـ(الرومانسية الحقيقية) لا شيء يُضاهِي انعكاس أشعَّة شمس الغروب التي تخلَّلت الزجاج.

أغمضت عينيها لتستمتع باللحظة، وهي ترخي يديها للخلف وتتكئ عليها حتى شعرت بالنوم، وبدا رأسها بالترنح.

تحركت وهي تفتح عينيها، وتُخرج معطفًا كبيرًا وبعض الأغراض بحقيبتها، وبعد وقت قصير غطَّت في نومٍ عميقٍ دون فراشٍ ولا غطاء، سوى هذا المعطف، وهي مرَّتُها الثانية التي تنام دون أدوية.

مرَّت الأيام وهي تقوم بإكمال احتياجات المنزل حتى اكتمل.

جلست بتعبٍ على الكنبة بالصالة وهي تتنفس بسرعةٍ بتعبٍ: «آه، هذا متعب - وأغمضت عينيها- وجميلٌ بالوقت ذاته»، سمعت الجرس ونهضت بسرعةٍ، وهي

تقف بخوف، وضعت يدها على فكها، ونطقت لتطمئنَ نفسَها: «روف لن يأتي إلى هنا».

نظرت بالشاشة الجانبية التي تكشف الطارق لتَجِدَ باقة وردٍ كبيرة جدًّا يحملها رجلُ توصيلٍ، فتحت الباب بهدوء: «تفضل».

مدَّ لها جهاز التوقيع الصغير: «سيدتي، هل يمكنك الإمضاء على الاستلام».

نظرت بريبة: «ربما العنوان خطأ!».

تحقَّق مرة أخرى: «الوحدة 103؟».
روف: «آه أجل، حسنًا، شكرًا لك» وأخذت الورد الذي كان باللَّون الأبيض بالكامل، ودخلت وأغلقت الباب، وهي تبحث عن البطاقة.

وجدت مظروفًا صغيرًا أسود، وتناولته وهي تضع الورد على الطاولة، وتجلس على الكنب، وتفتح الظرف، وتُخرِج البطاقة، ابتسمت وتقرأ المكتوب:
(أتمنى أن يكون القادم من حياتك أجمل ممَّا مضى روف ... كوني بخير/ طور القمر).

استدركت ذاتها وهي ترى انعكاس ابتسامتها بِشاشة التلفاز المُغلَق أمامها، وقالت وهي تتساءل: «لِمَ تبتسمي إذًا؟! ألم تقولي له كل ذاك الكلام القاسي لتقبلي بسرعةٍ إهداءاته؟!».
نظرت للورد: «هل أعيده؟» قوَّست شفتَيها «الورد لا ذنب له» وترفعه لتستنشق رائحته.

صورت الورد، وأشارت بعبارة أسفله:
"أول شيء تلقيَّتُه هذا الصباح، إلى ماذا يرمز الورد الأبيض؟!".

وشاركتها بالنادي، الذي اكتسبت شهرةً واسعةً فيه، حتى أصبحت من أفضل المؤثِّرين في النادي، وتم تمييز حسابها.

ظلَّت تُحدِّق في الردود التي انهالت عليها بالثواني بصمتٍ.

"هذا جميل، أتمنى أن أتلقَّى وردًا بهذا الجمال".

"أوه! هذا جميل! ترمز الورود البيضاء إلى الصداقة والمشاعر الطاهرة والبريئة".

"بالتأكيد هناك مشاعر لدى المرسل، مهما كانت بسيطة، اقبليها".

"أشعر بالرومانسية رُغم بساطة اللون وجماله؛ حيث إن اللون الأبيض يرمز إلى البساطة والنقاء والجمال، ويشير إلى أنَّ الشخص متواضعٌ ونظيفٌ، وأنَّ المشاعر التي يريد أن يُعبِّر عنها مشاعرُ طاهرةٌ ونقيةٌ، وتتسم بالبراءة".

"هل تلقَّيتِها من رجل؟".

"أستطيع الحصول عليه ببساطةٍ، ولكن أشعر بالغيرة، لا تغضبي!".

احمرَّ وجه روف لكثرة التعليقات، وكانت تودُّ حذفها لولا آخر تعليقٍ أوقفها.

"يمثل اللون الأبيض الرُّوحانية والبدايات الجديدة؛ لذلك نرى الورود البيضاء في الكثير من مراسم الزفاف، وهي الرسالة المثإليه للزوجين المحتملَين أو ربما عرضٌ قادمٌ".

قامت برمي الهاتف بجوارها بعد إقفاله، وهي تحدِّق بالورد: «مستحيل! هذا جنون! هههههه ... أيُّ بداياتٍ جديدةٍ؟ وأيُّ رسالةٍ؟!

رنَّ الجرس مرةً أخرى، توقفت عن صبِّ المياه في الفازة التي تريد وضع الورد فيه بعد إزالة ورق التغليف، وضعت الورد جانبًا، وذهبت لتشغيل الشاشة.

ابتسمت عندما وجدتْ إيفا تقِفُ وتحمل باقةَ وردٍ كبيرةً، وفتحت الباب، وتستقبلها بودٍّ ولطفٍ.

روف: «اهلًا إيفا، تفضَّلي» وتأخذ الباقة، وتتقدَّم للداخل.

إيفا، وهي تنظر للمكان: «هذا جميل روف، لطيف للغاية، أشعر بالطمأنينة بالمكان».

روف نطقت بشرود: «هذا ما أحتاجه (الطمأنينة)».

إيفا وهي تنظر لها: «روف، أنا أعتذر بحقٍّ؛ لم آتِ لمساعدتك وأنتِ مُتعَبة».

روف: «لا لا عليك إيفا، أنا من ينبغي عليه شكرك، لم تتركيني منذ قدومي هنا».

إيفا تبتسم: «كان لديَّ عملٌ في الأيام الماضية، واليوم أردت القدوم، ولكن ذهبت لتوديعهم بالمطار، وتأخَّرت قليلًا».

روف: «لا بأس –بتردُّد- من هم المغادرون؟! أصدقاؤك؟!».

إيفا -وهي تنظر للورد الأبيض على الطاولة-: «لا، ألكاي وأندريس، لديهم عملٌ مهمٌّ، يبدو أنك تلقيتِ التهنئة قبلي، شعَرتُ بالغَيرة ... ههه».

روف -بتردُّد-: «أرسلها ... ألكاي».

إيفا -تضع يدها على شفاهها كردَّة فعلٍ تلقائية-: «أووه ... هذا جيد ... أعني يبدو أنه سبق، وجدول التوصيل في اليوم الماضي».

صمتتْ روف وهي تومئ برأسها، وتأخذ الورد وتضعه في الفازة: «سأجلب أخرى لوضع هذه بها».
عادت وهي تقول: «يا لَغبائي! إيفا ماذا تشربين؟ نسيت سؤالك».

إيفا: «لا عليك، كوب قهوة ساخنٌ يفي بالغرض».

.....

جلست بعد ترتيب الورد في الفازات، ومدَّت لإيفا كوب قهوة، وجلست بجوارها.

إيفا بعد صمتٍ وتردُّدٍ شديدٍ: «روف، أعتذر على التطفل، هل لي بسؤال؟».

روف تومئ برأسها إيجابًا.

إيفا بحَرج: «أنا ..ا .. أعني بالصُّدفة تلك الليلة، سمعت صوتيكما وهو مرتفع بالجدال، الآن ... أعني: ماذا الآن؟ هل لا تزالان متخاصمين؟!».

روف بتنهيدة: «أنا من غَضِبتُ؛ أعني ... كنتُ لا أريد أن يكون بيننا (أنا وهو) أيَّ علاقةٍ، ربما نحن الآن نعتبر أصدقاء، ولكن بالحقيقة أخاف عليه منه».

إيفا باستغراب: «تخافين على ألكاي! ممَّن تخافين؟!».

روف -وهي تأخذ نفسًا وتدلك يديها-: «أقصد نحن بالكاد نُؤذِي بعضنا فقط، وهذا شيء لا أريده .. أعلم أنه ساعدني كثيرًا، ولكن أنا أتيت هنا متعَبة، وحقًّا مُرهَقة، ولا أريد سوى التنفس براحةٍ تامَّةٍ، لديَّ عامٌ واحدٌ فقط ... وأعتذر عن عدم استطاعتي لذكر التفاصيل».

إيفا بحزنٍ اجتال داخلها رُغم عدم إبدائها له: «لا بأس، أتفهَّمُك بجدٍّ ... أنا لا أقصد أن عليك خوض أيِّ شيء لا ترغبينه بالتأكيد ... أتمنى لك بحقٍّ السلام الدائم، هل يُمكِنُني رؤية المكان؟! أُعجِبتُ حقًّا به».

روف بابتسامة: «بالطبع، تفضَّلي من هنا».

إيفا وهي تقترب من المكتب الذي جذبتها بعض الرسومات عليه: «روف، هل أنتِ رسَّامة؟! واااو، هذا مُدهِش، ليست جميلةً فقط! بل رسامة رائعة محترفة بحق!».

روف تقترب: «أجل، أحب الرسم كثيرًا، وأتمنَّى امتهانه، ولكن أبي طلب مني دراسة الطب؛ لذلك أمارِسه كهواية تُخرِجُني من عالمي ... ليست كمهارتك بالكتابة، ولكن كما قلتِ في اللقاء: "شغف الخيال تَرياق الواقع المرّ غالبًا".
إيفا وهي تنظر بإعجاب شديد بالرسمة أمامها: «أُخمِّن أنَّ أكثر ما تُحبِّينه هو البحر والقمر! رسماتك تحتويهما بشكلٍ أو بآخر».

صمتت قليلًا: «أمم أُفضِّل الغروب عليهما غالبًا».

إيفا نطقت بتذكُّر: «آه روف، بالقرب من منطقتك السكنية، رأيت بطريقي لهنا مركزًا لتدريب الرسم، لمَ لا تذهبين له؟! يبحثون عن مُدرِّبات، امتهني ما تحبين، الفراغ قاتل روف ... وأنتِ مُبدِعةٌ جدًّا».

روف: «أتمنى ذلك ولكن، كيف أقول لك؟ لا أريد تسجيل بياناتي في أيِّ مكان».

إيفا: «لا أعلم ماذا حدث روف، ولكن هناك شيءٌ واحدٌ أعلمه يقينًا ... أنَّ الهروب من المشكلة مسكِّن مؤقَّت».
روف صمتتْ، وهي تفكر وتومئ برأسها.
مر الوقت وغادرت إيفا، وبقيت روف وحيدة من جديد.

.....

26. الشروق بقلبي

مرَّت الأيام سريعة، وهي لا تزال تخاف أن تتبعثر هذه الطمأنينة، لا تُصدِّق، مرَّ أربعة أشهرٍ، وهي لا تزال تعيش بحريتها التي تمنَّتْها.

وفي صباح أحد الأيام فزعتْ وهي تتعرَّق بشدَّة بعد ذلك الكابوس الذي راودها، وكأن والدها يطرق الباب ويصرخ عليها!

أزاحت ستارة الغرفة بجهاز التحكم، وهي لا تزال تجلس بتعبٍ وخوفٍ لتسطع الشمس وتملأ المكان، تنفست بعمقٍ وهي ترمي نفسها بمحاذاة الوسادة بتعبٍ شديدٍ، وظلَّت تحدِّق بصمتٍ نحو أشعَّة الشمس المُتسلِّلة.

رنَّ هاتفها ليُوقِظها من أفكارها، سحبته وحدَّقت بعينين شبه ناعستين لمنبهٍ لذَهابِها للعمل الذي بدأت فيه من شهرين مضيا، ثم تعدَّلت وهي تتذكر اتصال إيفا قبل شهرين.

إيفا: «مرحبًا روف، البسي وتعالي، أنا بالأسفل، أنتظرك، هيا».
روف -بكَسلٍ-: «أهلًا ... لماذا؟ أين سنذهب إيفا؟».

بالأسفل نطقت إيفا وهي تمشي -متجهتان للمركز-: «هيا، لديك مقابلة عملٍ، ذهبتُ للمركز الذي أخبرتُك عنه، وأخبرت مديرة المركز بوجود صديقةٍ مبدِعةٍ بالرسم، ولا تقلقي، يمكنك استعارة اسمي».

نظرت روف إليها بدهشةٍ، وقد اقتربتا بالفعل: «إيفا أنا ... أعني لست مستعدَّة لذلك، واسمك!!».

إيفا -وهي تتوقَّف وتلفتُ عليها وتُعدِّل معطف روف بابتسامة-: «لا عليك، ألم تُحبِّي ذلك؟! سنغادر».

نظرت بتوتُّر، وهي تدخل مع إيفا المركز الذي أدخل السرور لداخلها؛ اللوحات الجميلة، والمتدربون، والطابع الذي اتخذه المكان .. رائع بالفعل .. تقدَّمت منهم المديرة بابتسامة: «أهلًا بكم، هل نأخذ جولةً بالمكان ثم نتحدث بمكتبي؟».

وبدأت تشرح لهم مرفقات المركز، وعدد الفصول الدراسية ... وبعدها اتَّجهت للمكتب، وقدَّمت لهما القهوة، وتحدَّثت وهيا تنظر إلى روف التي تحدِّق بصمتٍ بكوب القهوة: «هل أنتِ رسامتنا؟».

روف -وهي ترفع رأسها-: «آه، أجل، أهلًا بك .. أنا -وبتردُّد- روف .. روف راين» لفَّت عليها إيفا بدهشةٍ، ووجدتها تبتسم بخفَّةٍ بعد التعريف بنفسها.

بعد المقابلة غادت برفقة إيفا التي دعتْها لكوب قهوة بأحد المقاهي القريبة بالمنطقة.

في المقهى تحدَّثت إيفا: «روف لمَ قلتِ اسمك؟!».
روف تبتسم: «قلتِ: إن الهروب مسكِّن مؤقَّت، وأنا مللْتُ المسكِّنات، قرَّرت أن أعيش الحاضر، والمستقبل قادمٌ لا محالة».

إيفا -وهي تأخذ كوب القهوة من النادل، وتُقدِّمه لروف وتبتسم-: «أنا فخورة بك حقًّا .. لا تقلقي، كلُّ شيء سيكون بخير، هل ستقبلين بالعمل بالمركز الآن؟ هو قرارك أنتِ فقط!».

روف -وهي تحدِّق بكوب القهوة ثم نظرت إليها بابتسامة-: «أحتاج ملابس جديدة تلائم مُدرِّبة رسم، صحيح! أريد أيضًا تغيُّرًا بسيطًا لشعري، تغيُّر جديد! ما رأيك؟».

إيفا -تبتسم بفرح-: «هيااااا لنذهب جولة تسوُّق، وكل شيء تريدينه».

.....نعود لليوم .....
شعَرتْ بخوفٍ يتسرَّب لداخلها ولكن نكرت ذلك.

حضَّرت كوب قهوةٍ لذيذ، وهي تشعر بطاقةٍ جديدةٍ ومشاعر رائعة.
تُحب روتين حياتها الآن؛ تذهب للعمل، وتلتقي إيفا لو مرَّة بالأسبوع على الأقل، ثم تعود لمنزلها ... هدوء تامٌّ.

فزعت لرنة الجرس، وتذكَّرت الكابوس هذا الصباح، بقيَتْ مكانها دون حراك، علَّه يذهب، لا تستطيع النهوض، تشعر ببرودةٍ في الأطراف، توقَّف رنُّ الجرس لبضعة دقائق حتى عاد من جديدٍ وبإلحاحٍ، إيفا تتَّصل قبل قدومها دائمًا، وغالبًا ما تلتقي بها خارجًا.

وقفتْ، وهي تقترب لتنظر من الشاشة، وضعت يديها على شفتَيها من الدهشة التي أصابتْها! فتحتْ بسرعةٍ وهي ترمي بنفسها وبدموعٍ جارفةٍ؛ لتحتضن كارتال بفرحٍ شديدٍ!

كارتال، وهي تُحدِّق بدهشةٍ لردَّة فعلِها المباغتة: «روف، هذا يكفي أرجوك، لا تبكِ أرجوك؛ لنذهب للداخل»، وهي تدفعها برفقٍ وتُغلِق الباب.

روف -وهي تجلس وتنظر لها أمامها-: «كيف وصلتِ هنا، أنا لا أحلم صحيح؟! أنتِ أمامي؟!».

- أجل روف، أنا أمامك، وهي حقيقة، كيف حالك؟ هل أنتِ بخير؟!
منزلك جميلٌ جدًّا، هذا رائع حقًّا!

روف تبتسم: «هل كلُّ شيء على ما يرام كارتال؟ صحيح! كلُّ شيء؟».

كارتال -وهي تتنهَّد-: «آه أجل، أولًا: سبب قدومي هو شوقي لك حقًّا، أما والدك يبدو أنَّ الجامعة أبلغته بتأجيلك لهذه السنة الدراسية، أرسل لي قبل أيامٍ يسأل عنك، وسأل إن كنتِ لا تزالين ممتعضةً منه، ولا تريدين رؤيته، وقال: سيرسل لك هاتفًا جديدًا، ورفضتُ بحجَّة أنك لا تمتلكين هاتفًا، ولا تريدين ذلك».

روف تسمع وتشعر بالقلق: «إذًا كارتال، ماذا سيحدث؟».

كارتال -وهي تخفض رأسها بتوتُّر-: «روف، والدك سيأتي خلال الشهر القادم هناك، لكن سيمرُّ هنا بالتأكيد، وقد سمعتُ أنه سيقابل ألكاي».

روف -وهي تمرِّر يدَها على عنقها بتوتُّر-: «ماذا أفعل؟! لماذا يريد مقابلته؟!».

كارتال: «لا أعلم، تعالي معي إذا!».

روف: «ابْقِي أنتِ هنا لبضعة أيام، أنا لن أذهب ... لديَّ عملٌ هنا».

كارتال: «ماذا تقصدين؟ أيُّ عملٍ روف؟! أنا سأبقى هنا أسبوعًا، لديَّ إجازة واستأذنت عائلتي في قضائها معك، ووافقوا».

روف: «هذا رائعٌ، شكرًا لكِ، أنا أقوم بالتدريب في مركز رسم هنا، بالقرب من منزلي».

كارتال -بدهشة مختلطة بفرح وهي تحدِّق في تفاصليها؛ لباسها، وأيضًا يبدو أنها اكتسبت بعض الوزن، بعدما كانت قد وصلت مستوًى حادًّا من النحافة-: «تغيُّر جميل على ما يبدو في حياتك -وهي تغمز لها- هل قابلتيه؟ أنتِ وهو بنفس المكان».

روف -وهي تنظر إليها-: «أجل، قامت إيفا بتدبير العمل لي، هي لطيفةٌ بحقٍّ، التقيتُ به مرَّتين، لا، أقصد ثلاث مرَّات، رحل قبل أربعة أشهرٍ برُفقة أندريس».

كارتال: «أووه، من تكون إيفا؟ صديقة جديدة؟».

روف تبتسم: «أجل، أتذكرين ذلك الحدث الذي أردت حضوره؟ هي الكاتبة، وأيضًا هي تكون أخت ألكاي، مُعقَّد بعض الشيء؟! فهو احتضنته والدتها عند موت أمه وأصبح أخاها بالرضاعة لمدَّة عامٍ على ما أعتقد، هذا توضيح إيفا».

كارتال -وهي تضع يديها على شفتيها-: «واااو، أنتِ ترتبطين بهذه العائلة بشدَّة».

روف -كانت تبتسم دون وعيٍ منها-: «هم لطفاء حقًّا؛ ماريا لطيفةٌ جدًّا، تُعطِي الجميع أمومةً، وتحتوي الجميع، أتعرفين البروفيسور أندريس؟! هي أخته، ويبدو أنها من ربَّت إلياس، وهذا ما جعل علاقة الثلاثة عميقةً، فهم تربَّوْا سويًّا، لطيفةٌ بشكلٍ كبيرٍ عندما تهتمُّ بي، أشعر وكأن أمي بقُربِي».

كارتال -وهي تبتسم-: «لا أصدِّق أنني أرى ابتسامتك بسبب هذه العائلة، يبدو أنك وقعتِ بغرامهم جميعًا، ولم تكتفِ بألكاي!».

روف -وهي تتراجع ابتسامتها-: «كارتال ماذا تقولين؟!».

كارتال تنظر إليها وهي ترفع حاجبها الأيمن وتبتسم: «آه، لا تزالين تُنكِرين ذلك، حسنًا ... أنتِ ... هاتفك يهتز».

رفعت روف هاتفها، وأجابت: «مرحبًا ماريا، قامت بوضْع السبيكر بعد طلب كارتال المتكرر».

ماريا: «كيف حالك روف؟ هل أنتِ بخير؟ فرحتُ بشدَّة عندما أخبرتني إيفا عن العمل الذي تقومين به».

روف -بابتسامة-: «أنا بخير، حمدًا لله، أنتِ كيف حالك والأطفال، إيفا؟!».

ماريا: «نحن بخير، اليوم ليس لديك عمل صحيح؟».

روف: «أجل، نهاية الأسبوع، لا نعمل».

ماريا: «هل تستطيعين القدوم الليلة؟ لديَّ مناسبة سعيدة وأريد دعوتك، ألكاي قادم هو وأندريس، وسأعدُّ لهما وليمةً، وأتمنى حضورك».

كارتال تبتسم بحماس.

روف: «آه .. هذا جيد، ولكن أعتذر حقًّا، صديقتي أتتْ لزيارتي اليوم، وستبقى لبضعة أيام، ولا استطيع تركها، أوصلي سلامي لهم».

ماريا -بإصرار-: «أحضريها برفقتِك، أخبريها دعوتي، إيفا تريد حضورك، وبالتأكيد مُرحَّب بصديقتك روف».

روف: «شكرًا لك حقًّا ماريا، لا أعتقد أنه بإمكاننا» ولكن لكزَتْها كارتال، وهي تشير لها أن تقبل الدعوة، وقالت: «لكن سأخبرها لأجلك».

ماريا -تبتسم-: «هل هي قريبة منك؟ أريد دعوتها».

صمتتْ روف، ثم نطقت وهي تقف وتبتعد: «هي ... أخذت كارتال الهاتف، وعينا روف تتسعان: «مرحبًا، أنا كارتال، كيف حالك؟!».

ماريا -وهي تتحدَّث بجدية-: «أهلًا كارتال عزيزتي، هل يمكنك الحضور الليلة برفقة روف؟ لديَّ مناسبةٌ جميلةٌ للأصحاب والعائلة، ويشرفني حضورُكما -وبهمس لطيف- أحضريها فقط، اشتقتُ لها».

ابتسمتْ روف بوُدٍّ وخجلٍ للُطف هذه المرأة.

نطقت كارتال بابتسامة: «ههه .. أظنُّ أنني لن أستطيع منع لقائكما الجميل، سنحضر لا عليك، تشرَّفتُ بدعوتك ماريا ... شكرًا لك».

روف تُغمِض عينَيها وتعَضُّ شفتها السفلي بانزعاج.

أغلقت كارتال الهاتف، وتجلس على الكنبة بابتسامة.

روف لا تزال تقف بغيظٍ: لماذا وافقتِ كارتال؟ لا أريد الذهاب!».

كارتال: لماذا روف؟! ألا تحبِّين ماريا وعائلتها؟!».

روف -بتعب وهي تجلس مقابلًا لها-: «أجل، أحبُّ ماريا، فهي لطيفة، استصعبت الرفض، ولكن بفضلك كان لديَّ فرصة».

كارتال بجِدّية: «إذًا لماذا روف؟! نظرتْ إليها وهي تُصغِّر عينيها .. لا تقولي بسبب ألكاي؟!».

روف وهي تأخذ نفسًا عميقًا: «آه، أجل كارتال ... بسببه» وتقف وهي تذهب للغرفة: «ماذا تريدين للغداء؟ سأقوم بالطلب».

كارتال تلحق بها وتُمسِك يدها قبل أن تدخل الغرفة: «روف؟ ماذا حدث؟ لما تتجنَّبين لقاءه؟ هناك شيء حدث بينكما؟!».

روف -بعد صمتٍ، وهي تتقدَّم وتدخل للغرفة-: «أجل كارتال، آذيتُه بالكلام، أنهيتُ أي شيء كان بإمكانه الحصول ... أعني لا مستقبل حتى للصداقة بيننا، ولكن .. - ونطقت بحزنٍ وهي تنظر لها- أتعلمين ماذا فعل مقابلَ كلِّ ذلك؟! ذهب بي في الصباح للمشفى عند مرضي، بقي بالقرب مني حتى استعدْتُ وعيي، وسجَّل دخولي تحت اسمٍ آخر كارتال، وأرسل الورد لتهنئتي بالمنزل في يوم سفره!!».

كارتال -وحاجباها مُقطَّبة بخفَّة: «إذًا، هذه فرصة لك للاعتذار!».

روف -وهي تهزُّ رأسها بالرفض-: «لن أعتذر، كنتُ سأفعل ذلك حتى لو عُدتُ بالزمن».

كارتال بدهشة: «ماذاااا؟! روف! هل أنتِ تتحدَّثين بجِدٍّ؟ هل هناك شيء تخافينه!».

روف: «أجل، أنا أخاف كارتال، أنا لا أجلب لمن هم حولي إلا المشاكل والألم».

كارتال -وهي تقترب وتمسك بيديها بحنان-: «روف، اسمعي ... هذا خاطئ، لم تسببي لأحد الألم، أنتِ تستحقِّين الأفضل، لِمَ تتشاءمين من المستقبل؟!».

نطقت روف بشيء من التوتر: «أنا أخشى أن يكون ألكاي ... يعلم».

كارتال بتركيز: «ما الذي تظنين يعلَمُه؟!».

روف: «أاا ... أعني .. كان ينظر لي عند استيقاظي بالمشفى نظرةً عجزتُ عن فهمِها، ولم يناقشني لطلبي إخفاء تسجيل اسمي .. أخشى أن ..».

كارتال -بنفاذ صبر-: «آه ... ماذاااا؟ روف ... تحدَّثي».

روف -وهي تقطِّب شفتيها-: «أعني الممرضة التي بدَّلت لباسي، أخشى أن تكون أخبرته بالآثار».

ضحكت كارتال: «هههه، أتقصدين أنه ربما علم بالآثار، ولذلك أشفق عليك، لا أظنُّ، ألم تتناقشوا قبلها بليلةٍ، ولو كان بالفعل لديه مشاعر فقد أوضحها لك من قبلُ، صحيح؟!».

روف -بتفكير-: «لا أريد شفقة أحد! هل تعتقدين أنه لا يعلم حقًّا؟!».

كارتال: «هذا غير ممكن حقًّا .. لا عليك».

اتصلت إيفا على روف، وطلبت منهما الذهاب معها الساعة الخامسة مساءً.

ماريا تستقبل روف بالأحضان والتحية الودية: «أهلًا بك، طلبتُ من إيفا أن تُقِلَّكُما مبكرًا، أردت أن نجلس قليلًا قبل وصول الضيوف».

روف تبتسم: «بالطبع هذا جميل، وأيضًا إن احتجتِ مساعدةً أخبريني».

إيفا -بصوت منخفض وهي تضحك-: «أعتقد أنَّ هذه نيتها روف ... هههه».
لكَزتْها ماريا وهي تُرحِّب بكارتال: «لا عليك منها، أهلًا بك بيننا كارتال».

بعد الحديث ذهبْنَ الفتيات برفقة إيفا للحديقة الخلفية تُرِيهما مكان العشاء والضيوف في المساء.

روف تقف منبهرة: «واااو هذا جميل».
إيفا: «كل هذا تنسيقي، الطقس لطيف بعد رحيل الشتاء في هذا المكان، كنَّا نجتمع بالشتاء أنا والأحمقان ... آه ... اشتقتُ لهما حقًّا» وترفع معصمها: «آه .. أوشكوا على الوصول، ابقَيَا هنا، سأخبِر ماريا وآتي ... وسنحضر معهم هنا».

روف: «هل أستطيع تغيير بعض تنسيقات الزهور؟ أشعر أنها غير متناسقة تقريبًا».

إيفا –بحماس-: «أجل أجل، أحتاج حقًّا للمسة فنان، المكان تحت تصرُّفِك بالكامل حسنًا» وذهبت.

كارتال تنظر بفرح لصديقتها التي بدأت تُعيد تنسيق الطاولات والابتسامة لا تفارق شفتيها، وتتحدَّث بداخلها: «آه يا روف، أنتِ تستحقِّين هذه السعادة، أتمنى أن تدوم طويلًا حقًّا».
مر الوقت وروف تُنسِّق وتُعدِّل بعض الأشياء دون أن تنتبه حتى أقبلت ماريا تَحمِل صينية بها بعض الحلويات، وبعد انتهاء ترتيبها.
وقفت بجانبها هي وكارتال عندما دخل بعض الضيوف الذين دلَّتهم إيفا، وعادت لاستقبال أندريس ومن معه وليمان وعائلته.
تقدَّمت إيفا بسرعةٍ، وهي تقف بجانب والدتها والفتيات بجانب مدخل الحديقة للاستقبال.
دخل أندريس وبرفقته إلياس، ابتسم وهو يحتضن إيفا: «كيف حالك؟».

إيفا: «هل اشتقتِ لخالك؟».

إيفا: «بالتأكيد» وتبتسم.

تقدم إلياس وابتسم: «مرحبًا إيفا» ونظر إليها وهو يقول بهمسٍ: «أنا واثق، ولا أحتاج سؤالك، صحيح؟!».

نظرت له بابتسامة زعزعت كِيانه وهي تغمز: «أعتقد أنَّ العكس صحيح».

ابتسم وتخطَّاها، ولا ينكر ارتباكه من حديثها المستفز بنظَرِها والصحيح جدًّا بنظره.
قبَّل رأس ماريا بعد والده.
أندريس يصافح روف وبصوت ودِّي: «أهلًا أهلًا روف» ابتسم وهو يقول: «يبدو أنَّ ماريا ستستولي عليك، فهي تحبُّك على ما يبدو، هي تعرف كيفية الاستحواذ جيدًا».

ابتسمت روف: «سيسعدني استحواذها عليَّ، صدقني ... هههه».

انتبهت لكارتال، التي تهتزُّ بجوارها، والتفَّت لها بهمسٍ: «ماذا؟».

كارتال، وهي تنظر نحو أندريس الذي يقف أمامها ويمدُّ يده.

روف نظرتْ لها لتصافحه، وقامت بتدليك يديها بتوتُّر، ثم مدَّتها وقالت بصوتٍ مرتبكٍ: «أعتذر، أنا لم أتوقع أن تكون هكذا على الواقع، شرفٌ لي لقاؤك بروفيسور حقًّا ... أنا كارتال».

ابتسم وهو يدلِّك جبينه ويصافحها: «وكيف كنت عند رؤيتي؟!».

كارتال -بخجل وبابتسامة، وهي ترى إلياس يتحدَّث مع روف-: «متأكد أنك والده ... هههههه ... ولستَ أخيه؟!».
ارتفعت ضحكات أندريس: «أجل هو ابني هههههه أهلًا بكما»، وهو ينظر لروف، وهي تبتسم.
وبدوره إلياس يضحك وهو يصافح كارتال: احتفظي بسرّنا أنا والده هههههه هو يمثل دور الأب فقط ... أشعر بالظلم أن يكون بهذا الجمال والمظهر، وهو والدي هههه» كارتال تومئ برأسها بضحك.

كان أندريس يُدهِش من يلتقيه أوَّل مرة، شكله يُوحِي أنه لا يزال برياعين شبابه، حتى خصل شعره البيضاء تُضفِي عليه جمالًا آخر، أناقته باللباس طول، قامته، فهو يتخطَّى إلياس ببضع درجات.

دخل ليمان برفقته زوجته وأطفالها، وبعد السلام دخل ألكاي.
توقف بعد سلامه على إيفا عند رؤيتها، لا تزال تقف بجوار ماريا.

ابتسم وتقدَّم ليقبِّل يد ماريا بحبٍّ ثم يحتضنها: «اشتقتُ لكِ ماريا بشدَّة».
ابتسمت ماريا، وهي تمرّر يدها على شعره بحنان: «ماذا عني إذًا؟! أنا أيضًا افتقدتُك بشدَّة يا صغيري».

أخرج من جيب معطفه الداخلي عُلبةً صغيرةً بيضاء، وهو يمدُّها لماريا: «أحضرت لك هدية صغيرة، أتمنى أن تقبليها».

ماريا، وهي تضع يدها على صدرها بحبٍّ، وهي تنظر للقلادة التي أحضرها (نجمة صغيرة تلمع بشدَّة): «آه يا طفلي الجميل، إنها جميلة جدًّا، لم يكن عليك إحضار شيء».

ابتسم وهو يرفع كتفيه: «من لحظة رؤيتي لها تأكَّدت أنها ستلائمك أنتِ بالتأكيد».

إيفا -وهي تقترب منه، وبشفتين مقوستين، وتلتصق بذراعه-: «وأنا وأنا؟؟؟»
دفعها بخفَّةٍ، وهو يقول من بين أسنانه: «إيفا، أفسدتِ لباسي، ابتعدي»، ولكن لم تبتعد.
ابتسم وهو يقول باستسلام: «حسنًا .. حسنًا .. ابتعدي» ويتلفَّت ويتقدَّم لفازة مليئة بالورد ويخرج واحدة ويمدُّها لها» وهو يكبح ابتسامته لنظراتها.
تقدَّم من روف وهو يمد يده لمصافحتها: «مرحبًا» وظلَّ يحدِّق بها بصمتٍ، وهو ممسكٌ بيدها، انتبه عندما حاولت سحبَ يدِها بخفَّة، وهي ترى كارتال تبتسم وتنظر ليديهما.

نطق -بتوتُّر-: «آه، أعتذر» وهو يبعد يده ويخفضها بجواره، «كيف حالك روف؟» تحبُّ سماع اسمها منه، نطقه له لطيفٌ.

قالت بهدوء: «بخير» وتتراجع قليلًا: «هذه صديقتي كارتال»، تقدَّم وهو يُقدِّم التحية لكارتال ويصافحها: «مرحبًا، كيف حالك؟».

كارتال -بانبهار لكمية الجمال-: «أهلًا، أنا بالطبع بخير، كيف حالك أنت؟ التقيت بك أخيرًا!»، وصمتت فجأة وهي تدرك أنها تحدَّثت بصوتٍ مسموعٍ، والتفَّت لروف التي أغمضت عينيها بصمتٍ.

ابتسم: «بخير، أيضًا أنا سعدت بلقائك كارتال».

بعد بعض الوقت، ذهبت ماريا والبقية.
على طاولة جلستْ بها روف وكارتال وإيفا.

كارتال تبتسم وهي تتحدَّث بعد ذهاب إيفا لجلب بعض المشروبات، وهي تنظر للطاولة التي يجلس حولها إلياس ووالده، وألكاي ووالده وزوجته، ووالد إيفا وماريا: «آه، لم أتوقع أن يسرق شبَّان هذه العائلة قلبي في أوَّل زيارة، روف أقسم لو أنَّني مكانك لن أدع هذا الجمال، آه، لا، والبروفيسور!» نظرت لروف التي تهزُّ رأسها بيأسٍ من صديقتها، لتُكمِل كارتال بيأس: «آه، ألكاي لك، وإلياس يبدو أنه معجبٌ بابنة عمته، نظراته تُوحِي بذلك، يبدو أنَّ البروفيسور هو الوحيد!» وتلفتُ عليها: «روف هل هو متزوج؟» وتضرب جبينها: «يا لغبائي بالتأكيد متزوج، كيف أنجب إلياس إذًا؟!».

ضحكت روف: «هههه لا هو منفصلٌ كما قالت إيفا منذ كان عمر إلياس ثلاثة أعوام على ما أعتقد .. هههه ... لم أعتقد أن ينتهي بك الأمر بالإعجاب بشخصٍ كبيرٍ بالعمر.

نظرت لها بعينَين متسعتين: «هههههه أنت الكبيرة بالعمر، انظري نحوه، هل أتحدَّث عن الأناقة أم القوام الممشوق الذي يوحي أنه لا يزال بالثلاثين على الأكثر؟! أخ ... حتى خُصَل شعره البيضاء أضْفَتْ رونقها الخاص».

همست إيفا عندما انحنت لوضع صينية الحلويات والقهوة بابتسامة: «هل تريدين الزواج من خالي أندريس أو حتى يمكنك الزواج من ابنه إذًا؟».

كارتال -وهي تبتسم وبنفس الهمس-: «لا أعتقد أنني أستطيع سرقة إلياس منك، سأكون خائنة».

تبلَّد وجه إيفا وبطيف ابتسامة مستنكرة: «ماذا تقصدين؟! لا عليك، لستِ خائنة».

وضعت كارتال يدَها تحت ذقنها وهي تتكئ عليه: «هههه ... هل حقًّا لا تَرَين الحُبَّ في عينيه تُجاهك؟!».

إيفا بنظراتٍ وحاجِبَين معقودتين: «هههه .. ما الذي جعلك تظنِّين ذلك؟! هذا غير ممكن، لا عليك، هو محترف في الخداع».

كارتال تضحك وهي تلفُّ على روف، ثم تنظر إليها: «أنتنَّ مُغفَّلات حقًّا يا رفاق، الشبَّان هنا تكاد تقفز أعينُهم وقلوبهم، هذا وأنا أراهم لمرةٍ واحدةٍ، عرفتُ ذلك».

إيفا صمتتْ بدهشةٍ، وتناولت كوب القهوة، وشربتْ دون أيِّ تعليق.
روف تنظر نحوه، وهو يعدِّل لباسه: هذه المرة يرتدي أسود ولكن يتداخل معه اللون الأبيض بياقة البليزر الخفيف، الذي يُكمل به طقم اللباس.
شعره طال أكثر ممَّا كان قبل سفره، وصل آخر عنقه، تصفيفة شعره مُرتَّبة أكثر من الخلف، كانت أخفَّ من مقدِّمة شعره المرتبة بتموُّجٍ خفيفٍ ...
لِمَ حاجباه منعقدتان؟! أهو غاضبٌ؟! مرَّ وقتٌ وهو يحدِّق بهاتفه المحمول، ما الذي يغضب بشأنه؟!

أحنى أندريس نظره نحو ألكاي الذي يقلِّب هاتفه لوقتٍ طويلٍ، يحاول حلَّ رمزه، قبض أندريس يده أسفل الطاولة، يبدو أنه نسي الرمز هذه المرة، بدأت حالته تتطوَّر خلال الأشهر الماضية.
مدَّ هاتفه ليريه الملاحظة المكتوب بها رمزه، نظر ألكاي نحوه بعينَين قلقتين ممَّا هو قادمٌ أكثر من ذلك.
أدخل الرمز وفتح هاتفه.

وقفت ماريا وهي ترى أحد الضيوف قادمًا ولم يكن سوى والدة إلياس تحمل طفلةً بيدِها تبلغ من العمر ما يقارب خمسة أشهرٍ، برفقة زوجها، استقبلتها، نظرت إيفا بسرعةٍ نحو إلياس الذي التفتَ عندما نادت عليه ماريا، وقفت وهي تقترب منه، مدَّت له منديلًا عندما رأته، دلَّك يديه ببعضهما وهو يقف، اتَّضح عليه التوتُّر، لقاؤه الأول مع جمان!
نظر لها، وأخذ المنديل وهو يمسح يديه، ويشد على المنديل بيده، حاول الابتسامة، ولكن نطق بهمس وبصوتٍ مرتجفٍ استطاعت سماعه بعد ابتعادهما عن الطاولة: «جمان الصغيرة».

تجرَّأت إيفا، وأمسكت يده وشدَّت عليها وهي تقول بهمسٍ أيضًا: «لا ذنب لها إلياس».

نظر ليده قبل أن تُفلِتَها عندما اقترب من والدته، وتراجعت بجوار والدتها.

صافح نوفل الذي تقدَّم له.

قبَّل رأس والدته ... نظرت له وهي تمدُّ جمان له وتقول بسرعةٍ: «خذْها، أريد تعديل معطفي، والسلام على عمَّتِك».
ارتجفت يداه، نظر نحو إيفا التي هزَّت رأسها له، لا يعلم لمَ نظر لها؟ أخذها ويداه ترتجف، وشدَّ عليها خوفًا من سقوطها.
ابتعد قليلًا خلف الباب، ونظر لها ثم ابتسمت له، انزلقت دمعةٌ من عينه، ولم يستطِعْ مسحها بسبب أنه مُمسِك بها بكلتا يديه؛ حيث واصلت دموعه الانزلاق الواحدة تلو الأخرى.

صد بسرعةٍ ليختفي خلف باب الحديقة جيدًا عند سماعه والدته تناديه: «أين ذهب إلياس؟!».
نطقت إيفا وهي تقترب منها: «تفضلي هناك» وهي تشير على الطاولة التي جلس بها نوفل، «سأذهب لرؤيتهما» هزَّت رأسها وذهبت.

وهي تبحث عنه ثم رأته يعطيها ظهره.

نطقت: «أين ذهبتما؟! والدتك تبحث عنك».

قال بصوتٍ أجشَّ: «قادمٌ ... اذهبي».
عقدتْ حاجباها ولفَّته نحوها، وهي ترى دموعه، ولكن صد عنها بوجهه.
عادت تنظر له وهي تقول: «أمرٌ طبيعيٌّ يا أحمق، لا تُخبئ وجهك، هذه مشاعر لا نستطيع التحكُّم بها».
نطق وهو يحدِّق بها: «هل تستطيعين أخذها؟».
أخذتْها إيفا بحذَرٍ وأخرج المنديل من جيبه، ومسح عينيه، وقام بترتيب شعره ومعطفه، ونطق: «شكرًا إيفا ... يمكنني أخْذُها».

نطقتْ وهي تُقبِّل خدَّ الطفلة: «لا، سأحملها أنا، هيا لنذهب».

ابتسم وهو ينظر لها، وذهبا للداخل، رفع ألكاي هاتفه وهو يلتقط لهما صورةً، ابتسم وهو ينظر لهم.

عاد إلياس ليجلس بجوار ألكاي الذي ينظر للهاتف ويبتسم.
إلياس: «ماذا لديك؟ تبتسم وأنت تنظر للهاتف! هي بالطاولة القريبة، يمكننا الذهاب والانضمام لهما».

نظر ألكاي -بخبث وابتسامة ارتسمت على محيَّاه، وهو يرى إيفا تنضم للفتيات-: «هيا لنذهب».

نظر إلياس بدهشةٍ -هو قالها ممازحًا-: «حقًا؟!».
وقف ألكاي وهو يتَّجه نحو طاولتها، وتبعه إلياس.
- هل يمكننا الانضمام؟
إيفا تبتسم: «بالطبع، صحيح يا فتيات؟».
تبسَّمْنَ بالموافقة.

أخرج ألكاي هاتفه، وهو يلف بالصورة على إيفا: «كيف ترَين شكلك وأنتِ أم؟».

نظرت بدهشة وحرج: «ألكاي!».
قطَّب إلياس حاجبيه، وهو يقوم بسحب الهاتف.

ابتسم وهو ينظر لها: «اختاري الأب بعناية ... هههههه».

نظرت إليه وتجهَّمت: «هههه هذا مضحك» وهي تلتفتُ على ألكاي: «هي ... أنت أصبحت جريئًا ومزعجًا للغاية».

نظر لها بصدمة وبعينين متسعتين، ثم نقل نظره لروف التي تبتسم، ونطق بصوتٍ هامسٍ عن المجاورين بالطاولة الأخرى، وهو يبتسم: «عِدَاني أن تُسمِّيَا الطفل (ألكاي)!» وينظر نحو إيفا وإلياس.

إيفا -بدهشةٍ وعينين متسعتين-: «ألكاي، أنا لن أسمي طفلي عليك، أما إلياس فلا شأن لي بأطفاله، كلُّ شخصٍ له حياته».

إلياس -بجرأة مستغربة وابتسامة، وهو يتكئ بذقنه على يده-: «طفلنا الأول سيحمل اسم خاله (ألكاي) نقطه إيفا».

حدَّقت بدهشةٍ، تشعر بحرارةٍ اكتسحت وجهها وأطرافها وتبلَّدت.

ابتسمت كارتال، وهي تقول بنفس همسهم: «هل هذا عرضُ زواجٍ بطريقةٍ مختلفة؟!».

نظر ألكاي بدهشةٍ أيضًا من إلياس.

انتبه إلياس، ونظر حوله، ونظر نحو ألكاي: «ماذا؟! قلت شيئًا خاطئًا، صحيح!»
ونهض وذهب مسرعًا ليغادر.
كان ألكاي سيتحدَّث، ولكن سمع صوت تصوير من خلفه، تحرَّك بسرعةٍ ليجلس على الكرسي المقابل لروف، ويحجبها عن الطاولات المقابلة بهدوء دون أن تدرك ماذا يحدث؟

استأذن بعد القليل من الوقت.
وقف يحدِّق بالحضور علَّه يجِدُ من يكون خلف الصورة الملتقطة.

التقتْ عينُه مع نوفل الذي صدَّ بسرعةٍ.
ذهب للداخل وهو ينادي إيفا ويتوجَّه لغرفتها.

إيفا: «ماذا هناك ألكاي؟».
ألكاي: «نوفل، أشكُّ بكونِه التقط صورةً لروف».
- ماذا تقصد؟ وماذا يريد بها؟
- تعلمين، ربما يكون على علاقة بأحد يعرف والدها، ويوصل موقعها أو ما شابه ذلك.
- إذًا ماذا نفعل؟!
بعد وقتٍ دخل إلياس: «ماذا هناك؟ لِمَ تتصل بي؟ هل يؤلمك شيء؟».
جلس ألكاي وأخبره.
نطق إلياس وهو ينظر نحو إيفا: «لديكِ تلك الوصلة صحيح؟! تلك التي استعدت بيانات هاتفي بواسطتها!».
إيفا -وهي تفتح درج المكتب وتبحث فيه-: «أجل، وجدتُها ... هذه» وترفعها.
تحدَّث ألكاي: «طراز هاتفه مُطابِقٌ لهاتفك إيفا، لنبدِّل الهواتف وقتَ العشاء، وأنت إلياس ابْقَ بالقرب منه، وتأكَّد عدم استخدام الهاتف».
اتفقوا على الخطَّة.

.....

أثناء العشاء الذي كان ببهو المنزل، همس إلياس بأذن والده، الذي هزَّ رأسه وذهب.
اقترب من الطاولة، وبدَّل الهواتف بعد إغلاق هاتف إيفا.

ووضع الهاتف بجَيب معطفه، وانسحب بهدوء، وأعطاه إيفا، ونطق وهو ينظر لألكاي: «أنت اذهب للأسفل، ألم تقُلْ: التقت أعينُكم؟! ربما تُربكه ولا يستطيع استخدام الهاتف».

ألكاي: «هذا صحيح، أجل، سأذهب، كونوا سريعين (20) دقيقة فقط التي لدينا».

إيفا -بتفكير وهي تبتسم-: «عشر دقائق ستكون كافية مع هذه» وتُخرِج وصلة صغيرة أخرى، ابتسم ألكاي لها وغادر.

إلياس يسحب كرسيًّا، ويجلس بجوارها وهي تعمل على مكتبها، ارتبكتْ من قُربِه، نظرت له وعادت تنظر للكمبيوتر، وأوصلته بالهاتف والوصلة، عكست الشاشة الكثير من الرموز والبرمجيات، لَبِسَت النظارة وهي تُشبِّك يديها وتُحرِّك أصابعها. لفَّت تنظر إليه، ابتسم بشدَّة حتى اتَّضحت غمازتاه، توتَّرت ونطقت بصوتٍ سريعٍ: «التزم الصمت حسنًا، وبدأت» دُهِشَ بقوَّةٍ لسرعة أصابعها على الكيبورد وكتابة الرموز.
نطق بخفَّة: «ما هو تخصصك الجامعي؟».
تحدَّثت وهي مستمرَّة وتنظر: «تخصص هندسة - أمن المعلومات والشبكات البرمجية».

أومأ برأسه بإعجابٍ، وبعد مرور دقيقتين فقط، نظرت له بابتسامة: «مستعد؟».
فتح عينيه وهو ينظر للمؤقِّت الذي وضعتْه أمامها: «أجل».
ضغطت على زِرّ إدخالٍ بصوتٍ عالٍ، وتراجعت للخلف.
أضاءت شاشة هاتف نوفل، وفتح الرمز.
رفعت يدَها اليمنى، وتصافحا بحركةٍ تدل على إنجازها (high five).
أخذ إلياس الهاتف، وأعطاها هاتفه: «التقطي الصور من هاتفي».
ذهب لتطبيق الصور، ووجد بالفعل صورةً تُوضِّح روف وكارتال وألكاي نصف وجهة!
عضَّ شفته بغضبٍ: «وجدتها».
إيفا: «ابحث في الرسائل بسرعةٍ، اغلِق الشبكة أولًا».
فتح تطبيق الرسائل: «أووه ... انظري ... شارك الصورة بالفعل».
صورة إيفا وقف بدهشة عند قراءة الرسالة، أمسكت إيفا بسرعةٍ بالكرسي الذي كاد يسقط: «انتبه! سيسمعون الصوت».
"مرحبًا وجدتُ ابنة أخي هنا، ألم تكن معها؟ هل أُعرِّفُها بنفسي؟ إنها جميلةٌ جدًّا، تُشبِه والدتها أكثر منك، لكن راين، ماذا تفعل روف هنا؟! هل هي على علاقةٍ بأحدٍ هنا، يبدو أنَّ حديثًا وديًّا دار بينهم ..".

إيفا تضع يديها على شفتيها بدهشة: «كيف ذلك؟! نوفل عم روف؟! يعني جمان ابنة عمها؛ أي أختك أنت! ما هذا الجنون؟».

أغلق الهاتف، وأدخله بجيبه، وغادر بصمتٍ، يقف بالقرب من الباب الخارجي، وهو يراهم يتناولون العشاء، وأندريس يتحدَّث مع نوفل بمختلف المواضيع، بحث بنظره عن هاتف إيفا، وجده يضعه على الكرسي الفارغ بجواره؛ لأن من الآدب عدم وضع الهاتف على طاولة الطعام أثناء الأكل، كان يجلس ألكاي بجانب والده بالجهة المقابلة لنوفل وأندريس، اللَّذَين يجلسان بجوار بعضهما.

اقترب إلياس ويسحب الكرسي المجاور لنوفل: «آه .. أعتذر ... هاتفك!».
رفع نوفل رأسه: «آه تريد الجلوس، أعتذر، قد نفذ شحنُه، والتفَّ على الطاولة التي قرب الباب، فوقها بعض الهواتف، ووقف: «سأضعه على الشاحن، أنتظر رسالة مهمة جدًّا».
مسكه إلياس: «لا لا، أكمل طعامك، سوف أضعُه أنا، أعرف مكان الشاحن، لا عليك».
ابتسم نوفل بوُدٍّ: «شكرًا لك، إذًا ضعْه وعُدْ تناوَل معنا الطعام».
ربَّت على كتفه: «بالتأكيد».

وذهب أعطاهم ظهره، وهو يبدِّل الهواتف، ويغلق هاتف نوفل، ويضعه على الشاحن، ويضع هاتف إيفا بجَيب معطفه الداخلي، ويعود مكانه، ويبتسم.

جلس، وبعد وضْع الطعام بطبقه أخذ قطعةً من اللحم، ووضعها بطبق ألكاي، وهو يقول: «تذوَّق هذا، لقد طهي بطريقة ناجحة».
أكمل ألكاي طعامه، وهو يعلم أنها إشارة على إتمام العملية.
- بعد العشاء وذهاب الضيوف -

وقفتْ على النافذة وهي تراقب المكان بالخارج بتفكيرٍ عميقٍ، ابتسمتْ لاشعوريًّا وهي ترى ألكاي يتمدَّد ويضع رأسه بحجْر والدِه على ذلك البساط الأرضي بالحديقة، فتحت النافذة بخفَّة للاستمتاع بالنسيم اللطيف، اتَّضحت أصواتهم ومحتوى حديثهم.
ألكاي: «أبي، هل يمكنك تدليك رأسي بخفَّة؟!».
تحدث ليمان بقلق: «هل يؤلمك؟».
ابتسم ألكاي -وابتسمت لرؤيتها-: «قليلًا» وهو يُشير بيدِه.
نطق بجدية: «أبي أرجوك، لا تكن قلقًا هكذا، ماذا لو حصل لي شيء يومًا ما؟».
فزع ليمان وعيناه تمتلئان: «ماذا تقول؟! اصمت، لا تغضبني، لن يحدث شيء، أنت بخير ... أندريس سيجد الدواء لك».
ألكاي: «ماذا لو لم أتعرَّف على الأشياء من حولي، وأيضًا -بتوتُّر- والأشخاص؟!».
ليمان نظر إليه ونطق: «لن يحصل ذلك أبدًا أبدًا، مهما حدث، لا تقلق».

كانت تسمع لحديثهم تشعر بحديث ألكاي بحزنٍ وخوفٍ، وهي من تعرف الخوف جيدًا.

تحدَّثت مع نفسها، وهي ترى اهتمام ليمان، وكيف يُداعِب شعر ألكاي، وهو يبتسم له ويتحدَّث معه بودٍّ كبيرٍ.

"ماذا لو كان والدي يحبني بحقٍّ؟! ماذا كان سيحدث؟ لو كنا طبيعيين كباقي العائلات!
آه ... هل أصبحتُ أحسدُ ألكاي على بعض السعادة، وهو من فقد والدته يوم ولادته، أنا على الأقل عشت مع والدتي، وعشت بسعادةٍ -ولو لبعض الوقت- بكنفها ... الفرق بيننا التوقيت فقط، طفولتي سعيدة، وحزينة عندما كبُرتُ، وهو العكس تمامًا .."

قاطعتْها كارتال، وهي تقترب منها وتبتسم، وهي تنظر عبر النافذة: «تراقبينه من بعيد، آه ... أعتذر روف ... ولكن جميلٌ جدًّا، يرفرف قلبي بشدَّة».

روف ابتسمت دون أن تُغيِّر وجهتها، وقالت بهمسٍ: «جميل! أجل، وأيضًا روحه جميلة بشدَّة، حنون، ولطيف».

كارتال: «واااه ... اعتراف خطيييير جدًّا آنسة روف».

روف -وهي تنظر نحوها وتبتسم-: «اعتراف الجمال يشمل إلياس وأندريس كذلك!».

كارتال ذهبت نحو هاتفها الذي يرنُّ.

صدت بسرعةٍ عندما وقف ونظر نحو النافذة، وابتسم، تخبَّأت بسرعةٍ خلف الستارة.

نظر للساعة ... أغمض عينيه ... الساعة التاسعة ... تبقَّى لديه ساعة.

ذهب للداخل بعد مغادرة والده ليلتقي بإيفا وإلياس، قطَّب حاجبيه، وهو ينظر للصور: «أرسِلْها لي إلياس».

إلياس: «ماذا ستفعل؟! ستخبرها؟».

نظر وهو يقف بالوقت: «أجل ... سوف أوصلهما لمنزلها».

نزل للأسفل وهو يراها تقف: «مرحبًا ... هيا لأوصلكما للمنزل مع طريقي».

روف تحدَّثت وهي تراه يحدِّق بساعة معصمه: «لا بأس، سنذهب نحن».

نطق وهو يركِّز عينيه بها: «روف لديَّ شيء أخبرك به .. حسنًا .. هيا».

كاتال: «لنذهب إذًا».

.....
وقفت كارتال وروف، ونزل من السيارة، وصمتَ وهو ينظر لكارتال التي فهِمتْ تقريبًا ما يريد.

ربَّتتْ كارتال على كتف روف: «سأذهب قبلك حسنًا».

بعد ذهابها، نطقتْ روف بتوتُّر: «ماذا هناك؟».
نظر بساعة يده: «هل لديك أقارب هنا؟».
روف باستنكار: «لا، لماذا؟».
- لديك عمٌّ صحيح!.
- ههه، قلت لك: ليس لدي أحد.
- والدك علم مكانك من قِبَل عمِّك، كان أحد الحضور الليلة، قام بالتقاط صورةٍ - وقطب شفتيه- مع الأسف الصورة تشملني معك أيضًا، سأخبرك بالتفاصيل لاحقًا.

اختلَّ توازُنها حتى أمسك بيدها، وقفت وهي تركز فيه وهي تسحب يديها منه ببرود مؤلم: «إذًا؟ ماذا تريد أن أفعل؟».

- سيأتي بالتأكيد هنا، هل ستكونين بخير؟
- هو بالفعل قادمٌ مطلعَ الشهر القادم، كلُّ ما سيحدث: سيبكر بالقدوم غالبًا.
نطق وهو يعرف أنها خائفة بعد أن نظر لساعته للمرة الأخيرة، وارتبك حقًّا من الوقت: «روف أنا سأكون خلفك، إن احتجتِ شيئًا سأكون هنا لأجلك في أي وقت».

نظرت إليه بطيف ابتسامة، وهي لا تنكر أن كلمته أثرت بداخل قلبها: «حتى بعد الثانية عشر؟».

بنظرات مستغربة: «ماذا؟!».

أشارت برأسها نحو ساعته: «تنظر لها من قبل قدومنا حتى! هل ستتحوَّل هههه؟».

ابتسم وهو يسلهم بعينيه: «ربما أغيب عن الوعي لأسبوعٍ واحدٍ أو أكثر».

نظرت بجدِّية: «ولماذا؟».

نظر لها: «أممم ... ألم أقل لك سابقًا: تخطيتُ الحادية عشرة لأجلك، لو لم يكن لديَّ حقنة منومة، كنت دفعتُ الثمن غاليًا، هَيَا ادخلي، يتوجَّب عليَّ الرحيل، لم يتبقَّ الكثير».

نظرت إليه وهو ينتظرها تدخل: «غادر أنت».
اقترب منها، وهي تتراجع: «ادخلي أنتِ أولًا بسرعةٍ هيا».

وذهب بعد دخولها للمنزل، وصل وهو يترنح من التعب والصداع، رمى بنفسه على السرير، وغطَّ بنومٍ عميقٍ.

دخلتْ روف، وتوجَّهت لدورة المياه، وفتحت الماء البارد وهي تشهق بقوة، وتبكي وتقبض على قلبها وهي تتحدَّث: «لِمَ في كلِّ مرة أوشك على السلام يتبعثر عالمي؟! هل أنا لا أستحق الراحة في حياتي؟!»، وانهارت من البكاء وهي تتذكر المصائب التي تحلُّ بها في كل مرة تكون تسربت لحياتها القليل من السعادة، أعظمها حفلة عيد الميلاد، أصبح والدها قاتلًا، وهي الشاهدة على الجريمة.
كانت على وشك لقائه، دخلت لجحيم والدها وغرفة الثقوب، والآن بدأت تشعر بالراحة، وحدث ما حدث، ما الثمن الذي يتوجَّب عليها دفعه هذه المرة؟
وراحت تُفكِّر بعمقٍ وتخوُّفٍ شديدٍ ممَّا يُحتمَل وقوعه.

27. طوق الورد

كانت ليلةً مريرةً على روف التي عانت الكوابيس والبكاء وحدَها؛ حيث إنها وجدت كارتال نائمةً عند صعودها، فهي متعبة من السفر.

صباح اليوم التالي استيقظت على صرخة كارتال، حاولت النهوض فتعثَّرت في الغطاء، ثم أزاحته وهي ترتجف، وتعثَّرت وسقطت على الأرض مرةً أخرى، استجمعت قوَّتها ونهضتْ، ولكن دخلت عليها.

كارتال بوجهٍ مرتعب: «رووووف رووف».

روف: «ماذا هناك؟».

كارتال: «والدك! والدك سيأتي بعد ثلاثة أيام، لماذا إذًا؟!».

روف تَزفِر، وهي تجلس على السرير بتعبٍ وإرهاق: «أووه هذا فقط ما لديك؟».
كارتال تجلس بمحاذاتها، وهي تلف وجهها نحوها، وترى عينيها متورمة من البكاء: «هل بكيتِ؟».
روف -تبتسم بحزن شديد-: «ألا أستحقُّ السلام بحياتي؟! أليس لديَّ حلٌّ أفضل من الهروب منه؟ أنا لم أفعل شيء خاطئ» وانهارت تبكي.
كارتال لا تعلم ماذا تفعل؟ ودموعها تتجمع بعينيها هي الأخرى، التقَّت على هاتف روف الذي يضيء بجانب السرير، قفزتْ وأخذته.
كان رقمًا غير مسجلٍ قد اتصل مرتين من قبلُ، مدَّتْه لها: «أتعرفين هذا؟».
روف تحدِّق جيدًا: «مالؤف لكن لا أعلم» ورمت الهاتف.
عاد الاتصال، ثم صدرت رسالة بالأعلى: "روف أجيبي، أنا ألكاي".
حدَّقت بعينين متسعتين، ونظرت للساعة تشير للسابعة صباحًا: «كارتال ألكاي المتصل!».

- أجيبِي، سأخرج، سوف أصنع كوبَي قهوة لنا، إذا انتهيتِ تعالِ.

روف أجابت بصوتٍ أجشَّ لكثرة بكائها: «أهلًا!».

ألكاي بهدوء رُغم أنه توقع سبب صوتها: «متى سيأتي والدك إذًا؟».

روف -بعدما زَفِرت-: «ثلاثة أيام ويكون هنا ... لماذا؟».

نطق -بعد صمت-: «سأكون بالأسفل خلال نصف ساعة تقريبًا، أريد لقاءك، أخرجي عندما أتَّصِل، حسنًا، مهمٌّ جدًّا لا تتحجَّجي».

روف: «ماذا لديك هذه المرة ... أا ... حسنًا».

أغلق وهو يحدِّق بالملف على المقعد المجاور، وضع الملف بحقيبته، ونزل للأسفل ليَجِدَ والده يُقلِّم العشب بالحديقة، تحدَّث وهو يقترب منة: «أبي تعالَ قليلًا لنجلس هنا».

ليمان يقترب، وهو يراه جِدِّيًّا، وابتسم وتقدَّم وهو يقوم بمسح يدَيه بالمئزر الذي يرتديه، وجلس على أحد كراسي الحديقة مقابلَ ألكاي، الذي يبدو عليه التوتر: «هل نمتَ جيدًا؟» هزَّ رأسه، وأكمل والده: «ماذا تريد أن تقول لي إذًا؟».

ألكاي يبتسم ليشتِّت توتُّره: «أريد مباركتك، أنوي التقدُّم لروف».

دُهِش ليمان، ولكن احترم قرار ابْنِه، وقال بهدوء: «هل تحبها؟».

صمت قليلًا ثم نطق: «كما أحببتَ أمي!».
لمعتْ عينا ليمان، وهو يهز رأسه بابتسامة: «امضِ إذًا بما تريد، أتمنى لك التوفيق بكل حياتك» ولمعتْ عيناه وهو يحاول مسْحَها، وقف ألكاي وقبَّل رأسه، واستأذن للذَّهاب.

عند روف خرجتْ من الغرفة، وقد غيَّرت لباسها، ورتَّبت شعرها.

كارتال تقرِّب عينيها: «هل ستذهبين للعمل؟».

روف: «لا، اعتذرتُ اليوم، سأقابل ألكاي، لديه شيء ما».

كارتال بحماس: «واااو، هذا جميل» ثم قالت بحزنٍ: «أجل، قابليه قبل قدوم والدك، فرصتك الأخيرة».

صمتتْ وهي ترى الرسالة، وأشارت بيدها، وغادرت.

- بالأسفل-
ترجَّل وفتح باب السيارة لها، نظرت إليه ثم تقدَّمت وركِبتْ، أغلق الباب، وعاد لمكانه: «مرحبًا، كيف أصبحتِ؟».

نظرت له: «بخير، هل ابتدأت ساعات استيقاظك مبكرًا؟!».

ابتسم وهو ينظر للطريق: «أجل، أنام قبل الحادية عشرة وأستيقظ قبل السابعة، كيف ذلك؟! نظام متَّزن!».

نظرتْ له بصمتٍ وكأنها تتمتَّع بآخر اللحظات التي تجمعها معه.

نطق وهو لا يزال ينظر أمامه بابتسامة: «هل أنا جميلٌ لدرجة ألَّا ترفَّ عيناك؟!».

تحرَّكت بتوتُّر وهي تُغيِّر جهتها لتنظر مع النافذة، ثم نطقت بهدوء: «لستَ أجمل من إلياس».

صمت وهو يعلم أنها تغيظه، رُغم أنه يعلم أنَّ إلياس جميلٌ جدًّا: «هذا صحيحٌ إذًا ... ههه».

توقَّف أمام الشاطئ، وفتح ستارة السيارة، التفَّ عليها، وهي تحدِّق للمحيط بابتسامة: «هل تريدين النزول؟».

استعادت ابتسامتها وقالت بجِدِّية: «لا، تحدَّث، ماذا تريد؟».

نطق وهو ينظر نحوها بصوتٍ رخيم: «لنتزوَّج!».
التفَّت عليه بعينين متسعتين: «ماذا؟!» صمتت قليلًا، ثم أدركت الوضع، قالت بتهكُّم: «هههه ... هل أنت مشفق عليَّ؟!».

قرَّب عينيه، وهو ينظر نحوها، وتحدَّث: «الشفقة على الضعفاء ليس العكس، لن أشفق على فتاةٍ تستطيع الوقوف بشموخٍ بالرُّغم على ما مرَّت به، لن أشفِق على فتاة تكذب بثقةٍ وهي تنظر بعيني».
كانت تسمع بكلِّ دهشة.
ثم بابتسامة مائلة، نطق وهو يسحب ملفًّا من الخلف ويُكمِل: «لا تغتري، أعرِفُ متى أَستَغِل!»، ويمدُّ لها الملف: «لنقول: زواج تعاقدي متبادل المصالح».

نظرت وهي تُقلِّب في الملف: «تقارير طبية! ما هذا؟!».

تحدَّث وهو يعيد رأسه للخلف، ويتكئ على المقعد الجلدي: «قدري أمامك، سيأتي يومٌ لن أتعرَّف على أحدٍ روف، عِدِيني أن ترحلي معي قبل ذلك اليوم»، ثم أمال رأسه ينظر نحوها، وهو لا يزال متكئًا للخلف، وبابتسامة: «لا أريد نسيانك».

قالت بقلق، وهي تشعر بنبضات قلبها ترتفع: «أليس هناك علاج لك؟».

تعدَّل وهو يركز نظره للأمام، وهو يراها تقرأ بتركيز للبحث عن العلاج، بعد تشخيص الحالة، والمضاعفات القادمة: «بلى علاجي أناني بحتٌ، سنتحدَّث لاحقًا عن التفاصيل، أنا أثق بك الآن».

نظرت له بحزنٍ عميقٍ اتَّضح بصوتها: «تقصد أن زواجي منك يُخلِّصُني من والدي، وأنت تحتاجني لرحلة علاجك ومرافقتك؟».

ابتسم وهو يلتمس الحزن بصوتها: «الشفقة للضعفاء روف، اختصر لك: عندما أصل لتلك المرحلة يتوجَّب وجود شخصٍ ما، أحتاج شخصًا قويًّا قد يتحمَّل قلبه حالتي، ولن يُشفِقَ عليَّ، إن لم تكوني معي سيكون أبي أو إلياس، والاثنان لن يتحمَّلا أبدًا».

نظرت له: «وأنا سأتحمَّل؟!».

أومأ برأسه وهو ينظر إليها: «أجل، أنتِ على الأقل ليس لديك مشاعر تُجاهي، صحيح! علاقة مبنية على المصالح، صحيح!».

صمتتْ، وقلبها يتحدَّث يُنكِر كلَّ شيء تحدَّثَ عنه، نطقت: «كم المدة؟! كلُّ عقدٍ له مدة، صحيح؟!».
تنهَّد بعُمقٍ: «بقي ستةُ أشهُرٍ أو أكثر قبل تدهور وضعي ورحيلي، افعلي ما تريدين قبل ذلك».

نظرت إليه مرة أخرى: «بعد ذلك كله، بعد رحيلنا ألكاي؟».
أطال التفكير حتى قال: «إن حالفني الحظ (7) أعوام كحدٍّ أقصى» وابتسم ابتسامة واسعة: «عقد متوسط الأمد؛ بدايته ونهايته قرارُك أنتِ».

طال صمتُها، وهي تحدِّق أمامها، ثم بعد تفكيرٍ عميقٍ: «حسنًا، أريد أن تستقبل والدي معي بالمطار».

ابتسم لقوة تفكيرها: «حسنًا، لنريه ما لدينا روف سالار».
قطَّبت حاجبيها باستفهامٍ، أكمل وهو يقول: «اسم عائلتي ألكاي سالار، والآن روف سالار، أكملي قراءة الملف، هو سري للغاية».

أكملت بصمتٍ، وبعد نصف ساعة مدَّته نحوه: «انتهيتُ منه، هل العلاج مؤكد؟ أعني: التجربة هل نجحتْ وخرجوا بسلام؟».

أخذه وهو يُغلِق الحقيبة ويُعيده للخلف، وحرَّك السيارة وهو يقول: «لم تنتهِ بعدُ، ولكن أوشكَتْ، حسنًا، غدًا الساعة الحادية عشرة موعدنا لعقد القران وتوثيقة باللجنة، سآتي لآخذك غدًا».

- بهذه السرعة؟!
- اليوم الذي يليه وصول والدك، والجميع يعتقد أنه زواجٌ بعد قصة حبٍّ كبيرة، لنَدَعه كذلك، حسنًا؟».

.....

دخلتْ للمنزل وجدتْ كارتال تحزم حقائبها: «ماذا تفعلين؟».
كارتال: «غدًا مساءً سأذهب، والدتي متعبةٌ قليلًا، يتوجَّب عودتي، أعتذر روف».
روف تتقدَّم وتحتضنها: «لا بأس والدتك أهم»، ثم قالت وهي تتجمَّع دموعها: «أنا أيضًا أحتاجك ... غدًا زواجي كارتال».

كارتال تقفز بفزع: «ماذاااااا؟! ... روف! ماذا تقولين ... ممَّن ... ولماذا ... والدك؟».

روف وهي تجلس على الكنبة بتعبٍ: «ألكاي عرض عليَّ الزواج وقبلتُ، وغدًا توثيقه، واليوم الذي يليه سنستقبل والدي بالمطار... كيف ذلك؟!».

كارتال وهي تضع يديها على شفتيها، وعيناها متسعتان صرخت: «أووووووووه!»، وتقترب من روف، واحتضنتها: «أنا لا أصدق! هذا جنون!» وتبتعد عنها: «واااه ألكاي، واااه ... وأخيرًا انتصر الحب».

روف تنظر إليها: «أي حُبٍّ؟ زواج مصالح كارتال؛ يُحرِّرني من والدي، وأنا سأقدِّم له خدمة يحتاجها ... لا شيء آخر».

رفعت أكتافها: «تنتهي المصالح ويبدأ الحُبُّ إذًا»، وتقترب: «إذًا ماذا ستفعلين؟ أين ستمكثان؟ هل ستنتقلين لمنزله؟ هيا لنذهب لنشتري فستان زفاف إذًا ... أوه لدينا عملٌ كثيرٌ ... هيا لا وقت لدينا».

أمسكتها بيدها وهي لا تزال جالسة: «كارتاااال لن يتغيَّر شيء، سأبقى هنا، ولا أريد فستان زفاف، سأذهب للنوم».

كارتال تنظر إليها بصمتٍ ثم قالت: «هي ... أنتِ! هناك شيء آخر! لمَ لستِ سعيدةً ولو قليلًا؟!».

روف تقف بكسل وتتوجَّه للغرفة: «دعيني أستوعب أولًا» وذهبت.

.....

على العشاء بمنزل ماريا كان هو وإلياس الموجودين وأندريس.
نظر لهم ثم تحدَّث: «غدًا لديَّ عقد قرانٍ».
توقف الجميع عن الأكل واتجهت الأنظار له.

إيفا أول من تحدَّث، وهي تضع يدها على شفتيها تكتم شهقتها: «حقًّا، قَبِلتْ روف؟!».

لف إلياس نحو الاثنين: «روف! وأنت؟!».

ماريا بدهشة: «ألكاي، ماذا تقول يا بني؟! ستتزوج؟!».
ابتسم: «أجل، سنعقد غدًا ونُوثِّقه».

إلياس: «لماذا؟ وبهذه السرعة؟ والدك هل يعلم ..؟».

ألكاي ينظر إليهم جميعًا، حتى أندريس الذي اكتفى بالمباركة له: «أجل يعلم، وأندريس أيضًا يعلم».

حدَّق إلياس بغيظٍ: «أيضًا إيفا تعلم! يعني أنا فقط المستثنى! هذه الثانية!».

إيفا وهي تقف وتضرب رأس إلياس بخفَّة حتى التفَّ لها: «يا أحمق، من ستكون غير روف، لم أقل أني أعلم مسبقًا، فقط توقعتُها روف».

ماريا تبتسم بحُبٍّ له وهي تحتضنه: «مبارك لك يا صغيري، أين ستقيم الاحتفال؟» وهي تنظر نحو إيفا التي انتهت من طعامها: «لدينا الكثير من العمل ... استعدي».

أمسك بيد ماريا وهو يتحدث: «أنا لم أقل لها أني سأقيم احتفالًا موعدنا غدًا في الحادية عشرة في اللجنة لنوثقه فقط» صمتوا بعدها.

في الحديقة ...

تحدَّث إلياس: «ألكاي، أخبرني عن الحقيقة؟».

بصوت هادئ نطَق: «والدها قادم بعد غدٍ، وأريد حمايتها منه».

إلياس قطَّب حاجبيه: «هل يؤذيها؟».

ألكاي هزَّ رأسه بصمتٍ، ولم يسأله إلياس أي شيء آخر.

نطق ألكاي ممازحًا وهو يحدق بشاشة هاتفة: «هذا غير عادل! ألستُ جميلًا؟ تقول: إلياس أجمل منك».

إلياس يبتسم وهو ينظر نحوه: «هههه، لديها وجهة نظر صحيحة».

.....

صباح اليوم التالي، الساعة الثامنة صباحًا، رنَّ الجرْس:
وقفت كارتال لتفتح الباب وهي تشير لروف أن تُكمِل إفطارها: «أكملي، سأفتح»، وجدت إيفا خلف الباب، فتحت بدهشةٍ وهي ترى إيفا وماريا يدخلان ومعهنَّ الكثير من المساعدات، ويقومان بجرّ عرباتٍ محمَّلة بفساتين الزفاف، والكثير من الهدايا، وقفت روف بدهشةٍ وهي تتقدَّم لترى كل هذا الزحام المفاجئ.

اقتربت منها ماريا وهي تحتضنها: «مبارك لك يا أجمل عروس» ثم إيفا تحتضنها وتُغدِقُها بالمباركات.

روف: «ما هذا؟!».
إيفا وهي تطلب من خبيرة المكياج والشعر التقدُّم: «هذه هي العروس، أرجوكم ساعدوها على الاستعداد، هذا كلُّه من إعداد ألكاي ... هي ... لتنْتهِ قبل وصوله»، وتمد إليها صندوقًا به بطاقة مصرفية: «هنا المهر روف، بالتوفيق يا جميلتي، سعدت حقًّا بزواجكم».

روف كانت تحت تأثير الدهشة حقًّا: «ها.. آاه ... حسنًا».

كارتال تقترب من روف وتهمس: «هذه فائدة الزواج من شخصٍ ثريٍّ، لا تحتاجين الذهاب للتسوُّق، بل هو يأتي إليك».

بعد قرابة الساعتين خرجتْ روف بمساعدة كارتال بفستان الزفاف الهادي واللطيف، ينساب بنعومة على جسدها، غير متكلف، يتسم بالبساطة، وهو الذي أعجبها من التشكيلة.

تحدثت منسقة الإطلالة: «واو ... هذا أول فستان اختاره خطيبك، لديه ذوقٌ عالٍ»، وبابتسامة: «يبدو أيضًا أنه يعرف جيدًا مفضَّلاتك باللباس».

كارتال تستعدُّ وتُنهي لباسها: «هيا روف، ذهبت إيفا وماريا ... ألكاي ينتظرك بالأسفل».
غادر الموجودون بعد انتهاء طلة العروس، نظرتْ لمرآة المدخل: "فستان أبيض حريري، لا يحتوي أيًّا من الزينة، قليلٌ من الأحجار الكريمة، كُمٌّ طويلٌ يغطي بعض الآثار بأعلى يدها اليسرى، يتسع تدريجيًّا من أسفل خصْرِها، تركت شعرها مسدولًا مع ميك أب ناعم وجميل".

بالأسفل يقف ببدلته الرسمية السوداء الكلاسيكية، ومنديله الأبيض.

ارتبك عند رؤيتها تَخرُج بطلَّتِها الساحرة، نظر ليدَيها، هو اختار كافة الفساتين بذات الكمِّ، يعلم مسبقًا أنَّ من الآثار المتبقية في يديها، وربما لم يعد لها أثرٌ ولكن كان حريصًا لأجلها.
ابتسم وهو يلتف على السيارة ويخرج طوق وردٍ زُيِّن بـ(أزهار الكوزموس البيضاء)؛ حيث تتمتَّع هذه الزهرة بلونها الأبيض الناصع، وأيضًا بوجود اللون الأصفر في منتصفها، وشكلها المتساوي المنتظم في الأرض، وهي ترمز إلى التسامح والسلام والحب، ووضعه على رأسها وهو يبتسم، عدَّل خصلةً انزلقت عند وضعه الطوق .. فتح الباب وركبت.

التفتَّ على كارتال التي رافقتهم بابتسامة: أهلًا .. هل سترافقينا؟!».

كارتال وهي ترفع حاجبها بابتسامة لتغيظه: «لن أتركك تُحرِج صديقتي بكلامك المعسول والخادع هههه».

اتسعت عَيْنَا روف وهي تلتفتُ على كارتال وتَنقُل نظرها بين الاثنين وهما يضحكان.

تحدَّث ألكاي وهو يبتسم: «يكفيها النظر إليَّ، صحيح؟!» ويغمز ويكمل طريقه.

كاتال وهي تصفق بيديها: «الثقة التي تنطبق حقًّا... هل أستطيع مناداتك بالصهر بعد أن تصبح زوج أختي؟!».

ألكاي يبتسم لها، وهو يزمُّ شفتيه بتفكيرٍ، ويلتفتُ على روف: «هل تناديني كذلك؟ ما رأيك؟».

روف: «كما تريد كارتال».

نزلوا وهم ينظرون حولهم، ولم يجدوا أحدًا سواهم الثلاثة.

نظر لساعة معصمه: «أوه سنتأخَّر، ولم يأتِ أحدٌ؟».

روف: «ماذا تقصد؟».

ألكاي وهو يقترب ليُدخِل يدها بذراعه، ويتقدَّم ليصعد الدرج: «قال إلياس: إنهم سيأتون ... ولكن».

كارتال تتقدَّم: «ربما يكونون بالداخل، هي أوشكت على الحادية عشرة».
....
خرجا بعد قرابة النصف ساعة، أوقفتهم كارتال وهي تلتقط لهما الصور.
توقَّف بدهشة لرؤية الزحام بالخارج، موكبٌ مهيبٌ يقوده إلياس ووالده والأهازيج المنتشرة بالمكان.

نظر لها بابتسامةٍ وهو يرى حاجبيها معقودتين، مدَّ أصبعه وهو يرخي جبينها بتمرير أصبعه على حاجبيها: «هم فرحون بك جدًّا، دعينا اليوم ننسى الاتفاق، ونكون كما لو كنا عاديين جدًّا بمشاعر صادقة».

نزلوا للأسفل وهم يتلقَّون التهاني والأحضان حتى اقتربت منهما سيارة فارهة لهذه المناسبات، وفتح السائق لهما الباب الخلفي، وصعدا، وانطلق الموكب لمكان الحدث الذي أقامه ليمان بحديقة منزله.

ابتسم وهو ينظر حوله، تفاصيل المكان مبهرة، متى استطاع والده فعل ذلك كله خلال مدة قصيرة؟!

اقتربت سونا وهي تبتسم، ومدَّت باقة وردٍ صغيرةً مقاربة لمسكات العرائس لروف: «صنعتُ الورود لتخفيف التوتُّر للعروس، يمكنك الضغط عليها، يقال: هذا سبب وجودها بطلَّة العروس».

روف وهي تبتسم لها بهدوء: «شكرًا لك».

سونا وهي تقترب من ألكاي وتنظر له، وهو صامت يبادلها النظرات حتى احتضنته بصمتٍ دون قول شيء، وهمست أخيرًا وهي تبتعد: «النجوم اليوم شديدةُ اللمعة، يبدو أنها سعيدة» وابتعدت عنهما وهي تُشرِف على العمل.

بعد جلوسهما في المكان المخصَّص لهما بتلك الزينة اللافتة:

تقدمت إيفا وهي تجلس بجوارهم: «أنتم مختلفون حقًّا! حفل زفاف بفترة الظهيرة ... هههه ... لا بأس، هذا جيد، سيأتي الكثير من الضيوف الهامِّين، وقد ينتهي الاحتفال السادسة أو السابعة مساء».
روف تنظر لهاتفها وتهمس بضجر: «الساعة الثانية والنصف».

ابتسم وهو يرى أندريس يقترب، وهو يتحدَّث مع ليمان الذي تشرق منه الابتسامة والفرح: «تحمَّلي الضجر قليلًا أرجوكِ لأجل سعادته، سنغادر بالسادسة».

قالت بهدوء: «حسنًا».

.....
في الساعة الرابعة امتلأ المكان بالحضور، وهناك الكثير من المصورين بالمكان الذي يجهل ألكاي سبب وجودهم!

لم يتعرَّف على أغلب الحضور رُغم معرفته بهم مسبقًا، حتى يهمس له أندريس بأسمائهم ومهنهم، يبدو أنَّ ذاكرته بدأت بالتخلُّص من الكثير من حوله.

هو لم يتعرف حتى على تلك الفتاة التي تقدَّمت منهما وهي تصافحه، ونظرت له باستحقارٍ عند سؤاله لها من تكون: «آه ... ألكاي، هل هذه طريقتك للانتقام مني أمام زوجتك؟!» وبهمس استطاعت روف سماعه: «لا تزال أحمق».

ابتسم وهو ينظر نحوها باستغرابٍ: «هل كان هناك شيء يتوجَّب الانتقام، فقط لم أستطعْ تذكُّرَك، لا شيء آخر.

نظرتْ له والغضب يتسلَّل داخلها: «يبدو أنه لا يريد لزوجته أن تعرفني ... ههه يبدو أنك أصبحت ممثلًا بارعًا أيضًا، هذا ما ينقصك فقط».
ثم نظرت لروف التي تنظر نحوها: «أوه ... أعتذر لم أُحيِّيكِ» ومدَّت يدها ولم تبادلها روف التحية، واتسعت عينا نايا ثم ابتسمت: «أنا نايا، وأنا خطيبته السابقة، والتي رفضته، ولذلك يتظاهر بعدم التعرُّف عليَّ ... ههههه».

روف ابتسمت: «آه ... أعتقد أن ذاكرته الثمينة -وتقترب لتحتضن ذراعه- لم تحتفظ بك، كما تعرفين: هي تميِّز بالأخير الأشياء التي ترتبط بالعاطفة وتحتفظ بها -وتغمز لها- ربما لم يكن لك أي مشاعر آنذاك > غريزة الأنثى الدهاء عند الغيرة».

ابتسم رُغم أنَّ ذاكرته بالفعل لم تتعرَّف على هذه السيدة، لكن هناك استياء داخله لوجودها.

نظرت لهما وهي تبتعد بغضب عن المكان.

إلياس وهو يقترب منه ويحتضنه: «عِدْني أن تقف بحفل زواجي كما فعلتُ اليوم».

ألكاي: «افعلْه قريبًا إذًا!».

إلياس يبتسم: «لن تذهب لمكانٍ لا داعي للعجلة».

صمتتْ روف وهي تحدِّق بهما، وهي تتذكر كلامه بالفعل، إلياس لن يحتمل ألكاي الذي لا يتعرف عليه، سيحزن كثيرًا، سأتبنَّى أحزانهم وحدي مع حزني، أتمنَّى أن أستطيع التحمل حقًّا.

إلياس وهو ينظر نحو روف ثم تحدَّث لألكاي: «هل تعرَّفتَ على نايا ابنة البروفيسور ريك؟! أعني خطيبتك السابقة!

ألكاي: «آه .. أجل .. أليست من ذهبت قبل قليلٍ» وقف وهو ينظر لساعته: «سنغادر حسنًا!».

إلياس يبتسم: «حسنًا بالتوفيق لكما، أين ستذهب؟ ألن تمكث مع والدك هنا؟».

ألكاي ينظر نحو روف التي وقفت: «لدينا مكان غدًا سنذهب له وبعدها سنرى».

ودَّعوا الجميع، وذهبوا، وكانت كارتال غادرت لرحلتها في الرابعة، أوصلتها إيفا.

أوقف السيارة بمنتصف الطريق، وهو ينظر للتقاطع أمامه، ونطق بصوتٍ خافتٍ: «روف هل تعرفين الاتجاهات الصحيحة؟! تاهت من مخيلتي».

نظرت له بثباتٍ رُغم الحزن الذي اجتاحها: «أجل، خذ المنعطف الثاني وسأخبرك بالطريق».

توقف أمام سكن روف، وهو يَزفِر ويُرخِي رأسه للخلف، ويدلك جبينه بخفَّة وهو يغمض عينيه ونطق: «اذهبي للأعلى، لديَّ مكالمة سأُجرِيها، وسوف آتي إليك».

نظرت له وهي ترى تعرُّق جبينه وأعلى عنقه: «هل أنت بخير؟ أتشعر بتوعُّك؟».

ابتسم وهو يميل رأسه نحوها: «هل بدأتِ بالاهتمام بي؟ أنا بخير، فقط حثَّيتُ ذاكرتي اليوم كثيرًا، وأتعبتني قليلًا، لِنُكمِل حديثنا بالأعلى».

28. العتبة الأخيرة

ذهبت روف، وهو أجرى اتصالًا مع أندريس الذي أخبره بعد تشخيص حالته أنه على قرابة من نوبة أخرى قريبًا؛ حيث الأخير من إجهاد الذاكرة التي ستسرع حالته وتزيد معاناته.

أخبره بأخذ الحقنة بعد ساعة لِيُبعِدَ حصول النوبة لأيامٍ على الأقل.

رن جرس الباب، وفتحت له ليبتسم وهو يراها ترتدي ملابس واسعة ومريحة بعد ارتدائها للفستان الطويل: «أوه ... أتشعرين بالراحة الآن؟ انتهينا؟!».

تمشي خلفة وهو يتقدَّم، ويخلع ربطة العنق والمعطف، ويبقي على القميص الأبيض، ويفتح أزراره العلوية، وهو يَزفِر بتعبٍ ويجلس على الكنبة ويأخذ قنينة الماء ويشربها كاملة.

نطقت -بتردُّد-: «هل نتناول العشاء؟» وتشير للطاولة خلفها، جهزتها إيفا بعد إيصال كاتال.

وقف وهو يبتسم رغم التعب المتزايد الذي يشعر به والصداع الشديد: «أجل أنا جائع بشدة».

جلست مقابِلَه وهي تتناول الأكل: «هل تتألم بشدَّة؟ جبينك يتعرَّق!».

تنهَّد وهو بالفعل يشعر أنه لن يستطع التحمُّل أكثر: «آه ... قليلًا، هل تستطيعين حقني؟ انتهيت من الأكل».

نظرت نحوه وهو يتقدم ليتمدد على الكنبة بالصالة بتعب.
اقتربت منه وهي تجلس بالأرض مقابلًا له: «هل أتصل على أندريس؟».

فتح عينيه وهو يلف نحوها: «روف، أنتِ طبيبتي الآن -ويشير للحقيبة على الطاولة- بالمنتصف تَجِدِين بها القنينة الزجاجية الزرقاء الصغيرة، خذي منها النسبة الموضَّحة عليها، واحقنيني بها، وسأخلد للنوم خلال خمس دقائق».

طبقتْ إرشاداته وهي تملأ الإبرة بالمحلول، ارتجفت يدُها عندما أمسكت يده لتجِدَها باردةً، ثم حقنتْها وظلّت تنظر له حتى ارتخت ملامِحُة المشدودة بسبب الألم، وارتخت يده حتى أمسكت بها، ووضعت الغطاء عليه، وأغلقت كافة الأضواء، وذهبت لغرفتها.

جلست أمام المرآة، وهي تُمشّط شعرها بعد أخْذِها استحمامًا، وضعت الكريم المرطِّب أسفل عينيها لعلها تخفِّف تورم عينيها من البكاء، هي لديها مشاعر ملخبطة؛ حزن على ألكاي النائم في الصالة، وخوفها لما يُخبئه المستقبل لهما، والدها غدًا سيأتي، ما هي ردة فعله؟ تخاف على ألكاي منه، وتخاف هي منه أيضًا! ذهبت لتنام بسريرها الدافئ بعد يومٍ شاقٍّ لتستعدَّ لغدٍ غامض، لديها الكثير بحياتها.

استيقظتْ بالتاسعة صباحًا، وأخرجت رأسها من خلف الباب لتراه لا يزال متمدِّدًا بمكانه، قطّبت حاجبَيها ثم اتَّسعت عيناها، وهي تتقدَّم منه بفزعٍ، هو لم يتخطَّ السابعة إلا إذا كان تعرَّض لنوبة إغماء، جثَتْ على ركبتِها وهي تُخرِجُ قلم الإضاءة من الحقيبة وتُقرّبه من عينيه حتى أبعدها بصراخٍ وهو يغمض عينيه: «آاه .. ماذا تفعلين؟».

جلستْ بتعبٍ وهي تُسقِط القلم وتُرخِي يديها وتَزفِر: «آه ... أنت مستيقظ! لما لا تزال بمكانك».

اعتدل ليجلس، وهو يراها تجلس أمامه يبدو أنها خافت: «أجل استيقظت بالخامسة ومللتُ، وأنا أنتظرك، وذهبت وجلبت الإفطار قبل قليلٍ -وابتسم وهو يقول- ورُغم إحداثي للكثير من الفوضى بالقرب من باب غرفتك إلا أنك لم تستيقظي!».

حكَّت أسفل شعرها: «لم أنم بعمق منذ مدة! كيف أصبحت؟».

- اختفى كل الألم، أنا بخير، هيا لنتناول الطعام وتستعدي لنذهب لنستقبل والدك، أوشك على الوصول.

هزَّت رأسها، وهي تقف ليُمسِك يدَها، والتفَّت له وهي تنظر بيدِها، وأفلتها وهو يقول: «لا تقلقي روف، حان الوقت لتشعري بالأمان كما الليلة الماضية، وتنامي براحة».

ابتسمتْ ثم نظرتْ له وهي تجلس على مقعدها: «أتقصد أنني نمتُ براحة لوجودك؟».

جلس وهو يرفع حاجبيه: «ربما».

روف -بتردد-: «ههه ... لديَّ سؤالٌ: هل ... أنت حقًّا لم تتعرَّف على نايا؟».

ابتسم: «هل تغارين عليَّ؟ وهو يضع يديه أسفل فكِّه».

نظرت بتهكُّم: «ههه ... نعود لنقول: لا تغتر يا عزيزي».

- لا بأس، قلتِ: عزيزي.
ابتسم وهو يرى ردَّة فعلها، وتحدَّث بجدية: «أجل حقًّا، لم أتعرَّف عليها كما الحال مع الكثير من الضيوف، تُعجِبني وتيرة فقداني للذكريات!».

- كيف ذلك؟ أي ماذا تقصد؟!

- أعني أنها لم تبدأ بالمقرَّبين لي أولًا ... وهذا الأهم؛ أي أنها تحتفظ بهم لأجلي.

- سيكون كلُّ شيء على ما يرام .. صحيح!

ابتسم تلك الابتسامة الدافئة، التي تُشعِرها بالأمان بجانبه: «سيكون كذلك، لا عليك».

-تقف بتوتُّر بصالة استقبال القادمين-
التفَّ عليها وهو ينظر ليَدِها التي كانت تقبضها وتبسطها بتَكرار ..
بسط يده لها، وهو يرى بداية المسافرين، نظرت له ثم ابتسم، وأومأ لها بعينيه ليتشابكا الأيدي.

حاولت إفلات يدِها كردَّة فعلٍ وهي ترى والدها الذي اختفت ابتسامته وهو يراهم، ولكن شدَّ عليها، ثم نظر بعينَي راين الذي ينظر ليدَيهم، ليُدخِل كلتا اليدين بمعطفه بابتسامة.

توقف راين أمامهما وهو يتقطَّع الغضب بوجهه، ثم أحنى عينه ليَدِ ألكاي اليسرى التي امتدَّت لمصافحته، عقد حاجبيه وهو يرى دبلته الفضية، نظر بسرعةٍ ليد روف التي أخرجها ألكاي بهدوء من جيب معطفه ليرى نفس الدبلة بيدها أيضًا، ابتسم باحتقار: «إذًا؟ هل تتوقَّع مني أبارك لكما؟!».

ألكاي وهو يُعيد يده: «لا، نحن هنا فقط لاستقبالك، ينبغي أن تكون شاكرًا، قاطعنا وقتنا الخاص لأجلك».
روف اتسعت عيناها وهي تشعر بالخوف والتوتر.

رفع حاجبيه: «ألن تتحدَّثي؟ هل وكَّلتِه عنك؟! أم وهبتيه لسانك مقابل ظنونك بالخلاص؟».

نظرت له: «كم ستبقى هنا؟ هل أحجز لك فندقًا؟».

ابتسم راين: «هههه ... النساء! لا، سأمكث لديك لأيام قليلة! وسنرحل أنتَ وأنتِ».

ألكاي: «أعتذر منك سيد راين، نحن لا نستطيع استقبالك لأيام حقًّا، يمكننا تناول العشاء بمنزلنا، ثم سوف أوصلك للفندق القريب من مقرّ المؤتمر العالمي الذي يقام بعد أيامٍ، أنت هنا لأجله، صحيح؟! سبق وحجزته لك».

راين يرفع حاجبه، ثم يحرّك قدمه وهو ينظر للأرض بملل: «حسنًا، هيا لنذهب».

ألكاي يقود، وهو يفكر بقلقٍ، لم يطمئن لصمت راين، توقَّع صراخه ... غضبه ...

فتحت روف الباب قبل أن يصِلَ والدها الذي نطق وهو يبتسم بغيظٍ: «هههه هل تخافين أن أعرف قفل بابك؟».

ابتسمت بتوتُّر: «لا، ليس كذلك، نحن فقط لا نريد أن تنتظر طويلًا».

غضب من (نحن) و(نريد).

بعد العَشاء، راين وهو يرى ألكاي يتحدَّث بالهاتف بالقرب من الشرفة: «روف، أريني أين دورة المياه!».

روف ابتلعت ريقها، وهي تنظر نحو ألكاي الذي يُعطِيهم ظهره.
مما أغضب راين كثيرًا، كانت دورة المياه داخل غرفة النوم؛ حيث إنها شقة صغيرة لشخصٍ واحدٍ: «حسنًا».
فتحت باب الغرفة، وتركته مفتوحًا، وهي تتقدَّم قليلًا لتشير لباب دورة المياه، ابتسم وهو يرى الباب الشبه مفتوح، هي تتنفس بسرعةٍ نتيجة خوفِها وتوترها، التفتَ ليذهب لو لم يرَ فستان الزفاف المُسدَل على الكنبة القريبة من السرير، الذي جعلة يشتاط غضبًا، ويلتفتُ بسرعةٍ ليرفع يده ليصفعها، لتنكمش بسرعةٍ وتغمض عينيها.
لولا تلك اليد التي أمسكتْ بيده بسرعةٍ لتدفعه قليلًا للخلف، ويبقيها خلفه، نطق ألكاي الذي يتنفس بغضبٍ، اتَّضح بعينيه ونبرة صوته: «مضت تلك الأيام راين -ثم نطق بهدوء- لم تَعُدْ تنتمي لك (هذه شخصي أنا)».

راين بانفلاتٍ وغضبٍ: «أنت لن تبقى طويلًا لها، سيأتي يومٌ تعود إليَّ تجرُّ ذيول الخيبة ... ستَبقِين روف راين إلى آخر يوم بعمرك».

تحدَّث ألكاي بثقة وتحدٍّ، وهو يراه يهمُّ بالمغادرة: «روف سالار! للتصحيح، وتنتمي لذاتها فقط».

غادر راين بكلِّ غضبٍ ..

تهاوت روف من طولها، لِيُمسِكَها ألكاي بكتفَيها، ويساعدها للوقوف، وهو ينظر لعينيها المرتجفتين بخوفٍ، والدموع تملؤها، احتضنها بصمتٍ وهو يُربِّت على رأسها: «مرت بسلام، أنتِ بخير».
تشبَّثت بمعطفه، وهي تسمح لنفسها لتنتحب بين يديه الحانية.

أبعدها عنه قليلًا وهو يقول بعد محاولة تذكُّره: «روف، عند الصخرة كنتِ بنفس الخوف أخبريني».
ارتجف فكُّها وهو يُجلِسُها على طرف السرير، ويجلس جوارها، ويُمسِك بكلتا يديها، وينظر لعينيها التي تدفَّقت من جديدٍ حتى نطقت: «ألكاي ... أنا ... أنا .. شَهِدتُ جريمة قتل!
اتسعت عيناه: «ماذا؟» ويبتلع ريقه: «روف ماذا تقولين؟!».
هزَّت رأسها ودموعها تنهمر وتمسحها بسرعةٍ: «أا.. أبي ... -وتعَضُّ شفتيها وتُقوّسُها لتتحدَّث- أبي قتل الباحث جيم» وببكاء وهي تضرب صدْرَها، أنا السبب .. أنا ... أنا..».

مسح ألكاي وجهه بتوتُّر، هناك أجزاء مفقودة بذاكرته عن جيم هذا، وهو يُمسِك بكتفيها: «روف، اهدئي، أخبريني بكلِّ شيء».

روف أخبرته بكلِّ شيء، ودموعها يشاركها الشرح ويداها بكلِّ عجزٍ وحزنٍ مُمكِنٍ لشخصٍ أن يحتمله .. كيف وإذا كان من كنتَ ترجوه سندًا وظلًّا.

احتضنها بحزنٍ وحنانٍ شديدٍ، لم تكن روف سوى نبتة صبارة صغيرة، عادت أشواكها لتنغرس فيها من جديدٍ ..

طال عناق الحزن هذه المرة، نزلت دمعته لِمَا مرَّت به ..
ربَّت عليها حتى نامت، حملها ليغطيها بالغطاء، ثم يضع فستان الزفاف في الخزانة، ويعود ليتمدَّد على الكنبة المقابلة لها ليراقب نومها، حتى غلبه النوم قبل الحادية عشر بخُططٍ جديدةٍ.

إلياس يجلس على دَرَج منزل ماريا الخارجي بعد العَشاء قبل أن يذهب، خرجت إيفا بكوبَي شاي، وجلست على بُعدٍ منه وهي تمدُّ الكوب له: «خذ المفضل لديك».
تنهَّد وهو ينظر للأمام، ثم التفتَ عليها وابتسم، وأخذ الشاي وهو شاردُ الذهن، ثم نطق: «أتعتقدين أنه انتهى اليوم بالنسبة لهم؟ تحدَّثتُ مع ألكاي، ويبدو أن راين يتناول العشاء لديهم».

زَفِرت إيفا: «آه ... أتمنى أن تكون روف بخير .. مسكينةٌ هذه الفتاه! حقًّا أتمنى أن ترى السعادة في القادم بحياتها».

إلياس: «أتمنى ذلك، لندعوهم غدًا، ما رأيك؟».

إيفا: «بمنزلنا؟ حسنًا؟».

إلياس: «لا، لنذهب رحلةً نحن الأربعة؛ للتخييم بالقرب من البحر الذي يحبه ألكاي».

إيفا -بحماس وهي ترفع يدَها ثم تعيدها وتقبضها وتبتسم-: «حسنًا، لنأخذ حافلة تخييم كبيرة».

إلياس وهو انتبه لحركة يدها: «حسنًا، أتعلمين ماذا؟!».

إيفا: «ماذا؟».

إلياس: «لم أكن يومًا أنتبه لأي عتبة أعبُرها أو أنتبه وأنا أتخطاها صعودًا أو نزولًا .. حتى أدهشتني نظرة ألكاي لها، وهو يشير للعتبات الصغيرة، يبدو أنَّ لديَّ عتباتٍ حقيقيةً أريد تخطِّيها حقًّا».

ابتسمت بعدما أخبرها بكلام ألكاي: «آه ... ألكاي لطيفٌ جدًّا، وعميق الإحساس، أتمنى أن يكون سعيدًا دائمًا وأبدًا».

خرج أندريس وهو يتَّضح على وجهه الغضب، ويتخطَّاهم دون أن ينظر لهم، وهو يتحدث: «إلياس .. هيا».

عقد إلياس حاجباه، وهو يمد لها الكوب، ويلوح بيده، ويغادر برفقة والده الذي اتجه لمكتبه بداخل منزله بسرعةٍ، ولحق به إلياس.

إلياس -وهو يرى والده الغاضب يُخرج الكثير من الملفات، ويفتح كمبيوتره ليطبع أوراقًا وصورًا-: «أندريس ماذا يحدث؟!».

أندريس: «حُلت الأحجيات إلياس، اكتملت القطع الآن، تصفَّح الملف هذا -ويرمي عليه المجلد البني الكبير- سأذهب للاستحمام، جهِّز كوبَي قهوةٍ، لدينا عمل».

غادر أندريس ... دُهش إلياس بشدَّة لرؤية كلِّ هذه الأدلة، التي من الواضح أنَّ والده أمضى عمره بجمعِها، آلمه كثيرًا غدرُ والدته بأندريس، الذي لم يستحقَّ هذا حقًّا.

بعد بعض الوقت، إلياس يدلِّك عينيه، يجاهد النوم، عكس والده الذي يقرأ بتركيز: «أبي، أتعني أنه أتى بقدميه للفخ؟».

أندريس -بابتسامة يخلَّلها بعض الحزن-: «راين سيسقط، لن يُفلِت منها، كان فقط سيستغرق وقتًا لطلبه من بلدٍ أخرى، واحتمالات هروبه، ولكن الآن لن يستطيع أبدًا، هناك مشكلة واحدة!».

إلياس: «ما هي؟ تتعلق به أو بأخيه غير الشقيق نوفل؟».

أندريس وهو ينظر نحو الورقة التي وصل لها إلياس، ولم ينظر لها بعدُ، ويُقطِّب شفته، وهو يشير نحو الملف الذي أمامه.

ارتجفت يداه، وسقطت الورقة، نظر بسرعةٍ لوالده المتوتِّر.

نطق أندريس بقلقٍ على ابنة الذي يساوي الحياة أو أكثر بالنسبة له: «لا عليك، يمكننا استثناؤها من كلِّ هذا، سأخفي الأدلة لأجلك، أقسم لك» وبدأ وكأنه يُبرِّر: «أنا فقط أضفتُها لربط الموضوع بالأدلة التي حصلتُ عليها».

قطَّب حاجبيه ودموعة تتلألأ، ثم عضَّ على شفته السفلى يشدُّ على نفسه: «ثم ماذا؟ نُصبِح مثلهم! نُخفي الأدلة؟! المذنب يحتاج العقاب، أيًّا من يكن أندريس، لا عليك، لكن لديَّ سؤال».

أندريس بشفقة على ابنه الذي يُكابِر مشاعر الطفل المُشتَّت: «ما هو؟».
إلياس: «لما كانت تُرسِل لي لتخبرني أنْ أعود من الجزيرة؛ ألكاي مريض، ثم المعمل يحترق، حتى أنها أخبرت روف بقدومي عندما كانت ذاهبةً لتصنع الحقنة ... -ويُمسِك برأسه بكلتا يديه- ما هذا أبي؟! -وبصراخ- أنا لم أعد أستطيع التحمُّل - وتنهمر دموعه- أناااا متعبٌ، آاااه -ويفتح أزرار جاكيته وهو يتنفس بصعوبة-».
اقترب منه أندريس، ولكن تراجع قليلًا وهو يقول: «آاااه آاااه» ويكسر حواجبه قليلًا ودموعه تتجمَّع من جديدٍ، ويشير بيده «جمااان؟».

- جمان أبي ... هل ستتركها أمي مرتين؟! اااه -ويعَضُّ على شفته ويحاول التماسك- أووه حسنًا، لا شأن لي، هي من اختارت التخلِّي عنا نحن الثلاثة ... التستر على الجرم يجعلك مذنبًا» ويقترب ليجلس ويكمل تصفح الملف حتى نطق: «يمكنك تسليمه، أراه مكتملًا ليُسقِط هذه الشبكة السيئة».

صمت أندريس وهو يكبت مشاعره المُثقَلة، وخرج ليسلمها للشخص المنتظر بالخارج.

بزغ الصبح لينقشع ثقل ظلام الهم عن أكتافهم.

استيقظت على رنين الهاتف الذي تكرَّر كثيرًا، فتحت عينها بتعبٍ شديدٍ وهي تسحب الهاتف وترفعه، لترى كارتال تتَّصل كثيرًا حتى أنها تخطَّت الخمسين مكالمة فائتة من اليوم الماضي!
هي لم تستخدمه أبدًا بالأمس.
أجابت بتعبٍ وبصوتٍ خادر: «أهلًا!» أغمضت عينيها وفتحتها بتعبٍ عندما ارتفع صوت كارتال بالصراخ ثم البكاء.

جلست بصعوبة وهي تتعدَّل: «كارتال، ماذا هناك؟ لماذا تبكين؟! أنا بخير، أقسم لك» التفَّت في الغرفة ووجدته نائمًا على الكنبة متقرفصًا على نفسه، نظرت للساعة كانت الخامسة فجرًا.

كارتال: «آه ... حمدًا لله، قلبي سقط، خشيت أن يكون والدك فعل شيئًا ما».
روف ابتسمت وهي تنظر له: «لديَّ الآن شخصي الذي أنتمي له».

كارتال ابتسمت وهي تتلمَّس بحديثها ثقةً واعتمادًا: «آاااه صهري الثمين! هل هو بقربك؟ لما تهمسين؟ ههه».

روف شعرت بالخجل من كارتال وتهمس: «انظري للوقت قبل أن تتحدَّثي، هو نائم على الكنبة المقابلة للسرير، سيستيقظ قريبًا، سأتصل بك مرَّةً أخرى .. حسنًا»، وأغلقت بعد توديع كارتال، واستيقظت، أخذت استحمامًا دافئًا، وخرجت لتذهب للصالة لتُحضِّر كوب قهوة، وعندما اقتربت لشربه أخذه من يدها لتفزع، ويُمسِك يدها، ابتسم وهو يأخذ رشفة من الكوب ويُعيده ليدها، ويذهب ليتمدَّد بكنبة الصالة ويغمض عينيه.

اقتربت وتجلس بالكنبة الأخرى: «هل ستكمل نومك بعد رشفة من القهوة؟».
تحدَّث وهو لم يفتح عينيه: «أشعر بالنعاس حقًّا ... لا أعلم لماذا؟ لا أستطيع الحركة كثيرًا، أشعر بالتعب» ولم يكمل حتى غاب عن الوعي.

اهتز الكوب بيدها وهي تقترب منه، بعدما أنزلت الكوب على الطاولة تحسَّست جبينه، لديه حرارة شديدة بالفعل، وهذا سبب تقرفصه.
تنهَّدت واحتارت، ماذا تفعل؟! دلَّكت جبينها بتوتُّر وهي تشعر بالرغبة بالبكاء ولكن كبحت نفسها وهي تُحضِر غطاءً خفيفًا وتضعه عليه، وترفع رأسه بوسادة، وتضع الكمادات الباردة على جبينه، وتحضر الأخرى، وتمسح بها وجهه برفقٍ ثم يديه.
بعد بعض الوقت أخذت حرارتُه بالازدياد، زَفِرت وهي تنظر للوقت، تخطَّى السادسة، أخذتْ هاتفَه المحمول، وجدتْه ألغى رمزه، أغمضت عينيها وزمَّت شفتَيها: «لم يَعُدْ يحفظ الرمز جيدًا».

أرسلت نقطة لإلياس، الذي اتصل بسرعةٍ، توتَّرت قبل أن تجيب: «مرحبًا إلياس».

وقف بسرعةٍ، وهو الذي كان يحاول النوم، ومتمدِّد على سريره بعد الأرق الذي أصابه: «روف؟! ماذا حدث؟ ألكاي! هل هو بخير؟».

روف بقلة حيلة: «آاااه ... حرارته مرتفعة، هل يمكنك القدوم؟».

تحرك بسرعةٍ وهو يسحب المعطف ويرتديه: «هل يمكنك إرسال موقعك الآن؟!».

فتحت الباب، ودخل وهو يبحث عنه بعينه، تخطَّاها بسرعةٍ، وهو يراه متمدِّدًا، اقترب وأنزل حقيبته، وبدأ بقياس علامته الحيوية، وعندما أخرج قلم الإضاءة ودار به بعينيه، كتمت شهقاتها لعدم استجابته كما فعل آخر مرة استخدمت القلم.

التفتَ إليها إلياس، وتحدَّث وهو يبتعد عنه قليلًا: «ألكاي لا يحبُّ الضعف روف، وهذا سبب اختياره لك، أخبرني أندريس أنه مُهدَّد بالنوبة بعد الزفاف بسبب -بتردد- بسبب ذاكرتِه، وهذه -ويخرج حقنة صغيرة باللون الأصفر- هذه جديدة، وصلتنا بالأمس من المركز، ستساعده ليستيقظ خلال ساعات».

هزَّت رأسها وهي تذهب لتجلِب الماء البارد مرَّة أخرى.

مرَّت أربع ساعات ولم يستيقظ، زَفِر إلياس وهو يجلس أمامه.

فزعت عندما رنَّ هاتفها مرةً أخرى لتجِدَها كارتال، فتحت الهاتف: «كارتال سأتصل بك في وقتٍ آخر».
كارتال تصرخ بها قبل أن تغلق: «هل رأيتِ الأخبار روف؟ هل أنتِ بخير إذًا؟».

روف ترفع عينيها للتلفاز الذي يعرض خبرًا حصريًّا بالاسم المألوف بالنسبة لها:
"شبكة مُحكَمة لتنفيذ المصالح المشتركة للفريق، التي تحوي البروفيسور والأخ غير الشقيق وزوجته؛ حيث اشتملتْ تُهَمُهم على القتل، والسرقة، وانتحال الشخصية، وإفساد الممتلكات الخاصة، والخيانة بالأمانة والعمل.
تمَّ تحويل المتهمين إلى مركز الاحتجاز لإكمال التحقيق بحقِّهم؛ بدايةً بالبروفيسور الذي قد وصل للبلاد بتمام الثانية مساءً بيوم أمس لحضور المؤتمر الذي سيقام بعد ثلاثة أيام".

أحنتْ رأسها وهي تُغطِّي وجهها بيديها.
اقترب إلياس وأغلق التلفاز، وابتسم وهو يقول بعد كشفه السريع على ألكاي:
«سيستيقظ قريبًا .. نجح بذلك».

نظر لها وهي تحدِّق نحو ألكاي بصمتٍ دون أيِّ ردَّة فعلٍ.

نطق وهو يرتدي معطفه، ويرتِّب شكله للمغادرة: «روف أنا سأذهب، أاا .. أيضًا لا تقلقي، سوف أرافقك، سيطلبون حضوري أيضًا».

عقدت حاجبيها بالاستنكار الشديد: «لماذا؟» ثم اتَّسعت عيناها وهي تطبق فمَها بيديها، وتشير على التلفاز المغلق؟

أشار برأسه بأسى: «آاااه .. أجل، والدتي زوجة عمِّك غير الشقيق».

روف ولا تزال مُدهَشة: «عمي غير الشقيق؟ أنا!».

التف ليُغادِر وهو يقول: «لو كنت أستطيع لشرحتُ لك، لكن أخاف أن أسقط أنا أيضًا، لم أنم منذ أمس، سيشرح لك ألكاي .. وداعًا».

نطق بتعبٍ وهو يغلق البابَ خلفه وتجلس بتعبٍ: «آاااه أجزم أنك ستنام».

بعد بعض الوقت فتح عينيه بتعبٍ، وأعاد إغلاقها، ثم فتحها، نطق بتنهيدة طويلة وهو يحدِّق بالسقف: «آاااه آاااه ... كم مرَّ هذه المرة؟».

اقتربت منه وهي تقف: «حوالي خمس ساعات».

نظر إليها بصمتٍ لمدة دقيقة، حتى نطق وهو يقرِّب عينيه: «من أنتِ؟».

اتسعت عيناها، ثم أرمشت بكثرة، حتى تجمَّعت دموعها: «أنا روف! ألم تعرفني؟».

استعدل ليجلس وهو ينظر لعينيها التي تتجمَّع بها الدموع: «حسنًا، ما صلة قرابتك لي؟ هل ..!» قاطعته بسرعةٍ، وهي تجلس وتُمسِك يده بعينين حزينتين: «أنا زوجتك، لا عليك، ألم تذكرْني؟ لا تحثَّ ذاكرتَك على معرفتي، أنا أعرفك جيدًا وهذا يكفي».

ابتسم وهو يشدُّ على يدِها: «أتمنى ألَّا تتخلَّى عنك ذاكرتي حقًّا».

سحبت يدها منه وهي تعقد حاجبيها: «وقت مزاحك؟» وقفت وهي تبتعد عنه.

وقف بسرعةٍ ليعترض طريقها، ونظرت له ليتحدث: «كنتُ أودُّ رؤية: ماذا ستفعلين؟ لو حصل ذلك حقًّا، هذا مطمئنٌ، لم تسمحي لدموعك بالنزول، أنتِ قويةٌ يُعتمَد عليها».

نظرت له دون أي ابتسامة ولا حتى ردة فعل واضحة: «هل أنت من بلَّغت على والدي؟ استغللتَ ضعفي وبكائي البارحة، أخبرتك بكلِّ شيء!».

نظر لها بصمتٍ وقوَّس شفتيه، وهو يشد عليها لصدمته من تهمتِها، ثم تقدَّم وتخطَّاها ليدخل للغرفة، ثم خرج وهو يرتدي لباسه ويستعدُّ للخروج عندما ارتدى المعطف.

نطقتْ -بتردُّد-: «شعرك لا يزال مبتلًّا، هناك مجفِّف بالداخل».

التفتَ عليها وهو يتقدَّم نحو الباب: «لا بأس، سأذهب لرؤية إلياس، بالتأكيد يمرُّ بوقت صعبٍ»، وقال وهو يرتدي حذاءه ويفتح الباب: «آه ... أيضًا هو مراقب من قبلِ وصوله للبلد، بينما استضفته قبل القبض عليه، لا شيء آخر، وسيتم طلبي للتحقيق قبلك .... اعلمي هذا: لن أستغلَّ دموعك، بينما تخبَّطتِ لمنعها من السقوط» وغادر.

وقفتْ بدهشةٍ وحرجٍ اكتسح وجهها وألمٍ اعتصر قلبها، كيف استطاعت اتهامه وهو بالفعل خاطَرَ لأجلِها، كان يعلم أنه مراقَبٌ قبل وصوله، ونفَّذ طلبها في سعْيِها للانتقام، وتمَّ رصده بالفعل، أوَّل من التقاه هذا، وألكاي من أكثر الذين قد ضرَّهم راين؛ لِمَ هي حزينة بالأساس؟! والدها هو من أرادت النجاة منه، والآن هو يقضي العقوبة المناسبة على أفعاله الإجرامية، ذهبت لتغسل يديها وعنقها لِتُخفِّف توتُّرها وقلقلها.

عند إلياس الذي رمى نفسه على سريره ليغطَّ بسباتٍ عميقٍ، ثم أحلام مُرعِبة، وكوابيس أيقظته، وهو يلتقط أنفاسه ويتصبَّب جبينه، فتح عينه وهو يمد يدَه لقنينة

الماء على الكمدينو القريبة منه، ويشرب ويرش على رأسه وعنقه بتعبٍ وألمٍ، ويعود يرمي بنفسه ويحدِّق بالسقف بصمتٍ، وهو لا يزال يتنفس بسرعة.

29. هدنة مع الوقت

دخل ألكاي المنزل، واتجه لمكتب أندريس ولم يجدْه به، بل وجده يجلس بالشرفة ينظر للخارج، طرق حافة النافذة الزجاجية لتنبيهه، وهو يتخطى عتبة باب الشرفة الصغيرة؛ ليلتفتَ نحوه أندريس وهو يبتسم: «مرحبًا خالي العزيز، أستطيع مناداتك هكذا صحيح! أصبحت أغار من إيفا ... ههه».

وقف أندريس بسرعة ويحتضنه وهو يربِّت على شعره بفرحٍ: «أحسنت هذه المرة، تغلبت على الوقت ألكاي» ويبتعد ليجلس بجواره على المقعد ... «بالطبع تستطيع، أنا خالك أيضًا ما دمت ابن أختي، أليس كذلك؟» وبتنهيده شَعَر أنها اجتثت ما بطريقها بصدره: «كيف أصبحت الآن؟ روف كيف حالها؟».

التف عليه ألكاي مستفسرًا: «دعك مني، إلياس؟!».

أندريس وهو يشبك يديه بخفَّة: «كان عزائي الوحيد أنك أثمن الأشخاص لديه، هو بخيرٍ، أخذ الحقنة بكل أملٍ ليحقنك، عاد قبل ساعة، وأعتقد أنه نام، لم يَغفُ جفنُه الليلة الماضية، أتت الحقنة ثمارها حمدًا لله ... روف كيف حالها إذن؟!».

ألكاي ينظر للأمام، يحدِّق بشجرة الجاكرندا الصفراء المزهرة: «روف يبدو أنها تمرُّ بتشتُّتٍ هذه الفتره، أما أنا بخير لكن ...».

أندريس ينظر له بتركيز: «لكن...؟».

ألكاي: «من يكون جيم بالضبط؟ هناك أجزاء مفقودة له بذاكرتي!».

أندريس وهو يعيره اهتمامه: «جيم! أحد الباحثين، ما علاقته؟».

ألكاي: «هو الضحية، روف شَهِدَت الجريمة، هل تعتقد أنهم يستدعونها؟».

أندريس يقطِّب حاجبيه: «جيم هو الضحيه؟! آاه ... لم يجدوا الجثة حتى الآن .. أووف .. هذا صادم حقًّا، إلى أين وصل جشعُه وشرُّه؟! جيم كان سيقوم بمساعدتنا، ولكن حصل الذي حصل!».

نطق ألكاي بتردُّد: «هل أستطيع أن أمكث لديك الأسبوع القادم بعد سفر والدي، حجزت لهم رحلة ليستمتِعوا بالعطلة، لا أريد البقاء وحدي».

نظر له أندريس: «بالتأكيد، ولكن لماذا تكون وحدَك؟! أين روف؟!».

ألكاي -وهو يحدق بخاتمه ثم نطق-: «أريد لها الاسترخاء وحدَها، تحتاج بعض الوقت».

هزَّ أندريس رأسه بنفي: «لاا .. ألكاي، هذا الوقت الذي تحتاجك فيه، ربما قد تحتاج بعض الوقت، ولكن بقربك، لا تتركها في أوقاتها الصعبة بينما هي ستنتظر بقربك طوال الأعوام القادمة وحدَها».

تنهد ألكاي: «هل جدَّ جديد؟».

أندريس: «تبقى خمسه أشهر، لنرى ماذا سيحدث بعد ذلك؟».

متكئًا على باب الشرفة خلفهم، وهو يسمع آخر حديثهم: «خمسه أشهر؟ عن ماذا؟!».

فزع كلٌّ من أندريس وألكاي، الذي وقف وتقدَّم منه، ثم احتضنه وهو يقول: «أتيت يا منقذي! كيف حالك؟ هل نمت؟».

إلياس بعدما جلس بالمقعد المقابل لهما: «ساعة على ما أعتقد، ألن تُخبِراني عن الخمسه الأشهر تلك؟ أهي ما تُخفيانِه عني؟!».

نطق أندريس بابتسامة: «هناك أمل لتجرِبة تنتهي بعد خمسه أشهر».
التفتَ عليه ألكاي مقطِّبًا حاجبيه، ضربه إلياس بقدمه وهو يقول: «ماذا؟ تريده أن يصمت؟ تحدَّثا بسرعة بكلِّ شيء، اقذفوها مرةً واحدة فقط، أتستبعدونني الآن؟!».

ألكاي يقطِّب شفتيه وهو ينظر نحوه: «لا، ليس أنك مستبعد، أنا لا أريد أن تحزن بسببي».

إلياس بانفعالٍ وهو يحك أسفل عنقه كما اعتاد لقلقه: «لاااااشأن لك بحُزنِي، تحدَّث بكلِّ شيء! أحزنَتني أمي، أتَقِفُ عليك الآن؟! أيضًا أنت لم ولن تحزنني، أتُسمِّي خوفي وقلقي عليك حزنًا، أنت أخي! عوضي الجميل! أنت أثمن شيء أهدتني الحياة بعد أندريس».

التفتَ أندريس للجهة الأخرى، وهو يمسح عينَيه عند رؤيته: كيف تحوَّلت ملامح إلياس؟ وهو يعَضُّ شفتيه باستمرار، ويحدُّ نظره، وعيناه تلمع، ماذا لو علم حقًّا؟!

ألكاي وهو يقف ويعود بعد بعض الوقت يحمل الملف ذاتَه ليضعه أمامه.

ارتجفت يدُ إلياس، وهو يفتح الصفحة الأولى من الملف ويقرأ الموجود:
"تقرير طبي:
المريض/ ألكاي سالار.
مرحلة المرض: مستمر في التقدم لم يتم تحديده لتغيُّره المرحلي".

رفع رأسه: «كيف لم يتم تحديد المرحلة؟».

أندريس يجيب وهو يرى ألكاي الذي شرد بتفكيره: «المراحل لديه تتقدَّم بسرعة، ولا يوجد تراجعٌ، ولا نستطيع منعها أو التخفيف من حدَّتِها».

أكمل وهو يشعر بحرارةٍ بصدره وألمٍ يكتسحُه يحاول السيطرة عليه داخليًّا.

قلب آخر صفحة بسرعة وهو يرفع عينيه المرتعشتين: «أين صفحة العلاج؟! فارغة! لماذا مكتوب: أنَّ هناك علاجًا».

قبض ألكاي على يده بشدَّه: «بعد خمسة أشهر إلياس ربما أجد العلاج».

إلياس بحاجبين مقتربتين: «ربما! ربما! أندريس تحدَّث ... كيف ربما؟! هل ستنتظره لـ...».
قاطعه أندريس: «علاجه صعبٌ إلياس، سيأخذ الكثير من عمره، إذا نجحت التجرِبة سنقوم به».

ألكاي: «أجل إلياس، ربما أستيقظ يومًا ما وأكون غريبًا عن هذا العالم، لا أستطيع تمييز من أكون حتى!».

إلياس ودموعه تتزاحم بالرُّغم لمسحه المستمر: «لو أصبح العالم عنك غريبًا نحن عالمُك الذي لن يتغيَّر، سنكون معك».

ألكاي: «عِدْني إذًا بشيء واحدٍ».
ونظر إلى أندريس الذي أحنى رأسه عندما علم ما الذي سيقوله.

إلياس وهو يُمسِك يده وينظر له بتركيز: «أعدك .. أعدك بتنفيذ ما تريد دون نقاش».

قطَّب أندريس حاجبيه ليُكمِل ألكاي: «إلياس الوعود قيودٌ، هل ستفي بوعدك مهما حصل؟ -ليكمل بعدما أكَّد له بتنفيذه وهو ينظر بعينيه- بعد خمسة أشهرٍ أو ربما قبلها

سوف أرحل، لن تبحث عني، وستكمل حياتك، هذا وعدُك لي، لن أفقِدَ فقط معرفتي للعالم آنذاك، حتى قدمي لن أستطيع توجيهَها للحركه إلياس!».

نفض إلياس يد ألكاي التي كان يُمسِك بها، ويقف وهو يعطيه ظهره ويتكئ على سور الشرفة، ثم يعود ينظر نحو والده: «هل اتَّفقتم على أخْذِ الوعد مني؟! صحيح؟! إذًا ما هو العلاج بعد التجرِبة المنتظرة؟».

أندريس: «تجربه "التجميد البشري" والترياق؛ يكون بواسطة استنساخ ناقلات الأعصاب في الجزء الحسي في جزء الدماغ الأسفل المسؤول عن الإدراك والتذكُّر من .....»
وبتردُّد، وهو ينظر نحو ألكاي الصامت، ونحو إلياس الذي تقدَّم ليجلس مرةً أخرى وهو يومئ برأسه ليكمل: «بواسطه ابن ألكاي بعد بلوغه الرابعة؛ حيث سيتمُّ تجميد والده قبل ولادته، حتى يُكمِل عامه الرابع، ثم تُنقل الأجزاء المطلوبة بعد تجميد الطفل مع والِده، وقد تستغرق نجاح عملية النقل عدة ساعات أو أشهر أو حتى سنوات، في التجرِبة الحالية لم يتم النقل، سيتم الطفل الرابعة بعد شهرين تقريبًا».

صمت إلياس بدهشة لبعض الوقت، وهو يحدِّق فيهما حتى نطق: «هل تتحدَّث بصدق؟ -وبتفكير- روف هل تعلم؟ أعني -وهو يُقطِّب على شفته- أعني: هل تعتقد أنها من تستطيع رعايتَك وتحمُّل وضعك، وتظل تنتظرك وحدَها؟ وأيضًا ....».
أمسك ألكاي يده وهو يبتسم: «أوه ... لمَ نفكِّر كثيرًا في شيء لم يحصل بعدُ؟! لا عليك، سأعود لك يومًا برفقتهما بخيرٍ، وهذا وعدي لك إذًا إنْ كان مقدَّرًا لي».

إلياس أفزعه الهاتف الذي اهتزَّ بجيب معطفِه وهو يخرجه: «أهلًا ... آه ... أجل ... حسنًا، سوف أحضر خلال نصف ساعة».

أندريس ينظر إليه: «هل هم فريق التحقيق؟».

إلياس وهو يمدُّ يده نحو ألكاي: «هيا سأوصلك في طريقي، أبي سيذهب للاجتماع المسبق للمؤتمر».

ألكاي يقف وهو يقول: «أوصلني لوالدِي ... أندريس، أصحيحٌ أنك سحبتَ انضمامي للمؤتمر؟!».

أندريس: «أجل ... لن تفعل شيئًا لا تريده أبدًا، قلتُ لهم: إنك تقضي رحلة بعد زواجك، والجميع أرسل لك التهاني رُغم فضولهم حول زوجتك».

ألكاي ابتسم: «شكرًا لك خالي العزيز» وهو يلوح بيده ويغادر.

بالسياره إلياس: «لما لدينا الكثير من الهموم؟! نحن صغار حقًّا على ذلك، لمَ جميعُ منعطفات حياتنا حادَّة جدًّا؟!».

ألكاي: «آاه .. أجل، هناك اقتباس أحبُّه جدًّا قرأتُه ذات مرةٍ، لا أذكر حقًّا أين بالتحديد، لكن يقول:
"الحياة مليئة بالمنعطفات الحادة، هناك من تصبح له بداية ويلتقي بقدره من خلاله، والبعض لا يتخطَّى ذلك المنعطف ..".
«نحن بخير ما دمنا نتخطَّاها، رُغم حدَّتها، أليس كذلك؟».

إلياس: «أجل بالفعل، ولكن لما لا تريد الذهاب إلى روف؟».

ألكاي يحدِّق بالطريق، وهو يرى إلياس يتخطَّى المنعطف الذي يؤدِّي لمنزلها بتُجاه منزل ليمان: «تحتاج بعض الوقت لتسوية سوء فهْمٍ».

صمت إلياس احترامًا لحياة صديقه الشخصية.

في مركز الاحتجاز دخلتْ والدته لغرفة المدير؛ لكي يتحدثا بهدوء بعد انتهاء التحقيقات مع إلياس، وقف وهو يمسح يديه بجانبي معطفه لتوتُّره.

اقتربت لتحتضِنَه وهي تجهش بالبكاء، أجلسها أمامه وهو يمد الماء لها لتشربَ منه قليلًا، وتُنزِله أرضًا وتقول: «هل زرتَ أختَك؟! هي عند جارتي والدة ورد؟».

نظر لها وهو ينفي برأسه لتُكمِل حديثها: «خذها، المرأه لن تستطيع تحمُّلها مع أطفالها، أحضِرْها لي في الزيارة القادمة .. أرجوك» وتبكي.

تحدَّث بقلبٍ مُثقلٍ: «هل أحببتِها أكثر مني أنا وأختي؟».

نظرت له بعتبٍ: «ماذا تقول إلياس؟ هل جننتَ؟ هي طفلة صغيرة!».

ابتسم بحزنٍ: «حتى نحن كنَّا أطفالًا .. آه الماضي لن يتصلَّح ولو مضى عمرك في محاولتك لتغيير حياتك ستعودين لفعل نفس الخطأ، تخلَّيتي عنها مرة أخرى، ظننتِ أن تخبُّطاتِك مؤخَّرًا في تغير موقفك لنا ومساعدتنا ستُنقِذ طفلتك التي تحملينها، ولكن الوقت يعود مرة أخرى ليقتصَّ منك لكل أخطائك، لن يكون هناك زيارة أخرى؛ لذلك اقْضِي سنوات حبسك بهدوء، وفكِّري بذنوبك جيدًا».

بكتْ وهي ترى عزمَه لأول مرة يكون بهذه الجدية: «إلياس لن تتخلَّى عني، إلياس أرجوك».

نظر لها: «أنا ابنك في النهاية، وكما قيل: لا تسقط الثمرة بعيدًا عن الشجرة .. لديَّ سؤالٌ واحدٌ فقط لم أَجِدْ له جوابًا طوال تلك الأعوام الماضية: هل كان والدي سيئ المعشر؟ أم هل كنتِ لا تريدينه من الأساس ووجدتِ تلك المحنة فرصةً للتخلُّص منا ؟»

حدقت للأسفل: «لم يكن والدك سيئ أبدًا، وكان طيب القلب ليّن الجانب، ولكن عندما يعلم الشخص الثاني بمدى حبّك له يبدأ استغلاله لك، وهذا ما حدث معي، لقد أحببت نوفل كثيرًا، ولكن اختفى في أحد الأيام ووصلني خبرٌ أنه سيتزوج، ونكايةً به استعجلتُ زواجي من والدك الذي كنتُ على وشك رفضِه، عاد نوفل بعد عامٍ من زواجي، وبسبب انشغال والدك عني بالعمل، كنتُ حزينة، واعتقدت أن سعادتي ستكون مع نوفل ليس معه، وعندها كنتُ على وشك إنجابكما، استمرَّت الأيام حتى ضقتُ ذرعًا من انشغال والدكما وعنايته المبالَغ فيها آنذاك بـألكاي، والذي زرع نوفل بمخيَّلتي أنه سيتخلَّى عنا لا محالة، وذات يومٍ طلبتُ الطلاق من والدك، الذي لم يتردَّد بالموافقة؛ ممَّا زاد اقتناعي بفكرة أنه بالفعل لا يريدنا».

نظر لها بيأس: «هل ندمتِ على قرارك يومًا؟».

تحدَّثتْ وصوتُها يتحشرج: «كلُّ يومٍ عشتُه بعد ذلك كان ندمًا، ولكن كنتُ أعلم بعزَّة النفس لوالدك، لن يقبل بي مرةً أخرى، مهما حدث».

تقدَّم للمغادرة: «لكن لم تحاولي أبدًا، وذهب».

غادر إلياس وصدرُه يفيض من الضغط النفسي، أغلق باب سيارته وهو يصرخ: ويلكم .. كل شي أمامه، حتى أحنى رأسه وهو يتنفس بقوة، رن هاتفه ليجيب: «أهلًا! أجل .. أنا إلياس .. ماذا هناك؟ آه حسنًا، سآتي إليك جهّزيها».

أرسل لوالده، واتجه نحو وجهته، رنَّ جرس باب أم ورد، تلك الجارة الطاعنة بالسن، فتحت الباب فتاة ذاتُ شعرٍ ذهبي لامعٍ، وهي تُزيح الخصل عن وجهها: «أهلًا، إلياس؟ صحيح!».
هزَّ رأسه وتقدَّم ليدخل ويَجِدَ أخته الصغيره تبكي ولا تتقبل أيَّ شي، وقف بدهشة، وهي تضعها بين يديه، ويشدُّها إليه لكي لا تسقط لحركتها المستمرة أثناء البكاء، حدَّق بعينيها البندقية، وهي تتشبَّث بمعطفه وتبكي، تحدَّث وهو ينظر للمرأة وهي تُغلِق حقيبتها وتجمع مستلزماتها الأخرى: «هل تتألم؟ لماذا تبكي؟».

أعطت المرأه الفتاة مقعد الأطفال الصغير والحقائب: «لا، هي بخير فقط، تريد والدتها، هذه احتياجاتها، أخذتُها من منزل والدتك اليوم، ستذهب ورد لتضَعَها بسيارتك، وتُثبِّت لك مقعد الطفلة بالخلف، وقُدْ بحذرٍ».

تحدَّث بضيقٍ: «ماذا أفعل بها؟ أين؟ كيف؟!».

ابتسمتْ بحنية: «اعتنِ بها، ليس لها سواك! آاه من والدتك، أتمنى أن تستقيم، كم مدة حكمُها يا بني؟».

إلياس بأسَى: «لم يتمَّ الحكم بعدُ، ولكن ربما عامٌ إلى عامين ... شكرًا لك سيدتي على كلِّ شيء» وهو يُخرِج مظروفًا، ويمدُّه لها، ورُغم رفضِها إلا أنه دسَّه بيدِها عَنوةً، وغادر يعلم أنها امرأةٌ محتاجة، منزلها المتهالك .. ووحيدة بعد موت زوجها .. يسمعها قبل مغادرته تُتَمْتِم بالدعوات له.

توقَّف أمام منزله، وهو ينظر لساعتِه تخطَّت الحادية عشرة مساء، زفر وهو يترجَّل ويفتح الباب الخلفي ليأخذ جمان النائمة ويحمل الحقائب على كتفه ويُغلِق الباب بقدَمِه، ويتقدم فتح باب المنزل، ويتوجَّه للداخل ليقترب منه والده وهو يعقد حاجبَه باستنكار ولكن ابتسم وهو يقول بمرح: «مرحبًا يا صغيرة».

إلياس وهو يتقدم لغرفة والده المفتوحة، ويضع جمان على السرير، ثم ينزل الحقائب بتعب: «لاا يبدو أنها اكتفت من النوم في الطريق، كانت عيناها متسعتين بنشاط وتتبسم له» وقام بحملها مرة أخرى، وهو يقول: «سأضعها بالأعلى، وأعود لأخذ الحقائب».

أشار برأسه وهو يقول: «انتبه؛ لكي لا تسقط من على السرير، هل ستعتني بها إذًا؟».

إلياس وهو يتنهد: «لا حلَّ لديَّ أبي، لن أتركها وحيدة، أتمنى أن تدعني أنام، أنا مرهق جدًّا».

وضعها على السرير بغرفته، ووضع خلفها وسادة لكي لا تسقط، وذهب ليستحمَّ وبعد خروجه أغلق الضوء واقترب ليدخل بجوارها لينام بعُمقٍ، ثم استيقظ بفزعٍ عندما ارتفع صوتُ بكائها بعد سكون الحركة من حولها.

رفع رأسه وزحف يضيء فانوسًا صغيرًا وضعه على كومدينته وهو يحدِّق فيها بنوم: «ماذا؟ أريد النوم أرجوكِ» حاول إسكاتها، ولكن لا جدوى، خرج من الغرفة وهو يرى غرفة أندريس لا تزال مُضاءة، طرق الباب، ويدخل وهي لا تزال تبكي.

وقف أندريس، وهو يضع الكتاب الذي كان يقرؤه جانبًا، ويخلع نظارته ويضعها فوق الكتاب: «ماذا هناك إلياس؟!».

إلياس وهو يمدُّها نحوه بتعب: «أبي أرجوك خذْها قليلًا، سأنام» وتقدَّم ليتمدَّد بالجهة الأخرى، وينام بسرير والده.

تجمَّد أندريس بمكانه، وهو يدرك تعب إلياس وإرهاقه، نظر مرة أخرى لجُمان التي يحملها، وهي تدلِّك عينيها ببكاءٍ شديدٍ، خرج من الغرفة، وهو يدور بها بالمكان، يشعر بألمٍ في قلبه مرَّ وقتٌ طويلٌ ليسمع صوت طفلٍ بالمنزل، ونفس الاسم، هذا كثير عليه حقًّا.

بعد بعض الوقت أرْختْ جمان تشبُّثَها بجيب بجامته، وأحنت رأسها على صدره وهي تغطُّ في نومٍ عميقٍ بعد بكائها السابق، يبدو أنها شعرت بالأمان، نظر لوجهِها الصغير، وسرح ينظر بها، لم يحملها مسبقًا، رفَّ قلبُه لها كثيرًا في كلِّ مرة ينطق اسمها، انزلقت دمعة من عينه لتسقُط على وجنة جمان التي هممت قليلًا.

عاد أدراجه بخفَّه، وهو يضعها بجوار إلياس، ويجلس على المقعد الجلدي القريب من السرير، وعادت به الذكريات لنفس المكان؛ حيث كان يُنوِّم إلياس وجمان بعد طلاق والدتهم، وهم بعمر الثانية، تأثَّر كثيرًا، بغُرفتِه، ويظلُّ يراقبهم طوال الليل.

لم يكن إلياس ينام بغرفته إلا بالأوقات الصعبة عليه، حتى بعد أن كَبُر كان يأتي لينام بجواره عندما يصعب عليه النوم بمفرده، تجمَّعت دموعه، مسَحَها عندما تحركت جمان قليلًا، فتح الحقيبه وأخذ احتياجاتها، وذهب ليصنع لها حليبًا دافئًا، علها تنام براحة.

أستيقظ إلياس في السادسه صباحًا ليَجِدَ جمان تغطُّ بنومٍ عميقٍ، وقنينة حليب الأطفال بجانبها فارغة، اقترب منها وهو يقبِّل وجنتها، تحرك بهدوء، ويخرج لكي لا يوقظها، وجد والده يتحدَّث مع ممرضة في مكتبه، قطَّب حاجبيه وهو يسمع حديثه: «أجل، أريدك فقط تعتني بالصغيرة، ويمكنك المغادرة الساعة السابعة مساءً، قد نكون بالخارج أغلب الوقت، أنا أثق بك».
دخل إلياس للمكتب وهو يبتسم: «أهلًا روز، كيف حالُك؟ وكيف حال أبنائك؟».

روز بفرحٍ وهي تلتفتُ نحوه: «إلياس مرحبًا، لقد كبُرتَ كثيرًا، أصبحتَ طبيبًا، صحيح! أنا بخير، وهم أيضًا، نحن نعيش ممتنِّين لوالدك طوال حياتنا».

إلياس يهز رأسه: «واجب والدي كطبيب، وحالَف الحظُّ ابنك، أهلًا بك، هل ستعتنين بجمان؟».

عقدتْ روز ناظرَيها، وهي تنظر نحو أندريس الواقف، ويتحدَّث عبر الهاتف الذي أغلقه، وهو ينظر نحوها: «اسمها جمان؟!!».

إلياس وهو يتنهَّد: «أجل اسمها جمان».

روز: «حسنًا، قد الطريق، أين الطفلة؟».

رنَّ الجرس، وخرجوا جميعًا، ليذهب أندريس ويفتحه ليُدخِل الموظفون الأثاث الجديد للصغيرة، التفتَ إلياس بعد أن توقَّف عن الدخول لغرفة والدة، وهو يحدق بالسرير الصغير الذي أدخلوه، والخزانة، والعربة المتحركة، وكرسي الطعام، ومختلف الأشياء، وقال: «أبي! هل قمتَ بطلب كلِّ هذا؟!».

أندريس، وهو يشير لهم للغرفة المجاوره بغرفته، ويفتح لهم الباب: «أجل، صدر حكم والدتِك هذا الصباح، وستبقى جمان ضيفتَك لعامين ونصف، وهذه مشترياتُك أنت لأختك».

لمعتْ عينا إلياس، كيف لوالدته أن تختار غيرَه وهو بهذه الحنية، كيف تبحث عن الحبِّ بعيدًا وهو يُغدِقُها اهتمامه، ما هو الحب إن لم يكنْ أفعالًا؟!

قطع حبل أفكاره بكاء جمان عندما استيقظت، تقدَّمت روز نحوها وهي تَحمِلها وتقوم بالبدء في رعايتها.

غادر أندريس للعمل، وطلب منه البقاء اليوم بالمنزل حتى يُنهوا ترتيب غرفة جمان، وتعتاد هي وروز المكان.

- بعد أيام -

استيقظ ألكاي وهو يشعر بتعبٍ بكافَّة أنحاء جسده، زحف من السرير واتَّجه لغسل وجهه، عاد ليجلس وهو يسحب هاتفه، صُعِق لرؤيته الساعة: العاشرة صباحًا؟!!!

ماذا يحدث؟ تخطَّى السادسة، وجد عدة اتصالات ولم يكن لها بينهم أيُّ اتصالٍ طوال الأسبوع الماضي.

قام بسحب حقيبته، وأخذ له ملابس من خزانته، وتوجَّه للأسفل، التقى بوالِدِه الذي اتجه نظره نحو الحقيبة التي كان يجرُّها: «صباح الخير، هل أنت بخير؟ وجهك شاحب!».

- أنا بخير ... هل أنتم مستعدُّون للسفر غدًا؟
ليمان: «أجل، هم متحمِّسون بشدَّه، لمَ لا ترافقنا أنت وزوجتك؟».

ألكاي: «لا، هذا وقتكم أنتم، وأيضًا نحن سنذهب أيضًا بعد مدة».

خرج وهو يضع حقيبته في سيارته، ووالده يقف بالقرب منه، عاد لوالده لتوديعه: «رافقتكم السلامة».
تردد ليمان قبل سؤاله: «ألكاي هل .. لا عليك ... اذهب بطريقك».

نظر لوالده وهو يتوقع سؤاله: «تريد السؤال عن روف صحيح؟».
ليمان وهو يحك ذقنه: «أجل، أقصد أنت هنا من أسبوع .. لاااأعني أنني منزعج منك .. أقصد: لمَ ليست معك؟ لم يمضِ وقتٌ طويلٌ لزواجكم؟».

ابتسم ألكاي: «أعلم أعلم أنك فقط قلق، لاعليك، نحن بخير، هي تعلم أنني كنت أودُّ البقاء لديك قبل سفرك، ونحن الآن نبحث عن منزلٍ جديدٍ لنا».

تبسم ليمان مطمئنًّا: «آه، هذا جيد .. قُدْ بحذرٍ إذًا».

توقف ألكاي عن القياده بمنتصف الطريق، وهو يفكر أين يذهب؟ حتى قطع اتصال إلياس أفكاره وأجاب: «أهلًا إلياس».
إلياس وصوته مرتبك بشدَّة: «ألكاي، أين أنت؟ هل أنت بجوار روف...» قطع ألكاي حديثه: «ماذا تقصد؟ ما الذي حدث لروف؟ تحدَّث!».

إلياس أغمض عينيه، عَلِم أنه ليس معها: «ألكاي، أسمعني جيدًا، راين اختفى قبل يومين عندما نقلوه من مركز الاحتجاز إلى مركز التحقيق، تستَّرت الشرطة على اختفائه بسبب تقصيرهم، وظنًّا منهم أنهم سيجدونه، ولكن اليوم عمَّموا البحث عنه، وأخشى أن يتوجَّه لروف! يعرف العنوان صحيح؟».

ألكاي، وهو يضرب جبينه، ويقطِّب بيديه على شعره، ثم يلكم المقود أمامه، ثم أداره بسرعة بعد فتحه للموقع الذي أضافه موخرًا للمواقع الرئيسية في السيارة، واتَّجه متبعًا الإحداثيات».

توقف أسفل المجمع، وهو يسرع بمشيه ودقَّات طبلٍ صغيرة بدأت في العزف بقلبه.

في الممرّ، يسرع بمشيه وهو يرى شخصًا يحمل باقة وردٍ أمام باب الشقة، ويرتدي قبعة، تقدَّم منه وهو يسحبه تجاهه، ثم أفلته وهو يدفعه قليلًا، ويسحب شاشه قفل الباب، ويدخل الرمز، ولكن لم يقبل، انعقدت حواجبُه وهو يعيد المحاولة، ولكن لم يفتح، بحث عن المفتاح الصغير للطوارئ بجَيبه وأخرجه، ولكن لم يفتح، زَفَرَ وهو يرنُّ الجرس، وقد بدأ تنفُّسُه بالاضطراب، ولكن لم يُطِل حتى فتح الباب، ويخرج شخصٌ منزعجٌ بسبب الإزعاج، دفعه بقوَّة وهو يضغط بساعده أسفل عنقه، ويتحدَّث وعيناه متسعتين، وقد اشتدَّت عروق رقبته وبرزت: «من أنت؟ أين روف؟ تحدَّث .. من أرسلك؟».

30. عالم متحرك

بدأ الرجل بالمقاومة، وهو يشعر بالاختناق بسبب ألكاي، الذي فقد صوابه وإدراكه، تدخَّل رجل التوصيل ليدفعه عنه، ثم أكمل ألكاي للداخل، وهو ينادي باسمها بصوتٍ مرتجفٍ، توقَّفت قدماه بمنتصف الصالة، هناك اختلاف! كلُّ شيء مختلفٌ تمامًا، عاد للخروج لينظر للرقم ويُقارِنُه بالصوره التي سبق والتقطها.

تحدَّث الرجل بتعبٍ: «هل تبحث عن أحد؟ لقد انتقلت هنا قبل ثلاثه أيام بعد خروج المستأجر، حتى إنه تخلَّى عن باقي الأجرالمدفوع مسبقًا».

عقد حواجبه، وهو يرفع هاتفه ويتصل على رقمها، ولكن للأسف لا تجيب، ثم بعد الكثير من المكالمات أُغلِق الهاتف.
بدأ يفكر وقد شحب وجهه، وهو يُمسِك بجانبي رأسه وينحني، ثم يرفع نفسَه، يحاول أكبر قدرٍ من النَّفَس، ثم ذهب يمشي وهو يترنح، وعندما انتصف في نصف الممر بدأ المكان بالزغللة أمامه، لكن حدَّ نظره وهو يراه يركض نحوه، ومن سواه! إلياس سندُه بهذه الحياه، يُقسِم أنه لواختلفت الأرحام التي حملتهما فقد جُمِعَا برحم المعاناة في هذه الحياة، تنهَّد تنهيدة عميقة، وهو يُمسِك به ويومئ برأسه بتعبٍ: «ليست هنا إلياس! رحلت أو أنها بالفعل قد تعرضتْ ...» قاطعه إلياس وهم يشدُّ يدَه، ويمشي به نحو المصعد قبل أن يُغلَق: «لا لا لا، أمسكوا قبل قليلٍ براين، اتَّصلت بك ولم تُجِبْ».

نظر إليه، ارتعشت عيناه: «أيعني أنها بخير؟» وانزلق على أرضية المصعد وهو يقبض على صدره: «آااه ... أين هي إذًا؟ أووف ... أخرجني أرجوك، لا أستطيع التنفُّس ... أه ... ركضتُ كثيرًا .... آااه ... أريد التنفس».

إلياس سحبه ليقف، وهو يرى لونه بدأ بالتغيُّر، ومحاولته لتنظيم نفسه، فهو لايستطيع الركض كثيرًا.
وقف بالخارج، ويملأ صدره بالنسيم، وهو يتكئ على سيارته، ويشرب من القنينة التي مدها إلياس، رنَّ هاتفه بجيبه وأخرجه بسرعة: "ألكاي، روف بمنزلنا، خفتُ أن تقلق".

التفتَ على إلياس بعجلة: «هي ... قُدِ الطريق لبيت ... بييت ... -ويغمض عينيه- ... بيت ..... لا عليك ... إيفا أرسلت لنذهب نحوها».

إلياس: «آه ... بيت عمتي ماريا حسنًا ... تستطيع القيادة؟» هز رأسه، وكلُّ واحدٍ صعد سيارته، كان يعلم إلياس أنه اختلط عليه، يقصد منزل ماريا».

نزل بسرعة وهو يسرع بخطواته لتفتح له إيفا التي قلقت عندما لم يُجِبْ على رسالتها، وكانت تنتظره، تقدَّم وهو يراها تقف بمنتصف البهو، اتسعت عيناها وهو يحتضنها ويُحكِم يديه عليها، مدَّت يديها من خلفه، وهي تشير باستفهامٍ نحو إيفا التي تنظر بدهشة.
دخل إلياس، ونظر نحوهم وهو يهمس بالقرب من إيفا: «قلِقَ بشدَّة عليها، والدها هرب قبل أيام، ولم يجدها بالمنزل، كاد يفقد عقله».

إيفا تُقوِّس حاجبيها، وتغطي فمها بيدها، وبنفس الهمس: «آاااه .. هل أمسكوا به إذًا؟».
أجاب إلياس: «قبل رسالتك بدقائق».

روف وهي تشعر بضربات قلبه، أبعدتْه وهي تنظر لعينيه، ثم رفعت يدها لتلامس صدره: «ماذا حدث؟ هل تتألم؟!».

ظلَّ يُحدِّق بها، ثم تحدَّث وهو يشتِّت نظراته، وبصوت مرتفعٍ وغاضبٍ: «لِمَ لمْ تخبريني بذهابك؟ هاه ... لمااذا؟».

نظرتْ له ونطقتْ بحدَّة وتُخفِت صوتها قليلًا: «لا تصرخ وأنت من تركتني وحدي، لا يحقُّ لك الغضب الآن وتتظاهر بالقلق».

انسحبت إيفا وإلياس للخارج بعد أغلاق الباب.

وإلياس يتحدث: «هل غادرت والدتك؟».

إيفا: «أجل، غادرت، لذلك عندما قالت روف: إنها تريد المغادرة من المجمع لعدم اطمئنانها بعد غياب ألكاي عنها، وأنهم يبحثون عن منزلٍ آخر، عرضتُ عليها البقاء معي حتى عودة والدتي من القرية بعد شهر».

إلياس: «هذا جيد، ولكن انظري ماذا حدث له؟».

عند ألكاي وهو ينظر نحوها: «هه! أتظاهر بالقلق! آه حسنًا، لا أعلم ماذا حدث لك بالفعل؟ لمَ لا تتقبَّلين كل شيء أفعلُه وتشكِّكين به؟! أتريدين أن أخبرك -وقال بانفعال- : والدك هرب قبل يومين، ولم يُعلِنوا عنه، وعندما علمتُ اعتراني الجنون حقًّا، حاولت فتح الباب، وقد صور عقلي كافَّة التخيلات المُرعِبة حقًّا، حتى كدمات جسدِك، خشيتُ تَكرارَها، ولكن لا شي أسوأ عندما لم يفتح الرمز، وبعده يخرج أحدهم، كِدْتُ أن أسقط في المكان ... ظننتُ أنه بأسوأ الأحوال أعادك معه».

نظرتْ له بدهشة شديدة: «هرب؟! هل ... -وأغمضت عينيها- خفتَ أن يعود أبي وينتقم منَّا؟ ماذا حصل؟ هل أمسكوا به؟».

جلس بتعبٍ على كرسي قام بسحبه من طاولة الطعام القريبة من الجدار: «آه .. أجل، قبل دقائق من وصول رسالة إيفا، هاتفك لمَّا لمْ تردِّي إذًا ثُم أُغلِق؟».

حكَّت ذقنها، وقد أُحرِجتْ كثيرًا: «كنت غاضبةً قليلًا، ولم أجِبْ؛ حيث لم تتصل ولم ترسل لي طوال الأسبوع الماضي، ولا أعلم أين أنت، ولأنك تركتني بالرُّغم من أنني أنا المخطئة بحقِّك، ويجب عليَّ الاعتذار منك، ولكن لا أعلم ... انتظرتُ مبادرتَك».

نظر نحوها: «تريدين لي التنازل عن غضبي؟! لم أغضب، تفهَّمتُ موقفَك، وسعيتُ لكي لا يُحقَّق معك، وأبعدتك من الموضوع؛ حيث أثبتت كارتال حجة غيابك في ذلك التوقيت؛ أي أنا لم أتركك حقًّا، فقط ابتعدتُ لكي ترتاحي قليلًا، قربِي مُرهِقٌ لك مشاكلي كُثر.
أما لما تركتُ المنزل طوال الأسبوع: أخبرني والدي برغبته برحلة مع عائلته هذه العطلة لقضاء وقتٍ ممتع، أردتُ أن أبقى معه قبل سفره -وهو يعَضُّ على شفته- وعلى أملٍ أن يعرض عليَّ الذهاب معهم، وتحقَّقت، وأنا على وشك المغادرة، لم يسبق لي الانضمام معهم سوى على الطعام، والذي كان يعترض بحنجرتي بسبب حديث سونا .. آاه .. أبي ليس بخاطئ أبدًا، ولكن بسبب غيابي الكثير عنهم مع مرور الوقت اعتادوا غيابي أو اعتادوا كوني فردًا ينتمي اسمُه للعائلة فقط، بالرغم من رفض والدي لتغير حياته ببداية الأمر، إلا أنه تقبَّل مع الوقت، وهو المهم (التقبل)؛ مثلًا أصبح لديهم الكثير من المواضيع التي يتحدَّثون بها، أبي يعرف لوح الشوكلاتة المفضَّل لدى ليون والنوع الذي لا يحبُّه، ويعرف هواية أرون المفضَّله، والمواهب التي يمتلكها، والحلم الذي يسعى له، أنا فقط أشعر بالغربة معهم لا يتحدثون معي.

سواء ما يتعلق بالذكاء، والأمراض، والأشياء المشابهة لها، فقط لم يسألني أحدهم يومًا عن مشروبي الذي أحبُّه مثلًا، ولا طبقي الأفضل.
"طبيعه البشر روف الاعتياد، اعتادوا على غياب الموتى مهما بلغتْ منزلتهم ألَّا يعتادوا غياب الحي، وهو لا يشاركهم تفاصيل حياتهم".

روف نظرتْ للأسفل: «أنا آسفة حقًّا يا طورَ القمر».

ابتسم وهو يقول: «كم لبثنا لكي أسمع هذا؟!».

ابتسمتْ ثم رفعتْ رأسها للباب الذي فُتِح وإيفا تدخل من خلفها إلياس: «هذا يكفي، هل أزلتم الشوق؟».

إلياس يضربها بيده لتَصمُتَ وهو يبتسم.

إيفا وهي تبتعد عنه وتُشبّك يدها بذراع ألكاي، وهي تدفع روف بيدها الأخرى: «هي ... أنتِ ابتعدي هههه».

روف تبتسم وهي تصافح إلياس، الذي ألقى التحية عليها وهو يقترب منهم.

ذهبوا لغرفة الجلوس، وقفت إيفا: «سأجلب القهوة، من يريد. أم نتناول الغداء؟».

إلياس: «وقت الغداء الآن، دَعِي القهوة بعد ذلك».

إيفا تشير بعينها لروف: «هيا قومي بتوزيع الغداء الذي حضرته -وتنظر نحو ألكاي- اشكُرْني، أُعلِّم زوجتك الطبخ والأعمال المنزلية طوال سفر والدتي».

إلياس بتذكُّر: «آه .. أجل .. ألكاي والدك سيذهب غدًا، وإيفا ذهبت والدتها وأخواتها، لن تترك الفتيات لوحدهنَّ صحيح؟!».

ألكاي: «آه حسنًا لنرى .. هيا لنذهب للغداء، أنا جائع لم أتناول شيئًا حقًّا».

- على الغداء وهم يتحدَّثون -

قال ألكاي: «آه أتعلمون ماذا حدث معي اليوم؟ لم أستيقظ إلا العاشره صباحًا».

إلياس باستغراب: «حقًّا! أول مرة تحصل معك صحيح؟!».

ألكاي: «أجل، ربما بعد الحقنة الأخيرة!».

إيفا بحماس: «ألكاي، ابقَ معنا، سأقوم بتجهيز غرفة الضيوف، سأغير أغطية السرير، وأجهز الغرفة لكم».

- آه حسنًا ..... وأكملوا حديثهم.

أحضرت إيفا القهوة، وجلست وهي تنظر نحو إلياس: «إلياس هل نُكمِل مخطَّطنا ما رأيك؟».

وهو يتذكَّر: «آه .. أجل، لكن .. أنا ربما لن أستطيع».

إيفا بتسرُّع: «لن نذهب بدونك» ثم صمتتْ وهي ترى غمَّازته تتضح بعد ابتسامته: «اااا أعني: نحن خططنا سويًّا .. لمَ لن تستطيع الذهاب؟!».

ألكاي: «ماذا خططتم عليه إذًا؟ أخبرونا!».

إلياس: «إيفا كانت ستحجز لنا عربتي تخييم لمدة يومين، بالقرب من الشاطئ لأجلكم وحبِّكم الشديد للبحر، لا أعلم لمَ كلُّ هذا الحُبِّ له حقًّا؟!».

روف: «خطة جيدة جدًّا، إذًا لمَ لن تذهب؟! إيفا مُحِقَّة، لا نريد للفريق النقص».

إلياس وهو يتنهَّد: «تعلمون تمَّ الحكم على والدتي عامين ونصف، وزوجها عامين، ربما ثلاثه أعوام، جمان ليس لديها سواي، وهي الآن بمنزلنا، جهَّزنا لها غرفة، وأحضرنا الممرضة، تعرفونها! روز! تعتني بها حتى السابعة مساء، وتذهب».

روف التفَّتْ على ألكاي: «هل حكموا عليه أيضًا؟».

ألكاي: «ليس بعد، هناك شاهدٌ آخر، وهو السبب في ثبوت الأدلة عليه، وقد يصدر الحكم الأيام القادمة».

روف: «لا أحد هناك ذاك اليوم سواي أنا وحارسه فريدي!».

ألكاي: «أجل فريدي، وهو أيضًا لم يكن حارسًا فقط، بل ابن أخيه؛ أي نوفل!».

روف تضع يدها على شفتَيها بدهشةٍ وقالت بأسًى: «أتمنى لو كان أبي لم يفعل كلَّ ذلك، لكن عدالة خالق الكون "النفس بالنفس" لا شيء أستطيع فعله حقًّا!».

ربَّت ألكاي على يدها: «هذا قدره وقدرك».

وبعد بعض الوقت عادوا لحديثهم السابق.

ألكاي: «إذًا سنبقى، لن نذهب بدونك أبدًا».

اتفقو جميعًا على عدم الذَّهاب بدون إلياس ..
اتصلت إيفا على أندريس، والذي عندما أجاب التفُّوا عليها بدهشة.
أشارت لهم ليصمُتُوا؛ لانه على مكبر الصوت، وبصوتٍ ناعمٍ: «مرحبًا خالي الجميل، ذا الشعر الفضي الساحر، وتلك العينين الفاتنتين».

أندريس -وهو يضحك-: «هههههه ... ماذا تريدين؟! أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك الغزل .. أعلم .. ستطلبين شيئًا ما!».

وهي تستعيد صوتها وبسرعة: «آاااه، ما هذا أندريس ... أيها الجاحد ... لطالما كنتُ لطيفةً ورقيقةً جدًّا، وأقدرك وأحترمك وأهتم بك وأتغزل بشعرك الأشيب؛ لكي لا تحزن لأنك تقدمت بالعمر، ولم تعد شابًّا فاتنًا، ولا يوجد أحدٌ يتغزَّل بك سواي، والآن ..».
سحب الهاتف إلياس، وهو يرفعه للأعلى: «تنفَّسي .. هههه .. لم تتخلصي من تلك العادة!».
أخذتْ نفسًا وهم يضحكون بصوتٍ عالٍ حتى شاركهم أندريس الذي نطق بعد وقتٍ قصيرٍ: «أعِد الهاتف إلياس إليها، أكملي ماذا تريدين إذًا؟ لك كلُّ ما ترغبين به، هذا وعدٌ».

ابتسمت بطمأنينة: «آه .. هذا جيدٌ حسنًا» وانطلقت تُخبِرُه بخطَّتِهم وأن إلياس رفض الذهاب.

أندريس وهو يغلق الجهاز المحمول أمامه: «أمم .. كلُّ هذا لأجل إلياس، أنا أحسده حقًّا على هذا الاهتمام».

تورَّدتْ وجنتاها بخجلٍ وهي تعَضُّ شفتها، وتغلق واحدة من عينيها، وإلياس يكبح ابتسامته: «أعني حتى ألكاي وروف رفضوا الذهاب، أليس هذا صحيحًا تحدَّثوا... -وهي تقرب الهاتف لهم، ولكن لم يتحدثوا- ... هي ... أنتم ماذا تفعلون؟ قولوا كما قلتم قبل قليل ...»

ظلَّت تُحدِّق بوجوههم التي تخلُوا من أي ردة فعلٍ حتى انفجروا ضاحكين عليها ... وقفتْ وهي تقول وتدفع إلياس لوسط الغرفة: «خذوه ... هذا هو لكم ... اذهبوا ... أنا التي لن أذهب ...» وتخرج، ثم عادت وهي تأخذ هاتفها الذي رمتْه على الكنبه لتجده يرنُّ: «ماذا تريد أندريس؟ اسحب طلبي لم أعُدْ أهتمُّ بذهابه».

أندريس يضحك: «هههه ... لا لا خذيه .. هو تحت أمرك، أتعلمين؟! اعتبريه ملكك ...».
قاطعه صوت إلياس، وهو يقترب: «هي ... أنت ... ما الذي تحاول فعله؟».

روف وألكاي كانا يضحكان بشدَّة.
أندريس بصوتٍ ضاحكٍ: «أُعطِيك لابنه أختي المُدللَّه، كلُّ شيء لديها الآن سواك، تماشى مع الوضع بُنَيَّ ..... هيا أتمنى لكما رحلة ماتعة».

.....

31. تصالح المد والجزر

تفتح عينها وتَحُول بيدها بينها وبين أشعَّة الشمس: «آه .. هذا جميلٌ، كم الوقت؟ أوه الخامسة مساءً، هذا رائع»، وتلتفتُ على روف التي تتمدَّد على مقعدها أمام عربة التخييم الخاصَّة بهنَّ: «هل ندخل للبحر قليلًا ما رأيك؟».
روف تقف: «حسنًا .. هيا لنذهب».
كان يشاهد من بعيدٍ وهو يضحك من أصوات صراخهنَّ وضحكهنَّ أثناء رش الماء .. خرجتا بعد بعض الوقت، وغيَّرت كلُّ واحدة منهما لباسها، ذهبتْ روف تمشي قليلًا بمحاذاة الشاطئ.

إلياس يقدم لها قهوة، ويجلسون بالمقاعد الموضوعة بين العربات.
إيفا وهي تنظر لهم: «انظر ... هو يذهب إليها من بعيدٍ، هل تتوقَّع أن يتفقا؟».
إلياس: «هو بالفعل مُعجَبٌ بها كثيرًا، أتمنَّى أن يكون كلُّ شيء جميلًا».

اقترب وهو يمشي نحوها، كان شعرها يتطاير مع الهواء، فستانها الأبيض الواسع يسحب على الرمال خلفها، قال وهو قد أصبح أقرب: «ثوبك قام بتمسيح المكان!».

ابتسمتْ وهي تنظر لحبات الرمال التي التصقتْ به، ثم تقف بالقرب منه، وتلفتُ بوجهها نحو البحر كما يفعل هو: «لطالما حلمت بهذه اللحظة، ألَّا يلتصق بي سوى رمال الشاطئ، أتمنى أن تطول لحظاتي معه، وأن أشاهد الغروب معك .. أعني لتلافي آخر مرة».

ابتسم دون أن ينظر نحوها: «آه .. أجل ولكن [توخِّ الحذر من بعض الأمنيات] روف، [لن تكون الأمنيات دائمًا جميلة، ولن تكون الأحلام كلها مستحيلة]».

اقترب منهم شخصٌ يحمل كاميرا صغيرة: «هل تريدان صورة؟ ببضع نقودٍ!».

ابتسم ألكاي: «بتأكيدٍ، ألا تستحقُّ هذه الأميرة الفاتنة صورة مع غروب الشمس الذي تُحب»، واقترب ليضع يده خلف كتفِها، ابتسما للصورة، أخرجها، ثم قام بهزِّها قليلًا لتتضح الصورة، ومدَّها لهم.

أخذها ألكاي وشكَره وأعطاه نقودًا، صُعق وهو يقول: «هذا كثيرٌ على صورة سيدي».

ألكاي يبتسم وهو ينظر نحوها: «ليست أي صورة إنها استثنائية».

غادر المصور، واتجهوا بعد بعض الوقت نحو العربات التي تبعد مسافة ليست بالقليلة عن الشاطئ، وهم يرون الشمس بخيوطها الذهبية تنسحب بهدوء لتسمح لذلك القمر الزاحف من بعيد ليتوسَّط كبد السماء وينير الأرض بهدوئه المعتاد وحضوره المختلف لِيحدِّق به المشتاق ظنًّا أنه سينقل مشاعره لمن يُحب ويحدِّق به البائس ويشعر بالاسترخاء لمجرد رؤيته، والمتأمِّل يجد به عالمًا آخر.

بعد العشاء ظلُّوا يتحدَّثون عن مغامراتهم في الصغر، وروف مستمتعة بشدَّة تدرك أنَّ ألكاي شخصٌ مختلفٌ برُفقة إلياس وإيفا، هناك جانبٌ لا تراه منه سوى معهم؛ طمأنينة واسترخاء في حديثه.
ألكاي وهو يحدِّق بساعته، ثم يخفض يده ويَزفِر بخفَّة: «الساعة أوشكت على العاشرة»، روف تنظر للوقت وقالت: «هيا إلى النوم، ألكاي حان وقتُ نومه».

إيفا: «آه .. صحيح» وقف وهو يعترض على كلامهم: «لست طفلًا، سأذهب للنوم، أما أنتم فابقوا بقدر ما تريدون، سوف أوقظكم قبل الشروق!».

تمدَّد بمكانه وهو يشعر بالألم، لماذا لم يكن كالبقية؟! ينام كما يريد ويستيقظ متى ما أراد، زَفَر وهو يحدِّق بالنجوم من النافذة أمامه، ليدخل إلياس ويغلق الباب ويتمدَّد بالقرب منه.
ألكاي وهو يرفع رأسه، ويرى الفتيات يُغلِقْن عربتهنَّ: «لماذا تفرقتم؟».
إلياس يحدِّق بالنجوم، ويأخذ نفسًا عميقًا: «آاه ... هذا منعشٌ، النسيم ومشهد النجوم ساحرٌ جدًّا، لا أريد أن تحظى بهذه التجرِبه وحدَك، أيضًا الجميع يريد النوم قد استيقظنا مبكرًا للتجهيز للرحلة».

ويبتسم وهو يضطجع على جنبه وينظر نحو ألكاي: «أتذكُر عندما كنَّا صغارًا، عندما كان والدي يُغلِق إضاءة الغرفة لكي ترتاح بنومك، لكن لم يكن يأتيني النوم ببساطة، وأظل خائفًا ثم أُمسِك بيدك وأنت نائم، وأقول: لتنتقل موجاتك لي، ثم أنام بعد القليل من الوقت».

ابتسم ألكاي: «هل ظننت أنها الموجات حقًّا؟».

إلياس: «بالبداية، أجل، ولكن أيقنت بعد بعض الوقت أنه الأمان بقربك».

نظر له ألكاي، وهو يمسح على خاتمه بأصبعه ليهتزَّ قليلًا، ويشعر به ليبدأ التسجيل: «إلياس، ما هو أكثر شيء تتمنَّى الحصول عليه من طفولتك وإلى الآن؟».

ابتسم إلياس: «هل خاتمك هو المارد لتحقيق الأمنيات ... ههه أممم».
أكثر شيء أريده أريد سيارة رياضية نادرة جدًّا، لا يتوفر منها سوى خمس نسخٍ بالعالم ... تخيَّل ... ههه».

ألكاي وهو يحاول التركيز بسبب أنَّ النوم قد بدأ يسيطر عليه: «واااو ... تليق بك حقًّا؛ لأنه لا يتوفر بالعالم منك إلا نسخة واحدة! لنجمع النوادر، ما اسمها إذًا؟».

إلياس: «هههه ... أخشى أن يُحقِّق ماردك أمنيتي ... هههههه ... اسمها (باجاني هوايرا إيمولا) اللون الأسود، تأكَّد منه ... هههه ... لن أقبلها إن لم تكن سوداء؟! - وارتفع ضحكه، ثم التفتَ على ألكاي، وقد غطَّ بالفعل في النوم- هي .. أنت ... يا مارد الأمنيات ...هههههه».

كانت روف تنظر بالسقف بشرود.
تحدثت إيفا: «أتعلمين روف؟! لم أكن أعتقد يومًا أن يثق ألكاي بأحدٍ ما».
روف: «ماذا تقصدين؟».
إيفا: «أقصدك بالتأكيد، لطالما كان ألكاي منغلقًا على نفسه، سوى مع إلياس وأندريس، وهو معه الحقُّ! تعرَّض للكثير من الخداع من قِبَل حتى الأطباء، ما زلت أذكر مرَّة مَرِضَ بها أندريس كثيرًا، ولم يكن يستطيع القيام بمهامِّه، وبعدها تعرَّض لنوبة، وهو كان يزور والدتي.
لم يعرف إلياس ماذا يفعل، كان صغيرًا آنذاك، عمره (17)، بكاء كثيرًا، وخافت أمي بشدَّة، ثم طلب إلياس من طبيبٍ كان يثِقُ به ألكاي كثيرًا، وقد أخبره إلياس أنها فقط حُمَّى شديدة، سببت له الإغماء، ولكن قام بتصويره خلسة، وكتب تقريرًا كاملًا عن حالته، وأنها ليست بسبب الحمى، ويحتمل أن تكون نوبةً، وبعدها كان يُهدِّد أندريس بتقديمها بالمؤتمرات الطبية، ومقابل صمتِه فعل أندريس الكثير؛ لذلك كان ألكاي قليل

الثقة بمن حوله، حتى معلِّميه بالمدرسة، كانوا يضغطون كثيرًا عليه، حتى أصبحوا يجعلونه يكتب الأسئله التي يستخدمونها بعد قراءه الكتب الدراسيه، والكثير جدًّا!».

روف حدَّقت قليلًا: «أتعلمين؟ لا يزال يمتلك في عينيه القليل من التردُّد والقلق مما حوله! وأنا لا أراه مخطئًا أبدًا، أُومِن أنه عندما تُرخِي دفاعاتك تأتيك الضربة على غفلة منك من مكانٍ لم تتوقعْه أبدًا».

إيفا: «واااه .. حقًّا أنتما متوافقان متماثلان بالتفكير والرغبات؛ كحب البحر المشترك مثلًا».

روف تبتسم وهي تتنهَّد: «أتعلمين لماذا نحبُّ البحر أنا وطور القمر؟!».

- لماذا؟ نحن نشبهه كثيرًا.

"تراه راكدًا صافي اللون وزاهيًا، بينما يجتمع الكون بداخله: المفترس والفريسة، الحطام والآثار، اللولو والمرجان، صامت من الخارج وصاخب من الداخل، تظنُّه شفافًا ولكنه شديد الظلمة وكَدِر الطعم، يموج تارةً بهدوء، وكأنه لا يأبه للعالَم من حوله، ويثور تارةً حتى لا يتحمَّل بعضًا من قطع الخشب ليَلتهِمَها داخلَه، يستمع بلا مللٍ، حافظ الأسرار الأول لكلِّ البؤساء، وجهٌ مألوفٌ وعمقٌ مرعب.
هكذا نحن لا نحتمل الثقة المطلقة، نخشى الغرق في كلِّ لحظة، وكما حال الأمواج فهي التعبير عن حالته، نحن نموج ونتوقَّف كما يفعل، لكن بالرُّغم من ذلك نعلم أنه لا أمان له».

- أووووه أحسنتِ التعبير حقًّا، عنكم وصف دقيق وجميل.

.....

استيقظ وهو يتصبَّب جبينه، ويشعر بالدَّوَّار الشديد، فتح عينه ثم أغلقها، أوه .. الشمس ساطعة في وجهه، يبدوا أنها سببُ دواره أيضًا.
نظر لمعصمه: «أوه .. الساعه التاسعه! ماذا يحدث؟ هل فوَّتُّ الشروق، أتمنى أن يكونوا استيقظوا»، التفتَ ليجد إلياس لا يزال نائمًا.

وقف وهو يخرج ليطلَّ من نافذة العربة الأخرى، لكن الستارة مسدلة، حاول فتح الباب لكنه مغلقٌ، علم أنهما لا تزالان نائمتين.

حضَّر الإفطار البسيط وأيقظهم، إلياس وهو يحاول فتح عينه بسبب الشمس: «هل فاتكم الشروق الذي تتوقُون له؟ ههه».

إيفا -وهي تشرب كوب الشاي الساخن-: «لتكتفوا بالغروب في الوقت الراهن، اتفقنا؟ هيا لنتناول الطعام».

نظر ألكاي إلى إيفا: «إيفا، ما هو الشيء الذي تتمنّين الحصول عليه حتى ولو كان من أمنيات الصغر؟!».

إلياس يبتسم: «امسح على المارد ... هههه ... حقًّا لمَ تسأل؟».

ألكاي: «ههه .. -وهو يمسح الخاتم- لقد مسحت المارد، انتابني الفضول عن أحلامكم يا رفاق فقط، فكِّري روف أيضًا سيأتيك نفس السؤال».

إيفا بتفكير، وهي تزمُّ شفتَيها: «أممم .. ههه ... لطالما أردتُ فستان تلك الأميرة من الحكايات الخرافية»، وتريهم الصورة، تعرفون الشخصية جميعًا؟ صحيح؟!» هَزُّوا رؤوسهم إيجابًا.

التفتَ على روف، يريدها أن تتحدَّث، قالت بضحك: «ما أريده لا يمكن أن يتحقَّق الآن لو مسحت ماردك ... ههه -نظر بتركيز- ذات يومٍ ربما بعد (7) أعوام أو ثمانية أودُّ إقامه معرضٍ خاصٍّ لي، وأعرِضُ به رسوماتي التي سأطورها».

إيفا تُصفِّق : «أووووه ... هذا الهدف الجميل حقًّا، لكن لمَ بعد سبعة أعوام؟».

ابتسمت روف: «ربما يكون وقتها تغيَّر الكثير».

تحدث إلياس: «وأنت ماذا تتمنى؟».
ركزوا الثلاثة نحوه.

ألكاي ابتسم: «أن أُحقِّق أمانيَكم!».
ارتفعت ضحكاتهم على هدفه، حتى شاركهم الضحك.

عادوا لمنزلهم، لم يبقوا ليومٍ آخر بسبب إلياس، يعلم أن والده لديه الكثير من العمل.

32. لابقيت تحت رحمة الانتظار

مرَّت الأيام سريعة، دون إدراكٍ منهم، كلٌّ يغوص في تفاصيل حياته.
لا يزال ألكاي يعاني من لخبطة بنومه، وبعض الأعراض الأخرى المصاحبة.

استيقظ إلياس على رنين هاتفه الصاخب، فتح عينه بتعبٍ؛ جمان لم تنم الليلة الماضية جيدًا وقد بقي معها: «ألكاي؟ ماذا هناك؟ لا ... اصعد للأعلى .. لا أستطيع الخروج أرجوك، أنا متعب، ألم تنَمِ اليوم كالعادة؟! -أبعد الهاتف قليلًا بسبب صراخه- حسنًا حسنًا ... سآتي».

ارتدى البلوفر على البجامة، ونزل للأسفل، واجهه أندريس المستيقظ: «ماذا يريد ألكاي؟».
إلياس يرفع كتفيه، ويتقدَّم ليفتح الباب، لكن سرعان ما عاد ليُغلِقَه بدهشةٍ، ثم فتحه وأغلقه، وهو يسمع ضحكات ألكاي.
اقترب أندريس وهو يدفعه للخارج، ويُدهَش هو أيضًا بدَورِه، تقف بالخارج سيارة (باجاني هوايرا إيمولا) سوداء اللون، فُتحت أبوابُها للأعلى!!!!!
اقتربَ هناك .... معزوفة لطيفة تعمل بالسيارة، رمى ألكاي عليه المفتاحَ ليلتقِطَه بسرعة خوفًا أن يسقط! يُحدِّق بالمفتاح وبالسيارة بدهشة حقيقية، نظر نحوه ألكاي وهو يشير بيده التي بها الخاتم: «لا تستخفَّ بالمارد مرةً أخرى، قُدْها بحذَرٍ، أحبُّ لقاء الجبابرة ... هههه».

إلياس: «هذا الصباح الذي يتمناه الجميع حقًّا»، وهو يقترب منه ليحتضِنَه: «متى استطعت جلبها؟! هي نادرة!».

ألكاي -وهو يبتسم-: «لا تضاهيك بالنُّدرة كما قلتُ، أما كم استغرقت؟ شهرين على ما أعتقد بعد حديثنا، لا أعتقد أكملت ثلاثة أشهرٍ لتكون أمامك»، تحدَّث وهو يشعر بالتعب بقدميه التي لم تَعُد تستطيع أن تحمِلَه عليها لوقتٍ طويلٍ .. «لنذهب جولة بها، قُدِ الطريق».

قطب أندريس حاجبيه وهو يرى ارتجاف فخذيه عند تحرُّكه لينزل من على الدَّرَج، وكيف اتَّكأ بسرعة على السيارة قليلًا، وهو يأخذ المزيد من الهواء.

نظر بتاريخ اليوم، وغمغم برأسه وهو يعود للداخل ويجري اتصالاته.

كانا يبتسمان بفرح وسعادة، التفتَ إلياس نحو ألكاي بابتسامة: «هي ... أنت ... هل أصبحت فقيرًا بسببي؟ ألا تخاف أن أتركك وحيدًا أيضًا لو غادرتُ برفقتِها؟! ههه .. ههه» قطع ضَحِكَه صراخُ ألكاي، ولم يمكث وهو يرى الزجاج يندفع نحوهم، وصوت عجلات السيارة الصاخب وهي تلتف بالمسااار، وقد فقد قائدها سيطرته بعد فقْدِه لوعيه والدماء تغطي رأسه، وهو يسمع صراخ ألكاي الذي يحاول إمساك المقود وينادِيه برجاء قبل أن يُغمِض عينَيه، ودمعُه شقَّت طريقها وسط الدماء!

كلُّ شيء حدث خلال دقائق، سكنت الحركة بعد ارتطامها بالجسر فقط، ينبعث الدخان والزجاج المتهشم على ركابها ولا حراك لهم.

فتح ألكاي عينيه ببطء، وهو يحدِّق أمامه حدَّ نظره، وهو يلتفتُ نحو إلياس بجواره، وقد استسلمت رقبته من حمل رأسه لينثني على كتفه، صرخ وهو يبعد حزام الأمان ويهز إلياس، وخرج بصعوبة وهو يرى يده تنزف، مشى بتعب وألم، وسقط كثيرًا ليصل له، ودَمِيتْ ركبتاه ليفتح الباب بجهه إلياس.

اقتربت الإسعافات والدوريات بعد تبليغ أحد المارة على الطريق المقابل.

أجاب أندريس على هاتفه: «أهلًا .. نعم هذا أنا .. ماذا تقول؟! هم ذهبوا قبل عشر دقائق .. ماذا تعني بـ ... يا .. أسمعني أنت مخطئ بالتأكيد .. هاه ...؟؟» سقط على ركبتيه وهو ينطق أسماء المصابين (ألكاي وإلياس) الذي أُدخِل وحده العناية المُشدَّدة بحالة خطيرة جدًّا .. ركض ودموعه تحجب رؤيته.

دخل وهو يلهث، ويسمع صوت صراخ من بداية دخوله المستشفى، ولكن اقترب وهو يراه يندفع ويُمسِك به المُسعفون وهو يصرخ ثم يستنجيهم: «أقسم أنَّ فصيلتي سالبة كما فصيلة أخي، أرجوك خذوا دمِي له»، ويصرخ عليهم بفقدانه لأعصابه وعجز وقلق.

اقترب وهو يلفُّه بسرعة ويصفعه بقوَّة ليلجمه، ويظل يحدِّق به قليلًا، ثم تهتز شفتاه وتتقوَّس، وعيناه تتلألأ من جديدٍ وهو ينطق: «أخبرهم أنني أستطيع إعطاءهم دمي، هو يحتاجني ... أرجوك أندريس».

أندريس وهو يتحدَّث مع الطبيب متجرِّعًا قلقَه وخوفه ليتكلَّم بثباتٍ متجاهلًا صراخه واستجداءه لهم: «أتعني أنه بحالة خطر ... لا أنا فصيلتي موجبة ..».

نظر إلى ألكاي الذي يُمسَك به اثنين من الممرضين وهو يجلس على الكرسي المتحرك، ويثبتونه بصعوبة، ولباسه ملطخ بالدماء، وجبينه به الكثير من الجروح، ويده التي لم تضمد حتى الآن، ويبدو أنه مصابٌ بأماكن مختلفة أخرى.

- لا، هو لا يحتمل عملية النقل، قلبُه مُتعبٌ جدًّا.

صرخ ألكاي وهو ينحني على ركبتَيه: «ويلكم -قلبه بقلق وحزن- لاااشأن لكم، القلب قلبي، والجسد جسدي، أفعل ما شئت، هو لم يتركني يومًا، أقسم أنه لن يكون الثاني الذي يموت بسببي ... آاااه آاااه» ويعجز عن التقاط النفس، وصدره في علوٍّ وانخفاضٍ، ويقف وهو يترنح، وساقاه ترتجفان: «أنا .. أنا معه ... لِمَ لمْ أصبْ؟! لمَ هو مَن تألَّم؟ ... هاااااه ... لمااااذا؟» يُمسِك أندريس وينفضه: «قلبي سيكون بخيرٍ إن أصبح هو بخير» ويشير بيده نحو باب العمليَّات «أقسم لك».

قام بلكْم رأسِه وشدِّ شعرِه، وهو يبكي كما لم يبكِ طوال حياته، مُترنِّحًا على الجدران، فأقدامُه أقسمتْ على خذلانه اليوم، وكأنه لم يركض بها يومًا، ولم تقُدْه إلى منزل إلياس منذ كانا بالصف الأول، أحملته اثنين وعشرين عامًا وتعجِزُ عن ساعتين؟!

استسلم أندريس ليتمَّ نقل دماء ألكاي لأخيه المصاب.

نزل الخبر كالصاعقة على بقيه العائلة؛ حيث أتوا ركْضًا بقلوبٍ خائفةٍ وعيون باكية، تقدَّمت روف منه وهو يقف على الجدار راميًا بحمله عليه، أمسكت يده، نظر لها ثم انحنى وهو يشدُّ عليها بصمتٍ، طوَّقت بيديها عليه وهي تمسح على ظهره وتبكي، ألمه كبيرٌ، إلياس هو من تأذَّى، ذلك الأخ الوفي الذي لم يتراجع يومًا عن التضحية لأجله مهما كان الثمن.
لأن "الوفاء هو تلك الأوقات التي تخلَّيت فيها عما تريد لأجل من تودُّ".
لم يتحدَّث، ولم يشرح، ولم يضمد جرحًا، النازف هنا قلبُه ما تلك إلا دماء لا تعني له شيئًا، اختارت أماكن تتدفق بها، هي لاتؤلمه وكأنها تثبت له أنه فقط كان بنفس الموقع مع ذلك الرجل الراقد على السرير الأبيض، والذي تغطِّيه الأجهزة والكثير من التوصيلات والمحاليل والأنابيب في تلك الغرفة الباردة التي لا يُسمَع فيها سوى صوت جهاز القلب الموصول بجسده لِيُخبِرَهم أنه على قيد الحياه ولم يتوقف عن التموُّج في شاشته، والذي يعبر عن طريقنا بالحياه مُعوجَّة الطرق!

روف تُجلِسَه على الكرسي المتحرك، وتجلس أمامه وتُمسِك يديه: «لِمَ لمْ تُضمِّد جروحك؟».

- أنا بخير حقًّا، أنتظر فقط أن يقوموا باستدعائي لإعطاء الدم له.

- هل ستكون بخير؟! متأكد!

زَفِر وهو يرفع عينه للأعلى: «لم يحدث شيء وأنا معه، أيحدث لي وأنا أسعى لمساعدته؟!
تقدَّم الممرِّض وهو يستدعيه، وقفت روف لتقود العربة، حاول الوقوف ولكن ثبَّتته وهي تضغط على كتفيه ليجلس.
اقتربت من الغرفة، بدأت رؤيتها بالزغللة، دفعتْه للداخل، وقالت بهدوء له بعدما نظر لها: «لا أحتمل منظر سحب الدم، سأكون بالخارج هنا».
دخل واختفى خلف الباب لتتوقَّف ممرضة بجوارها تحمل بعض المستلزمات: «هل أنتِ بخير؟».
هزَّت رأسها بالرفض قبل أن تتهاوى من طولها لو لم تُمسِكها الممرضة التي أسقطت السلة التي تحملها وتشدُّ عليها، وتستدعي ممرضة أخرى لنقلها للطوارئ.

مرَّ الوقت ليخرج ألكاي برفقة أحد الممرضين، يدفعون كرسيَّه ليتلفَّت حوله ولم يجِدْها.

تقدَّمت منه نفس الممرضة وقالت: «أستاذ .. لا تقلق زوجتك بخير، هي الآن في المعاينة».

قطب حاجبيه: «عن ماذا تتحدَّثين؟ روف؟! –وبتركيز- روف ماذاااا حدث لها؟».

الممرضه بربكة: «آه .. لا ... هي الآن بخير، فقدت وعيَها بعد دخولك أثناء انتظارها وهي رفضت مقاطعة عمليه نقل الدم، هل آخذك لها؟».
أشار برأسه راجيًا، وتقدَّمت لتقود كرسيه نحو قسم الطوارئ.

يدقِّق بنظره بالأسرَّة التي يمرُّ بها حتى توقَّف نظرُه وهو يرى أندريس يُربِّت على رأسها وهي لا تزال نائمة.

ألكاي بقلقٍ وهو يقترب منها: «أندريس ماذا حدث لها؟».
أندريس يتنهَّد وهو ينظر له: «أعتقد أنها انهارت، لكن سيأتي الطبيب ليخبرنا، قاموا بعمل التحاليل اللازمة، وننتظر النتائج» رفع رأسه وهو يرى الطبيب يقترب منهم.

تقدَّم الطبيب وهو يتفحص الأوراق معه، ثم رفع عينيه لهما: «من هو الوصي على المريضة؟».

تحدَّث ألكاي: «أنا زوجها، ماذا حدث لها؟ لمْ تشتكِ من قبلُ، وأيضًا لم تستيقظ بعدُ، لماذا؟».

ابتسم الطبيب بهدوء وهو ينظر لمظهره المتعب؛ الضمادات التي تغطي جبينه، ويده المضمَّدة والمرفوعة برباطٍ برقبته، وعلى كرسي متحرك: «إنها بخير، تحتاج أن تكون أنت بخيرٍ لتعتني بعائلتك وفردها الجديد الذي انضمَّ لكم، أعتقد أنها لم تعلم بالحمل حتى الآن، ينبغي أن تكثِّف العناية بنفسها وبالجنين حتى يستقرَّ نموُّه الطبيعي، سيتم حجز موعد لها في عيادة الأم والطفل، نتمنى لكم السلامة».

نظر بعدم تركيز، وهو يحدِّق بأندريس الذي تهلَّلت أساريره، وتقدَّم للطبيب يشكره ويسأله عن صحة الأم والطفل، ثم نقل نظره لها؛ وجهها شاحبٌ قليلًا، يبدو عليها التعب وهي نائمة.

لا يعلم كم من الوقت مرَّ عليه وهو يحدِّق بها، لا تزال تغطُّ بنومٍ هادئ.
طلب منه أندريس البقاء معها ليذهب ليطمئنَّ على إلياس.

رنَّ هاتفه ليجيب بسرعة: «أندريس؟ ماذا حدث؟».

أندريس يبتسم والدموع تداهمه: «حمدًا لله، استقرَّت حالته، وهو في تحسُّن، وقد يستيقظ بعد ساعات، آمُل ذلك، سأتمكن من رؤيته بعد قليل ألكاي، كيف حال روف هل أستيقظت؟!».

ألكاي -وهو يراها تُحرّك مقلتيها ببطء-: «آه .. حمدًا لله .. أندريس لقد أسعدتني كثيرًا، عندما تخرج تعال هنا لأذهب له ... روف ... أجل ... أجل ... هي الآن تستيقظ على ما أعتقد ... آه ... حسنًا ... سأتحدث معك ... الطبيب قادم».

حرك عجلات الكرسي بيده الأخرى بصعوبة ليقترب منها بعدما قام الطبيب بمعاينتها وطمأنه أنها مستيقظة وفي حالٍ جيدة.

فتحت عينيها وهي تلتفتُ برأسها نحوه، عندما ناداها وهو يسألها (هل هي بخير؟)
قالت -وهي تُبلِّل حنجرتها-: «إلياس كيف أصبح؟».
- هو بخير، بدأتْ حالته بالاستقرار، والساعات القادمه سيستيقظ .. أنتِ هل أصبحتِ أفضل؟

روف تغمض عينيها بطمأنينة: «أوه .. هذا جيد، حمدًا لله، أجل أنا أفضل، أنتَ بخيرٍ، وإلياس سيكون بخيرٍ ... -وأكملت وهي تأخذ نفسًا عميقًا- أاووه ... أشعر بالطمأنينة حقًّا».

فُتح الباب، وهي تتقدَّم من خلفه طبيبة، وتجرُّ إحدى الممرضات جهاز الأشعَّة الصغير: «مرحبًا، هل استيقظتِ؟ كيف تشعرين؟ هل هناك ألم معيَّن؟».

روف تَنقُل بصرها بين ألكاي والطبيبة ثم الممرضة التي اقتربت منها بعربة الجهاز.
- أجل أنا بخير، لا ليس لديَّ ألم، ولكن ما هذا؟!
ابتسمت الطبيبة وهي تجلس على المقعد وتقترب من السرير وهي: «هل يمكنك الكشف عن منطقه الرحم لنطمئنَّ على طفلنا الصغير؟».

روف بدهشة وشعور غريب اعتراها، وهي تُزيح الجاكيت الخفيف وترفعه قليلًا!

التفَّت الطبيبة نحو ألكاي الذي يحدِّق في روف: «أيها الأب، ألم تُخطِّطوا للإنجاب قريبًا؟! ... أعني تبدو على كلاكما الدهشة ... هههه».

روف كادت تتحدَّث لو لم تلتفَّ بسرعة لترى الصوت الصادر من الشاشة الصغيرة - نبضات قلبه! أجل!
تجمعت دموعها وهي تلتفُّ على ألكاي الذي يقطب حاجبيه ويركِّز بالمشاهده، ونطق وهو لا يزال ينظر بتركيز: «أين هو؟ لا أستطيع رؤيته؟».
روف كانت تضحك وهي ترى الطبيبة أيضًا تضحك لنظراته الجادة بالبحث ثم تحدَّثت الطبيبة: «لا يزال صغير الحجم، الأم متعبة قليلًا، نموُّه بطيء، أكمل شهره الثالث قبل أيام»، وبدأت تسأل روف الكثير من الأسئلة.
وبعد انتهاء المعاينة أخرجت بطاقتي تصوير الأشعَّه ومدَّتها لهم: «كلُّ شيء على ما يُرام، الطفل ووالدته يمكنها المغادرة، وأنتظرك بعيادتي، ومرة أخرى أتمنى أن تكونوا بخير وصحة وسلامة دائمة».

بعد خروج الطبيبة روف تضحك من نظراته وهو يحدِّق بالصورة: «ههه ... ياا ألكاي، هذا هو؟!» وتضع أصبعها على شيء صغير بالصورة.
نطق باستنكارٍ، وحاجبه بدأت بالاسترخاء: «هل تعنين أنَّ ابني هو هذه الحبة الصغيرة؟!».

روف تنظر إليه، ثم نطقت وهي تُمسِك بيده الغير مُضمَّدة، والتي يُمسِك الصورة بها وتبتسم: «لمَ لا نعتبره مُحاق القمر، وننتظر دور اكتماله معًا؟!».

ابتسم قليلًا وهو يركز في حديثها: «آه .. تعنين أنه كالقمر، ومرحلته الآن محاق؟! أووه ... هذا جميل»، ثم صمت قليلًا، وشرد في التفكير، ثم أطلق تنهيدة وهو يحدِّث نفسه بصوت استطاعت سماعَه: «هل سأشهد طَورًا آخر له؟!».

عضَّت شفتها بحزنٍ داهمها؛ لإدراكها لتلك الحقيقة.

تحركتْ وهي تتحدَّث بابتسامة وتأخذ الصورة الأخرى وتضعها بحقيبتها: «هيا .. لنذهب لرؤيه إلياس».

وقف بصعوبة وهو يُدخِل الصورة بمعطفه.
نظرت نحوه: «أنت .. اجلس مكانك!».
كان سيرفض ذلك وهو يرى العكاز الذي طلبه، أوجعته يدُه، ثم عاد ليجلس وهو يَزفِر، دخلت الممرضة وهي تبتسم لروف: «أين تريدان الذَّهاب؟ سأرافقكم».

أحنى رأسه قليلًا، ثم رفعه وهو يقول: «قسم العناية المتوسطة - غرفة الانتظار».

اقتربوا وهم يرَون ماريا وإيفا وأندريس يجلسون على المقاعد.

وقفتْ ماريا وهي تحتضنه وتجهش بالبكاء، وتتحدث كثيرًا؛ تعبر عن خوفها وقلقها عليهم.
ثم تقدَّمت منه إيفا، وعيناها تورَّمت لكثرة بكائها، وتحتضنه برفقٍ لكي لا تؤلمه بيده: «أخي، حمدًا لله على سلامتك، قلقنا كثيرًا، خشيت حقًّا أنـ ...» ولَم تكمل حتى عادت تبكي من جديد.

مسح على ظهرها وهو يقول: «إيفا! ما هذا؟ هل أنتِ هكذا؟ أين إيفا القوية؟ أيضًا نحن بخيرٍ الآن، إلياس أيضًا سيصبح بخير، سيضحك عليك كثيرًا عندما أخبره ببكائك، حقًّا! هذا إن صدق كلامي».

إيفا: «ليضحك عليَّ لا أمانع! هل ستكونون بخير؟ هذا الأهم .. والدك سيأتي، نسينا إخباره مبكرًا».

اقترب أندريس وهو يُمسِك بيد روف ويجلسها على المقعد المقابل لهم بغرفة الانتظار التي يبقون بها وهو يهمس لها: «كيف أصبحتِ الآن؟».

روف تنظر له وهو قريب منها، ويهمس بحنان، شعَرت بغصَّة: «أنا بخير الآن، أتمنى أن يكون إلياس بخير أيضًا».

ابتسم بتفاؤل: «بالتأكيد، سيصبح بخير، يحتاج القليل من الوقت حتى يصبح أفضل».

.....
بعد أسبوعين على خروج إلياس من المشفى تأذَّت إحدى أوردة رقبته قليلًا بسبب الزجاج؛ ممَّا جعله يفقد الكثير من الدم، ضمدوا رأسه لوجود إصابه به.

دخلت روف الغرفة وهي تراه نائم، تجمَّعت دموعها، أصبح ينام كثيرًا وينسى مؤخرًا الكثير؛ ممَّا جعلها تحصل على صور لكافة العائلة، وكل يوم تسأله عما لا يزال يتعرَّف على الجميع، وتُذكِّره بمن لم يتعرَّف عليه اليوم منهم.

اقتربت وهي تُوقِظُه برفقٍ: «ألكاي ... هيا استيقظ ... ماريا تنتظرنا».

استيقظ وهو يحدِّق بها، زحف ليتكئ على مسند السرير خلفه، وهو يعيد تركيزه ويمسح وجهه بكلتا يديه، نظراته لها غريبة جدًّا عليها، أو جديدة بالأحرى.
نطقت بتردُّد وهي تبتلع غصتها: «هل عرفتني؟ أنا روف أنا ... أنا ...» ويرتفع صدرها ويهبط، وتنفسها يسرع، وتُقطِّب شفتيها للداخل بحزنٍ.
حقًّا لم يتعرف عليها، تعلم أنه سيتذكر ولو القليل بعدما تُريه صور العائلة والزفاف وغيره، ولكن لا تزال تتألَّم في كلِّ صباحٍ لا يتعرف على أحد أفراد عائلته الذين لطالما أحبَّهم أكثر من أي شيء آخر.

بعدما انتهت من تعريفه بهم، وتذكَّر القليل بالفعل، أخرجت صورة السونار وهي تضعها بيده: «هذا مُحاقنا الصغير، أنسيت أنك ستخبرهم به اليوم؟!».
وقفتْ وهي تلملم شتاتها، وتمسح وجهها، وهو يرفع عينيه لها بعدما تبسَّم للصورة الصغيرة: «سأضع مستحضرات التجميل خاصتي ... عيني كثيرة التورُّم هذه الأيام ... استعد لنذهب ... ماريا أقامت مأدبه لكما».

وقف وهو يقترب منها ويمسح براحة يديه أسفل عينيها المحمرَّة، ثم قبَّل جبينها: «أبكيت عينيك الجميلة كثيرًا .. أعتذر لكِ».

ابتسمت وهي تبتعد نحو المرآة: «لا، هذه هرمونات طبيعية، لستَ السبب ... بالتالي المسؤول هو الطفل ... ههه».

هزَّ رأسَه وهو يدخل لدورة المياه.

جلستْ وهي تحدِّق بوجهها بالمرآه، بدأت تغطي وجهها بدقَّة وأسفل عينيها، ولا تدمجه جيدًا، حتى تنزلق دموعها وتعود لمسح ما وضعت، وبعد محاولاتٍ انتهتْ وهي ترتدي لباسَها الهادئ، وتخرج لتُحضِر كوب قهوة له.

خرج بعد بعض الوقت وهو يرتِّب معطفه ويشدَّه عليه: «الطقس أصبح أبرد هذه الأيام ... ارتدي معطفك».

أشارت برأسها وهي تمدُّ إليه الكوب، وتأخذ المعطف من على الكنبة وترتديه.

نطق وهو يخفض الكوب من يده على الطاولة، وهي ترتجف ويدخلها بسرعة بمعطفه: «لندعوهم المرة القادمة، هم لم يرَوا منزلنا الجديد صحيح؟».

روف تتحدَّث بحماس رُغم رؤيتها له، ولكن لن تشعره أبدًا: «بالتأكيد، لنحصل أيضًا على بعض الهدايا منهم وهي تغمز له»، ابتسم وهو يتقدَّم منها: «هيا لنذهب».

بمنزل إلياس تقدَّمت المربية وهي تمدُّ جمان على أندريس ليحملها وتعطيه الحقيبة: «أعتذر منك، كنت حقًّا أودُّ مرافقتكما، ولكن لديَّ أمرٌ طارئ يتوجَّب عليَّ الذهاب».

أندريس يومئ برأسه: «لا لا، لا عليك، أنتِ لم تتركيها طوال بقائي مع إلياس بالمشفى، ولم تذهبي لمنزلك، نحن من ينبغي عليه الاعتذار والامتنان بالطبع».

بالطريق تحدَّث إلياس: «أبي، هل يتوجب على ألكاي الرحيل؟ أعلم أنَّ التجربة نجحتْ تقريبًا، ولكن لم ألاحظ عليه أعراضًا شديدةً، حتى أنه لم ينسانا .. ليبقى معنا أكثر».

أندريس وهو يتنهد: «أتعتقد أني أريد رحيله؟ لكن النقل اكتمل، عندما يستيقظ الطفل ووالده سيرحل ألكاي بالتأكيد، أما الأعراض فهي قد ظهرتْ إلياس، تترنح قدماه به كثيرًا، والكثير ممَّا لم نرَهْ، ولكن تعيش روف ألمه وحدَها، أعلم ذلك».

إلياس شعَر بغصَّة وهو يتذكَّر بقاءه على الكرسي المتحرّك تلك الأيام مُتحجِّجًا بقدمه.

أندريس تحدَّث وهو ينظر أمامه بالطريق: «أتعلم؟ أفكر أحيانًا: أيٌّ منهما كان هديةً للآخر؟! أي أنَّ ألكاي وجد شخصًا ليثق به غيرَك .. ههه .. شخصًا أنا أستطيع التأمين عليه برفقته، روف كانت تحتاج لعائلة لا تقتات على المصالح، تحتاج حنانًا عوضًا عن سنينها الصعاب، وأهمها الأمان النفسي».

إلياس ابتسم: «أجل .. ألكاي يستحقُّ الحب والثقة، وكذلك روف، خُلِقَا ليكونا رفيقين، أتمنى أن يكونا سعداء جدًّا».

عند ماريا كانت تتحدَّث مع ألكاي وروف وإيفا التي تشارك معهم الحديث،
فتحت الخادمة الباب ليدخل أندريس وإلياس، وقفوا يُلقُون التحية.
نطق ألكاي وهو يرى جمان بين يدين أندريس الذي وضعها بالعربة: «أوه .. من هذه الطفلة الجميلة؟».

لفَّت روف بسرعة وهي تعضُّ شفتَها، لم تمتلك صورةً لجمان، ولم تخبره عنها، تبلَّد وجه إلياس الواقف، وابتسم أندريس ليشتِّت صدمتهم: «جمان أخت إلياس من والدته، بالطبع أنت لم ترَها إلا وهي رضيعة صغيرة ... هه .. ألا تشبِهُه؟!».
انتبه ألكاي وهو يراهم ينظرون له جميعًا: «آه ... -ويحكُّ جبينَه بسبَّابته- آه ... أجل أصبحت فتاةً جميلةً»، ويُقبِّل خدَّها بلطف، ولكي يشتت الانتباه أخرج صورة السونار وهو يُكمِل: «سيصبح لديكم حفيدٌ جديدٌ، استعدُّوا له جيدًا».

أغمضت روف عينَيها وهي تُقطِّبها.

صمتوا قليلًا بدهشة، ثم طارت الصورة من يده بعدما التقطتها إيفا قبل أن يسحبها إلياس، وتبتعد عنه وتختفي خلف ألكاي، وهو يمدُّ يدَه نحوها، ثم صرخت عندما حاول أخذها: «ياااا ابن أخي ... ابتعد سأراه قليلًا ... هههه»، إلياس بغيظ: «هو ابن أخي أيضًا».

ماريا تسحبها منهما: «هي ... أنتما ... أين الطفل؟ ألن تنضجا عقليًّا؟!».
وهي تَزفِر وتجلس وتنظر لهما، وهما يجلسان بالجهة المقابلة، بعد جلوس الجميع: «إلياس اختلَّ رأسه الضعيف بعد ما حدث معه، وأنتِ؟!» وتحدِّق بهما، وهي تسمع إلياس يتذمَّر ضاحكًا: «عمتي!».

صرخوا عندما قبَّلتْها وهي تخبئها بحجْرِها، وهي تقول: «أنا الجدة هنا، الجميع سيأتي من بعدي».

ضحكوا بسعادة، وفرحوا كثيرًا، ولا سيَّما والده؛ حيث بكى بشدَّة وهو يحتضِنُه.

بعد العشاء اقترب إلياس وهو يزحف بالقرب من والده ويهمس: «أبي، أتراه يشرد كثيرًا؟! أعتقد أنه فقط ... أعني: هل يعرفنا حقًّا؟!».

أندريس بنفس الهمس، وهو ينظر نحو ألكاي الذي يحدِّق من النافذه للخارج بصمتٍ وشرودٍ: «يعرفنا، ولكن لا يتذكَّر: من نحن؟ صحيح!».

إلياس بسرعة: «أجل، هذا ما أقصده، وكأنه فقط يتعرَّف على وجوهنا فقط!».

أندريس يسحب تنفُّسًا عميقًا: «آه .. أجل، بدأ يشعر بغربة الذكريات إلياس»، ونظر لروف التي تَنقُل نظراتها نحو ألكاي، وتُكمِل حديثها مع ماريا: «هذه الفتاة تتحمَّل الكثير بجواره، والقادم سيكون أصعبَ عليهما».

شعر بغصَّة كبيرة، وقف وتقدَّم ليجلس بجواره، التفَّ عليه عندما انتبه له، كانت بعينه دمعة عالقة، أوجعت إلياس بقلبه كثيرًا، مسحها بسرعة وهو يقول: «آه .. هه .. حدَّقت حتى دمعتْ عيني ... آه ... هل أعطيتَ إيفا هديتها؟».

إلياس: «أجل -وهو يلتفتُ ويضحك- انظرها هي ترتديه».

التفُّوا .. ابتسم ألكاي بإعجاب: «واااو هذا جميلٌ .. هل أعجبكِ؟».

إيفا تقف بفستانها ذي اللون السماوي الساحر واللامع كما ترتديه أميرات الحكايات الخرافيه: «خلتُ أنني خرجت من قصر ساندريلا أو ربانزل، جميلٌ جدًّا ... شكرًا لك ألكاي بدأتُ أصدِّق المارد ... هههه».

أندريس ينظر نحو ابنه وهو يحدِّق بها بهدوء وابتسامة، ونطق وهو يحدِّث ماريا: «ماريا أختي، أعطيني السندريلا خاصَّتك للأمير خاصتي!».

اختنقت إيفا وهي تضع يدَها على شفتَيها بدهشة، وقد اتسعت عينا إلياس لدهشته، ولم تكن ماريا أقل دهشة حتى نطقت وهي تبتسم: «أعطيك أخي العزيز إذا لم ترفض السندريلا!».

نظروا نحوها جميعًا، والابتسامة ترتسم على وجوههم، التفَّتْ تنظر نحوهم حتى وصلت نظراتُها له، أمال رأسه وهو ينظر، وتقاربت حاجباه قليلًا بتركيزٍ، وهناك طيف ابتسامة يرتسم على وجهه، ينتظر جوابها، ثم صرختْ وهي تُمسِك بفستانها، وترفعه وتركض للطابق الثاني.

ضَحِكوا جميعًا، ردة فعلٍ غير مستغربة من إيفا، فهي لا تُفكِّر في أفعالها قبل تنفيذها، مرحُها المُحبَّب لقلوبهم، وثقتها بذاتها الجميلة، ممَّا عكس شخصيتها التي أدهشتهم مرَّاتٍ عديدةً.

فكَّ الجبيرة، وعاد يحرّك يده، وهو يتحدَّث مع الطبيب: «هذا جيدٌ، شكرًا لك».

الطبيب: «أجل، كان الأسبوعان الماضيان كافيين لمشكلتك، لتكن بخيرٍ دائمًا».

خرج وهو يفتح باب السائق، وبعد صعود روف بجواره نطقت: «أتريد أن أقود؟».

التفَّ لها: «ولماذا؟».

توتَّرت قليلًا: «سنذهب لوالدك و ... أعني ...» قاطع حديثها: «منزلي لن أنساه بسهولة، صحيح!» هزَّت رأسها بابتسامة، تعلم أنه حقًّا بدأ ينسى أكثر من ذي قبلُ، مرَّ الوقت وهو يذهب مع طرقٍ مختلفةٍ خاطئة، وروف لم تُعلِّق أبدًا رُغم معرفتها أنَّ كلَّ الطرق التي يسلكها ليست صحيحة، وبعد المحاولة الخامسة أمسكت يده التي على المقود بعدما توقَّف على جانب الطريق في محاولة تُذكِّره للطريق: «هذا يكفي ألكاي، لستُ على خطأ؛ ألم تتذكَّر الطريق؟! ترجَّل، سأقود الطريق».

نظر لها بغضبٍ وحزنٍ ويأسٍ، وهو يهزُّ رأسه بالنفي: «لا لا، لن أذهب إذًا ... لِمَ خذلني قلبي كما فعل عقلي؟! لِمَ لمْ يقُدْني حدْسُه للوجهة الصحيحة؟».
رنَّ هاتفه بشاشة السيارة باسم والده.
تردَّد في الردِّ حتى رنَّ للمرة الثانية، تنهَّد وهو يفتح الخط: «أهلًا أبي».

ليمان: «هل ستأتون للغداء؟ هو على وشك التقديم؟».

صمت ألكاي، ولكن تحدَّثت روف وهي تقول: «لا يا أبي، لن نستطيع اللَّحاق، طال قليلًا موعدُ المشفى ... آه ... وأيضًا نسيتَ أنَّ الليله لدينا اجتماع العائلة في منزلنا! كنا قد بدأنا بالدعوة ماريا، والبقية، وأردنا إخباركم عند قدومنا، ولكن الآن لا تنسوا القدوم، حسنًا، نحن خرجنا لتوِّنا، ولن نلحق بالوقت المناسب!».

ليمان: «آه .. حسنًا، إذًا نلتقي الليلة .. انتبهوا للطريق .. وداعًا».

نظر لها ألكاي قليلًا: «الليلة؟ لدينا ماذا؟».
ابتسمت: «أنت قلت: سندعوهم جميعًا، والليله مناسبة لنا، أنت أزلتَ الجبيرة، وتستطيع مساعدتي بأعمال المنزل وإعداد الطعام صحيح؟! سنلحق قبل المساء إذا كثَّفنا العمل ... هيا».

إلياس وهو يدخل مكتب أندريس: «أبي، هل أنت متفرغ؟».

أندريس يُخفِض نظَّاراته، ويُغلق الملف: «أجل، ماذا هناك؟!».

إلياس يومي بهاتفه: «ألكاي، دعانا الليلة لمنزله، أعني جميع أفراد العائلة».

أندريس يرفع هاتفه وهو يرى الرسالة من ألكاي: «أه .. أجل، هذا أفضل، لم نجتمع إلا قبل أسبوعين».

إلياس بحماس: «المرة القادمة لدينا، ما رأيك؟».

ابتسم أندريس: «ههه ... حسنًا ... وأنت من ستطهو».

روف وهي تُسرِع من حركتها لتحضير عددٍ أكثر من الأطباق، خرجت وهي لم تَعُدْ تسمع صوتَه بعد أن كان يُغنّي وهو يمسح النافذة، ويرتب قليلًا، قطّبت حاجبيها وهي تراه مُتمدِّدًا على الكنبة يغطُّ في النوم، اقتربت منه وهي تَلكُزُه بخفَّة: «ألكاي، استيقظ لدينا الكثير من العمل، اقترب الوقت لقدومهم .. هياا أرجوك».

استيقظ وهو يتعدَّل، ويمسح عينيه، ثم يصرخ بعدما كان يُمسِك بقطعة القماش، ولامست وجهه.
- هههههه، هذا عقابك، هيا انهض».
- وقف: «سأستحمُّ وأكمِل».

قطعت طريقه وهي تضع يدَها على خاصرتها: «حقًّا؟! تستحم لأجل هذا العمل البسيط، انْهِ البقيه ثم استحمَّ، هيا انظر لي، أنا أطبخ طوال الوقت، أستحقُّ الاستحمام أكثر منك، وتدفعه تُعيده للصالة، أكمل عزيزي عملك هيا».

ابتسم بضجرٍ، وهو ينظر لها: «لن يصدقوا إن علموا أنك تجعليننني أنظف المنزل، تبدَّدت شخصيتي القوية».

- شخصيتك! ماذا؟! الحياة مُشارَكة، أليس كذلك؟ هيا لا تُلهِنِي، وابتسمت وهي تراه يقوم بمسح الطاولات.

الساعة السابعة وصل والدُه وعائلته، وبعدها ماريا، ثم أندريس وإلياس، كان الجميع يحمل هدايا للمنزل الجديد.
كان ألكاي سعيدٌ جدًّا بوجودهم جميعًا، ويشعر بغصَّة عالقة بحنجرته طوال تحديقه بهم، وهم يتناولون الطعام.

تحدَّثت سونا بإعجاب: «أنتِ طاهيةٌ مُبدِعةٌ روف، جميع الأطباق لذيذة».
ابتسمتْ: «شكرًا لُلطفِك .. بالهنا والعافية».

إيفا تنظر لها بعينَين متقاربتين: «كما جرَتِ العادة إذًا، يتفوَّق التلميذ على الأستاذ صحيح؟!».

روف بحبٍّ كبيرٍ لهذه الفتاة التي عاشت بجوارها شعور الأخت الحقيقية: «إذا كان الأستاذ أختي بالطبع سوف تكون النتائج أفضل».

ألكاي تحدَّث وفي صوته بحَّة بسيطة برزتْ رُغم محاولته لعدم توضيح الحزن الذي اجتاحه: «لن تستطيعوا معرفة شعوري بوجودكم حولي! أشكركم كثيرًا للَّيلة ولكلِّ يومٍ عشته معكم، أنتم أجمل شيء حصلتُ عليه في حياتي حقًّا».

إلياس يضحك لجِديَّتِه: «ههه ... يا ... هذه كلمات يقولها شخصٌ مغادِرٌ .... سنزورك كلَّ ليلة إذًا لنجد الامتنان منك والطعام اللذيذ الذي تعدُّه زوجة أخي» ويغمز لروف التي ابتسمت.

ردَّ الجميع بإيجابية عدا أندريس الذي شعر بتلك الغصَّة العالقة، وتلك المشاعر المضطربة، يعرف ألكاي جيدًا، يفهم عينَيه وكلَّ حديثٍ توقَّف فيها .. ظلَّ يُحدِّق بطبقه حتى اشتقَّت تنهيدةٌ ثقيلةُ الشعور صدْرَه.

33. عبرات عالقة

بعد العشاء كان ليمان يقف على النافذة، هو أيضًا شعر بحزن ابنه، اقترب منه ألكاي وهو يتشبَّث بيده، التفَّ مبتسمًا إليه: «مشاعرك الليلة تقلقني»، ألكاي لا يزال ينظر أمامه: «كنت سعيدًا بقدومكم فقط».

- لا تستهين بإحساس الأب، وأنت ستصبح أبًا أيضًا، ربما أكون ابتعدتُ عنك اعتقادًا مني أنها الطريقة المثلى لحمايتِك، ولكن خسرت الكثير من الوقت جدًّا، هذا ندمي الوحيد».

تقدَّم ألكاي قريبًا ليقِفَ أمامه، ثم احتضنه بهدوء: «ما دمنا أحياء هناك فرصة، صحيح؟».

ليمان مسح على ظهره وهو يشعر بنبضات قلبه المرتفعة: «إذا أخفيت خوفك من ملامحك، قلبك يتحدَّث يا بني».

أغمض عينيه، وشدَّ على والده، خاف كثيرًا ألَّا يعيش هذا اللحظة مرة أخرى.

إلياس وهو يتقدَّم نحوهم: «أريد أيضًا حضنًا، متى يحين دوري في حنانك؟».

ابتسم وهو يبتعد عن والده، الذي دخل بسرعة للداخل، وكأنه يتوارى عن نظرات ابنه، حدَّق قليلًا في إلياس، الذي قام بفتح يديه بمرحٍ، والذي دهش عندما تقدم بالفعل واحتضنه وظلَّ صامتًا.

إلياس مسح على أسفل شعر ألكاي، وهو يقول: ««هل أنت خائف من شيء؟ لم تكن تفعل هكذا إلا عندما تخاف أو تقلق من شيء ما».

ألكاي ابتعد قليلًا، واتَّكأ على سور الشرفة، وهو يرى أنوار المدينة، وأخذ نفسًا عميقًا: «خائف قليلًا، لكن سعيد جدًّا حقًا؛ كونكم جزءًا من حياتي هذا انتصاري حقًّا على كلِّ المشاعر السلبية».

إلياس تقدَّم ووقف بمحاذاته، تنهَّد وهو خائفٌ أيضًا: «ألكاي، لن ترحل قبل أن تُخبِرَني .. صحيح!».

صمت ألكاي قليلًا، ثم تحدَّث ودموعه تتزاحم: «إلياس، تخلَّت ذاكرتي عنكم رُغم جهود روف كلَّ صباح، إلا أنها تتفلَّت بشدَّة عما يخصُّكم، أخاف كثيرًا أن أخطئ باسم أحدكم، آه .. صحيح أنَّ عقلي فقَدَ الجميع، لكن قلبي يتعرَّف عليكم حقًّا، غمرني الحب والخوف والسعادة الليلة كثيرًا».

إلياس أغمض عينيه وهو يشعر برغبة بالبكاء: «أنت متعبٌ قليلًا، لم تتخلَّ عن أحد، لا عليك، نحن معك، نحن ذاكرتك التي لن تخذُلَك، ونبض قلبك الذي لن يخفت، يكفي أن تكون معنا».

غادر الجميع، جلس على كنبة الصالة يحدِّق بكومة الهدايا المركونة بجانب التلفاز، اقترَبَ .... روف وهي تجلس بمرح على الأرض تعلم أنه يخطِّط لشيء ما ولكن: «واو .. هذه جميلة جدًّا كالعادة، ذائقة أندريس الفاخرة»، وظلَّت تنظر حولها، وهو ذهب للداخل، وقف يحدِّق بذلك الدفتر البني، كُتِب عليه (ألكاي).
أخذه وفتح الصفحه الأولى: "الآن أنت بحاجته على ما أظنُّ، بما أنك وجدتُه سأضعه يومًا لك عندما أعلم أنك على وشك الرحيل، احملْه برفقتك من الآن وصاعدًا، أنت ألكاي سالار ابن الثانية والعشرين سنة على ما أعتقد، كتبتُ هذا قبل ثلاثة أعوامٍ، توقَّعتُ أن تصل لهذا العمر ولم تفقد كلَّ شيء، وكلُّ شهر أُدوِّن المزيد عن تطوُّراتِك، ستجد كلَّ شيء هنا، فهو مَرجِعٌ لك.

ابني الثاني، وحبيب قلبي، أنا أكون خالَك أيضًا بمنطق العلاقات، فقد أرضعتْك ماريا أختي وأنتَ طفلٌ صغيرٌ مع ابنتها إيفا، التي تعتبر أختك أيضًا.

وُلِدتَ بمعجزة (ذاكرة من فولاذ)، تفوَّقت في حياتك العلمية والعملية، لكن تألَّمت في صحتك كثيرًا، دفعت ثمن الذكاء بقسوةٍ، فأنت اليومَ أَجزِم أنك -على الأقل- لا تقوى على المشي لمسافات متوسطة، وقد تسقط الأشياء من يدِك، كما أنك لم تعُدْ تتعرَّف على الأشخاص، ولو علمت أسماءهم.
رفيقتك في رحلتك القادمة فتاةٌ تشاركت معك القدر، قليلًا مرَّت بالصعاب، ولكن ساعدتك مراتٍ عديدة، أعلم أنك لم تنسَ كلَّ شيء، على الأقل: التجربة وعلاجك المنتظر، الخاتم بيدك .. علمتُ مُؤخَّرًا أنها مذكراتُك الصوتية، أحببتُ الفكرة حقًّا، لطالما أبهرتني يا عزيزي .. سأبقى أنتظر ذلك اليوم الذي تعود فيه وأنت بكامل عافيتك، كلُّ المعلومات القادمة تهمُّك تصفَّحْها جيدًا".

خرج بعد بعض الوقت: «روف، هيا بنا ... حان وقت الرحيل».

روف وقفتْ بدهشة، لم يكن هذا ما توقَّعت حصولُه، فجأة دون مقدِّمات: «ماذا؟!»
اقتربت من ألكاي: «عن ماذا تتحدث؟».

نظر إليها جبيدًا: «سيعلمون غدًا أنني ودَّعتُهم الليلة، وهذا لا أريده، أنا لن أستطيع تحمل هذا حقًّا، وهم أيضًا، كلُّ شيء جاهزٌ بالفعل».

صمتت قليلًا ثم نطقتْ: «لن تُخبِر أحدًا! حقًّا حتى أندريس!».

- أندريس يعلم أنني على وشك الرحيل، جهَّز الطائرة في الوقت الذي أريده، تم إدراجها على الرحلات لمدَّة أسبوعٍ كاملٍ.

- لكن ...أعني .....
نظرت نحوه؛ الحزن يكتسي ملامحه، هو لا يريد الرحيل، ولكن لا يريد لهم القلق أيضًا: «حسنًا ساعة وسنخرج».

احتضنها وهو يمسح برفق على ظهرها: «سأعوضك يومًا عن كلِّ هذا .. لا تأخذي أيَّ شيء ... مجهَّزة بالكامل».

- هههه ... التعويض أكثر من هذا؟! هيا لنُنهِي ما لدينا من عمل.

حدَّق بخاتمه، ومسح عليه ليومض: "الليلة الأخيره كانت جميلة للغاية مع عائلتي التي أحبها كثيرًا، حسنًا ربما لأتذكَّر حتى مشاعري نحو كلِّ شخصٍ منهم، ولكن أحبهم بشدَّة، أشعر بذلك، هذه المذكِّرات كانت يومياتي التي كنت أعود لها كلَّ ليلة، ولكن سأتركها لك إلياس.

أعتذر بشدَّة لرحيلي بهدوء، لكن ربما هذا الأفضل، لن تشعروا بغيابي إن ذهبتُ بهدوء، فالدموع والوداع والعَبرات اكتفيتُ منها طوال أسبوع بما يكفي عني وعنكم جميعًا، أُومِنُ أنَّ بعض المشاعر الأفضل أنْ تُعاش دون مشاركتها مع الآخرين.

تبقى دائمًا ذكريات اللحظات الأخيرة ... دعوها هذه الليلة التي اجتمعنا بها.
شكرًا لكم ..... ودمتم بخير دائمًا وأبدًا".

.....
دخل بسرعة مكتب والده وهو مرتبكٌ: «أبي، ألكاي لا يجيب منذ يومين، هاتفه مغلقٌ وروف كذلك؟!».

أندريس بهدوء: «لا أعلم، اسأل ليمان أو ماريا!».

إلياس نظر نحوه وقطَّب حاجبيه، ثم هزَّ رأسه بالرفض وهو يخرج راكضًا ليصعد سيارته، وينطلق نحو منزل ألكاي.
نزل بسرعة ليجدَ مدير المجمع يوقفه: «إلى من تريد الذهاب؟ سأبلغ صاحبك؟».

إلياس بسرعة وتوتُّر: «ألكاي، ألكاي سالار الطابق السادس!».

- هل أنت إلياس ابن البروفسور أندريس؟

حدَّق به بريبة اجتاحت خاطره: «أجل! لماذا؟! افتح الباب سأستخدم المصعد».

- انتظر، وعاد يحمل صندوقًا صغيرًا: «هذا ما تركه لك، طلب تسليمه لإلياس».

إلياس وهو يشتِّت كل تلك الأصوات بداخله: «ماذا تعني بتركه لي؟! أين هو؟! هل خرج اليوم لموعدٍ أو شيء آخر؟! هو لديه الكثير من الأعمال هنا!».

- غادر بالأمس فجرًا، وقام بتسليم السكن، وتم إفراغه في المستودع الخلفي لحين استلامكم للأثاث.

دارت به الأرض وهو يقف، شعَر أنه على وشك السقوط، رحل بالفعل كعادته، لا يحبُّ الوداع، لكن تلك الليلة ... وعاد يتذكَّر حديثه ومشاعره: هل كان الجميع مدركًا لذلك سواه؟ كيف ذلك؟! هم ودَّعوه بطريقة ودِّية جدًّا، لمَ كان والده يبكي عند خروجه من البناية؟ وأندريس تريَّث قليلًا بعدنا، لديه حديثٌ يناقشه معه!

تخطَّاه وهو يطلب المصعد، ويتَّجه للشقة ويجد الباب مفتوحًا بالفعل، دخل بسرعة ليَجِدَ أحدهم قد بدأ بتفقُّد السكن لينتقلَ له، وهو فارغٌ بالفعل، حدَّق بمكان طاولة الطعام الفارغة .. الشرفة .. والسُّور ... اختنق وغادر وهو يرتفع صدره ويهبط لتنفُّسِه العالي .. أغلق المصعد واتَّكأ عليه، ثم انزلق ليجلس ويجهش بالبكاء، وهو يشد على الصندوق الذي لم يفتحه بعدُ: لمَ لمْ أدرك ذلك؟! لمَ لمْ أمنعْه أو أرافقْه؟! ويبكي!
فتح المصعد، وقف بصعوبة، وخرج يترنَّح، خرج وهو يصعد إلى سيارته، حركها دون اختيار وجهةٍ له، مشى حتى توقَّف بالشاطئ، تنهَّد وهو يدرك المكان، فتح الصندوق ويداه ترتجفان بشدَّة، وجد ورقة وقام بفتحها: «هل بكيتَ كثيرًا قبل حتى فتحك للصندوق صحيح؟!» .. ابتسم إلياس قبل أن يُكمِل لفهم ألكاي له بهذا العمق وأكمل: «حسنًا، ابتسمتَ الآن، هذا الأحبُّ لقلبي؛ ابتسامتك الرائعه أخي، إلياس أنا أعتذر لك، ولكن أردتُ ألا تدرك ذلك الليلة، أنت لن تحتمل ذلك، أو قد تحاول ثنيي عن الرحيل، لكن يتوجَّب عليَّ ذلك، نحن لدينا وعودٌ وسنفي بها، أنا اثق بك وأنت كن واثقًا بي.

اسمعْ: إياك والغضبَ على والدك؛ لأنني رفضتُ أن يُخبِرَك، اكسب الكثير من المال، اعمل بشدَّة حتى لا تشعر بالوقت، إذا نجحت فلنجتمع بنفس اليوم بعد سبعة أعوام، اعتبر أنني ما زلت أدرس الطب في الخارج إذًا، ربما أجِدُك قد تزوجت، وربما قد كنت سائقًا رياضيًّا ماهرًا، أختي لا تُحزِنها .. اتفقنا؟!

آه، كدتُ أنسى، بالأسفل هدية بسيطة لك ... لطالما أعجبتك ... دمتَ بخير] وصحة وسعادة. "ألكاي سالار"

مرَّر أصبعه على الاسم، ثم رفع، وجد ورقةً أخرى ورفعها، وقبل فتحها وجد خاتمًا بالأسفل، رفعه ليقول: «المارد!»، كان قد فُكَّت قطعته الداخلية لِيَجِد بها ذاكرة صغيرة، ومعه مُشغِّل للذَّاكرة، أغلق الخاتم ووضعه في أصبعه، وعاد لتشغيل الجهاز الذي أرفق به الذاكرة، اتسعت عيناه وانهمرت دموعُه لسماعه صوتَ ألكاي، كان يتحدَّث مع نفسه؛ تحدَّث عن تطوُّرات مرضه مراااتٍ عدَّةً: (اليوم نسيت الأيام، اليوم نسيت الاتجاهات، لم أستطِع معرفة الطريق الصحيح، رمز هاتفي، نسيت تاريخ ميلاد والدتي، وتاريخ ميلادي -أي يوم وفاتها- سأتزوَّج هذا الأسبوع بروف).
تغيرت نظراتُه عندما سمع حديثهم في النزهة لتحقيق أمنيته، لقد اختفى صوتُه .. نام وأنا أتحدَّث ... عاد يتحدَّث ... فقَدَ الكثير من الذكريات الجميلة.

أغلق إلياس الجهاز وهو يحني رأسه على المقْوَد أمامه، شعر بالدَّوَّار، والألم يعتصر قلبه، ارتفع نبضه، تعرَّقت يداه، اشتدت عروقه، ارتجف فكُّه، انسحب الهواء من رئتيه، ارتفع صوتُه وهو يحاول سحب الهواء، فتح الباب بصعوبة، حاول تشتيت مخِّه قليلًا .. نوبة الهلع ستأتي تذكَّر حديث ألكاي وهو يقول في إحدى المرَّات التي شهد حالتَه "عُدَّ الأرقام بالعكس بصوتٍ مرتفعٍ إلياس، هيا .. أنت تستطيع .. تذكَّر أنا هنا معك .. لا تقلق لستَ وحيدًا".

أغمض عينيه وهو يعدُّ بالتراجع بصوتٍ مرتفع، واستمرَّ قليلًا، خفتتْ نبضاتُ قلبه تدريجيًّا، انتظم تنفُّسه، ارتخت يداه، شعَرَ بالنعاس والسكينة، جسدُه متعبٌ، اتَّكأ برأسه للخلف وهو يقول: «مرَّت مرَّت بفضلك ألكاي» وانسابت دموعُه الساخنة على خدَّيه وهو مُغمِضٌ عينيه، استرخى لوقتٍ طويل حتى اشتدَّت الظلمة من حوله، فتح عينيه وأغلق بابه وتحرَّك متجهًا لمنزله.

صعد للأعلى دونَ أيِّ صوتٍ، فتح الدرج بجوار سريره، وأدخل الصندوق به، وأغلقه، حدَّق قليلًا بخاتمه الجديد، مسح عليه وتمدَّد وهو يغلق الإنارة، ويغطُّ بنوم عميق بعد يوم مرهق ومتعب.

كان أندريس يقف أسفل السلالم بقلقٍ عليه طوال اليوم، صعد بخفَّة، وفتح الباب ليجد الغرفة مُظلِمة سوى تلك الإضاءة الصغيرة بالجانب منه، يعلم أنه لا يغلق كامل

الإضاءة عندما يحزن أو يخاف منذ كان صغيرًا، اقترب منه وهو يحدِّق بوجهه وحاجبيه المنعقدتين حتى في نومه، قرَّب سبابته وهو يُرخِي حاجبيه برفقٍ بالمسح على جبينه، استرخت ملامحه قليلًا حتى انزلقت دمعة علقت بأهدابه.
قطَّب أندريس شفتيه للداخل بحزنٍ عميقٍ مسح دمعته برفقٍ قبل رأسه، وقف ليغطِّيَه، رفع يده ليدخلَها أسفل الغطاء، نظر للخاتم، أومأ برأسه وهو يتنهَّد وغادر.

.....
في الجزيرة وصلوا قبل ثلاث ساعات بواسطة الطائرة الخاصة، والتي ستعود لهم بعد انتهاء الرحلة.

روف تدخل لمركز الأبحاث برفقة ألكاي والفريق الطبي الذي استقبلهم بودٍّ شديدٍ.

- بالجهه اليمنى المطلة على الشاطئ هو السكن الخاص بكم، وقد تم تجهيزه مسبقًا بالكامل، أما بنهاية الممر باليسار (المختبر) يمكنكم الراحة، وبالصباح نأخذ جوله في المكان.

ابتسم ألكاي: «شكرًا لجهودكم، هل ما طلبته جاهز؟».

- بالطبع، هو الباب المقابل لقسم السكن الخاص بكم.

تقدَّمت روف برفقته، ولكن توقَّف أمام باب أبيض كبير بقفلٍ ذكيٍّ: «هيا افتحيه!».

روف باستغراب: «أليس السكن خلفنا؟ ما هذا؟».

ألكاي يلمس الشاشه لتضيء: «هيا ... تاريخ ميلاد والدتك! أدخليه! ألا تعرفينه؟!».

روف ودموعها ترفرف رُغم عدم معرفتِها بما يُخفِي هذا الباب خلفَه، فتحت الرمز، ودفعته بخفَّه؛ لتضع يدها على شفتَيها تُكبِح دهشتها الشديدة! تقدَّمت للداخل وهي تلفُّ حولها، ثم التفَّت نحوه، وهو يبتسم، يقف بالقرب من الباب.
عادت نحوه تسرع بخطواتها نحوه حتى احتضنته: «ما هذا الذي فعلته ... أنت... كيف عرفتَ كلَّ ذلك؟ أنا ...» ابتسم وهو يُربِّت على شعرها: «اهدئي قليلًا، أنا كنت أمتلك المارد، وهو حقَّق أمنيتك، الآن عليك بالسعي، أنا فقط سهَّلت لك الخطوة الأولى ... المُتبقِّي عليك».

صمتتْ، ثم ابتعدتْ قليلًا، وهي تُحدِّق بعينيه: «أتعلم؟! ستكون أول لوحة تُرسَم هنا أنت!».

ابتسم بمرح: «أووووه ... هذا مُؤثِّرٌ جدًّا ... رفرف قلبي».

أمسك يدها وهو يجولها بالمكان الذي أسَرَها بجماله حتى ابتسمت: «لن أملَّ وأنا هنا».

تنهَّد بضيقٍ أخفاه بابتسامة: «وهكذا أكون حقَّقت الأمنية جيدًا».

كان عبارة عن مرسمٍ كبيرٍ زجاج بالكامل، غُطِّي بستائرَ يمكن إزاحتها بجهاز تحكُّمٍ كما الآن، امتُلئ باللُّوحِ البيضاء الفارغة، والكثير من معدَّات الرسم بجميع أنواعها، صوت أمواج البحر الصادرة من النافذه الصغيرة بمنتصف الزجاج التي قام بفتحها ليتضح الصوت بالخارج، والنجوم المتَّضحه بلمعانها الفاتن كانت أشبه بلوحةٍ حيَّة!

تحدَّثت روف وهما يخرجان من المرسم: «كيف عرفت تاريخ ميلاد والدتي؟».
صمت قليلًا .. هو نسي بالفعل متى علم؟ أخَذَ الدفتر الصغير من معطفه: «أمهليني دقيقةً واحدةً» أغلقت الدفتر: «لا يُهمُّني الكيفية حقًّا، أنت مختلفٌ بكلِّ شيء .. شكرًا لك يا طورَ القمر».

ابتسم: «أحاول التعويض فقط عن وقتك الثمين الذي سيمضي وأنت وحدَك».

ثم نطق وهو يغلق باب السكن: «هل تعتقدين أنَّ إلياس عَلِم؟».

روف تنظر لهاتفها: «أعتقد ذلك، مرَّ يومان، لكن متأكِّده أنه سيكون بخير».

بحزنٍ اتَّضح بصوته: «أاااه أتمنى ذلك، أنا قلِقٌ عليه بشدَّة، أتمنى أن يكونوا بخير».

.....

استيقظ في الصباح، وهو يهبط للأسفل راكضًا لسماعه بكاء جمان، فتح باب الغرفة وهو يلتقطها من سريرها ويحتضنها لتصمت بعد بعض الوقت، وهي تُحدِّق به بفرحٍ، تعلَّقتْ به خلال هذه الأشهر، دخلت المربية بقنينة الحليب: «هل استيقظتْ؟ ذهبتُ لإعداد الحليب لها، ولكن يبدو أنها استيقظتْ».
أخذتها من يدِه ليُمسِك بالباب بسرعة عندما شعر بالدَّوَّار، اقتربت منه وهي تقول: «ماذا حدث؟! هل أنت بخير إلياس؟».

قال وهو يُمسِك برأسه: «أنا بخير، فقط تحركت الأرض تحتي قليلًا، ربما لأنني ركضتُ».

اقتربت منه بعدما أعادت جمان لسريرها وأعطتها الحليب، وأخذت بجهاز كشف الحرارة وتُمرِّره على جبينه: «أووووه ... حرارتُك عالية، أنت مصابٌ بالحمى .. اذهب للراحة لا داعي لصعودك للأعلى ... سأتصل بوالدك في الحال».

أمسك يدها: «روز ... أرجوكِ أنا بخير، سأتناول الدواء بعد الاستحمام، وأنام .. أحتاج للراحة فقط، لا تُقلِقي والدي، لديه عملٌ مهمٌّ جدًّا، لا عليك، سأكون بغُرفتي»، وذهب للأعلى وهو يتَّكِئ على السُّلَّم في الصعود.

غمغمت روز بقلق: «حسنًا، لا تغلق الباب، سأتفقَّدُك من وقتٍ لآخر يا بني».

مرَّ أسبوعٌ وهو لا يزال يشعر بالتعب رُغم انخفاض حرارته إلا أنه متعبٌ، وليست لديه شهية للأكل، لديه اضطرابٌ في النوم.

دخلت ماريا برُفقة إيفا التي تَحمِل قنينة حرارية صغيرة تكفي ربما كوبَين أو ثلاثة، صعدت ماريا للأعلى وهي تقول لإيفا: «حضِّري الشاي الذي أحضرته، ووزِّعي الأكل، وسأحضره للأسفل».

إيفا تتنهَّد بتعبٍ، حزنت عند معرفتها برحيل ألكاي، وأيضًا انهيار إلياس، لمَ هو بتلك الحساسية؟! حتى أن أندريس كان يغضب عليه كثيرًا، يبدو أنه قلق عليه، أيضًا هناك زعزعة بالأجواء هنا، الكل متوتِّر، لم يلتقوا بليمان، حضَّرت والدتها الطعام اليوم، وأحضرته؛ لأنه لا يخرج من المنزل، قامت بوضع خمسة أطباقٍ على الطاولة، ثم بدأت بترتيب الأكل بالمنتصف، وأبقت على الشاي بالمطبخ، وخرجت وهي تسمعه وهو ينزل مع الدَّرَج، ويتحدَّث بانزعاج: «عمَّتي حقًّا أنا ليس لديَّ شهية، أريد النوم».

حدَّقت به وهو يجلس على الكرسي بإصرارٍ من ماريا، نظرتْ لشَعرِه ووجهه الشاحب، ونطقت بصوتٍ خافتٍ: «مثير للشفقة».

اتسعت عيناه وهو ينظر نحوها، وماريا تغمغم وهي تضع يدها على جبينها، وقال: «ماذا قلتِ؟».

ماريا تشير لها لتصمتَ، وهي ترى أندريس يتقدَّم نحوهم، ولكن تحدَّثت وهي بنفس النظرة وبحدَّة: «كما سمعتَ، هل أنت مثير للشفقة؟ أم تحاول أن تُصبِح مثيرًا للشفقة؟! هل هذه حالُ رجلٍ طبيعيٍّ؟! أشقيت والدك طوال أسبوع حتى روز المسكينة أصبحت تعتني بك مع جمان، والآن والدتي تطهو لأجلك من الصباح، وأنت تتذمر»، وجلستْ على الكرسي المقابل له، وتُفرِّغ لها بطبقها، وتبدأ تأكل بصمتٍ وهدوءٍ، وكأنها لم تتحدَّث.

نظر بدهشة نحوها، ثم نظر لوالده الذي يبتسم، وهو يتقدَّم ويُقبِّل رأسها وهي جالسة، ويجلس بجوارها، قبض يده أسفل الطاولة حتى برزتْ عروقُها، أندريس ينظر نحوه وحاجبه مرفوعٌ ينتظره ليتحدَّث، أراد الكلام ولكنَّ والده لن يسمح له بذلك وماريا جالسة وروز التي انضمَّت لهم، اختار الصمت وهو يضع بطبقه القليل، ويأكل، ولكن لم يستطع وهو يشعر بالاستفراغ، ويركض لدورة المياه القريبة المجاورة لغرفة والده.

حدَّق أندريس به حتى أغلق الباب خلفه، وأومأ برأسه بيأس: «سآخُذه للمشفى، هذا لا يجدي» وترك المِلعقة.

أمسكتْ إيفا بيده وهي تقول: «لا عليك، أكمل طعامك، لديَّ الدواء الذي سيعيده كما كان، دعه يخرج فقط».

ماريا بغيظ: «ماذا ستفعلين هذه المرة؟! هل ستصفعينه؟! أنتِ لا تخجلين ولا تحترمين من هم أكبر منك، لا تُقدِّرين مشاعره.

إيفا بتقويس شفتيها: «أاامي! ليس الوحيد الذي حَزِنَ على ذهاب ألكاي، وأيضًا هو لا يفهم سوى بهذه اللغة»، وهي تذهب ثم عادت وهي تقول: «وأيضًا هو خطيبي المستقبلي، أُعامِلُه كما شئتُ» وغادرت بغضب.

ماريا بعينين متسعتين من تصرُّفات ابنتها المتهورة دائمًا، نظرت نحو أندريس الذي انفجر ضاحكًا بشدَّة وهو ينحني، وهو يقول: «ليرى -ماريا تبتسم بدهشة- أحب ابنتك بشدَّه ماريا، معجبٌ بشخصيتها، لن يقوِّم حياه إلياس سواها حقًّا، لكن متى أخبرتْك بموافقتِها على عرض الزواج؟!».

ماريا التي تبتسم رفعتْ كتفيها: «الآن ... هههههههه .... ما دامت موافقة فلن أتدخَّل فيما تقول له إذًا هههههه».

ضحك أندريس وهو يومئ برأسه: «وأنا أيضًا ... هههه».

خرج متعبًا ولا يريد أن يعود لهم، خرج للشرفة وهو يجلس على الكرسي ويملأ رئتيه بالأوكسجين، كانت الأمطار مستمرة منذ أيام، والطقس باردٌ، والهواء عليلٌ جدًّا.

شعر بالغطاء الصوفي الذي سقط بحجره، رفع رأسه بسرعة ليجدَها تحمل كوبين والقنينة الحرارية: «ضع الغطاء لكي لا تعود تصاب بالحمى، مناعتك متعَبة هذه

الأيام» وتجلس أمامه وهي تسكب من القنينة، تصاعَد الدُّخَان من الأكواب، استنشق رائحة الشاي، هي الذي تعدُّه دائمًا، نظر لها بهدوء كما لو لم تكن تلك التي صرخت عليه قبل قليل، متناقضة بشدَّه حتى بمشاعرها، لم ترفضْه، ولم توافق عليه حتى الآن!

كان شاردًا بالتفكير حتى شعر بالحرارة، وهي تلصق الكوب براحة يده حتى فَزِع، ثم أمسكه لتقول: «تشرد كثيرًا! دعنا من الحمى .. هل أنت بخير حقًّا؟! أنت لستَ شخصًا ضعيفًا حقًّا؟! ولم تكن مرَّتك الأولى التي تعاني بسبب ذهاب أحدٍ.. صحيح؟!».

نظر لها وداخله دهشة وتوتُّر من هذه الفتاة، هي تشرحه أكثر من نفسه، ثم نطق وهو يحني نظرَه نحو كوب الشاي الذي ارتشف منه، وظلَّ يُمرِّر أصبعه على حافَّته: «هذه هي أكره الراحلين إذًا، لا يمرُّ عليَّ بسهولة أبدًا، لم تشهدي انتكاساتي الماضية، فقط، في كلِّ مرَّة يرحل أحدهم أحاول بقدر استطاعتي أن أكون أقوى، ولكن هذا أنا، لكلِّ شخصٍ نقطةُ ضعفٍ، هذا سبب عدم أخْذِ ألكاي لي، يعلم أنني لن أحتمل رؤيتي له دون حراكٍ أو حتى سقوطه أمامي عدَّة مرَّات، ولن ... ولن ... ولن ... وهو بالطبع يعلم بانهياري الآن، وقد توقَّع مدتَه في مذكراته التي تركها لي ... هو مثلك يفهمني كثيرًا، يعلم مشاعري جيدًا، حتى أنه قال: ستُحضِر لك إيفا الشاي المهدئ وستصبح أفضل!».

ابتسمت: «هيا .. مَن هناك ... لا تكذب ... لم يقُلْه».

رفع أكتافه وهو ينظر إليها: «هذه حقيقه لن تنكريها، إذًا أحضرتيه بالنهاية، وربما أتحسَّن بفضله ... ربما ... هه».

اقتربت منه، وهي تمسك بيده وتنظر لعينيه المدهشتين: «ستكون آخر انتكاساتك إذًا، لا أريد رجلًا حنونًا وحساسًا لهذه الدرجة».

حدَّق بيديها، ثم نظر إليها، لم يستوعب كلامها حتى الآن، وقفتْ وهي تراه صامتًا دون ردة فعلٍ، وهي تقول: «ولا غبيًّا أيضًا بطيء الفهم».
وقف وهو يعترض طريقها، نظر لعينيها وهو يقرِّب عينيه من بعضهما: «هل يعني هذا أنك ...» قاطعته وتنظر له بنفس الطريقة التي ينظر بها: «إن لم تستجمع نفسك وتأكل خلال يومين سيكون العكس، وتعلم أنَّ أقوالي أفعال» وابتعدت مغادرة.

ذهبت تلعب برُفقة جمان بغرفتِها، سمعت ضحك ماريا، وقفت وهي تفتح الباب بخفَّة، وهي تراه يجلس على الطاولة ويأكل، ويشرب من الشاي بعد كلِّ قطعة يأكلها، علَّها

تستقرُّ بمعدتِه، ولا تسبب له الغثيان، ابتسمت وهي تعود لتُغلِق الباب، وتجلس بالأرض أمام جمان التي تحدِّق في الألعاب أمامها بمتعة.

عند الباب كان يقف ليودِّع ماريا التي نزلت على الدَّرَج ثم أمسكها بمعصمها وهو يقول لها بعدما التفَّت له بعصبية، وهي ترى والدتها تنادي عليها: «اسمعي سننتظر ألكاي، صحيح؟!».
نطقت بسرعة: «بالطبع، لا نزال صغارًا، هم كان لديهم أسبابهم»، وضعتْ أصبعيها على عينيها، ثم وجَّهتها له بتهديدٍ «سأراقبك طوال الوقت القادم، إن لم تستحقَّ الانتظار فلا شي يلزمني بك، صحيح؟!» وغادرت وهي تقهقه.

ابتسم وهو يغلق الباب، ويعود للداخل، وجلس بالكنبة بالصالة متعبًا من وجوده بغرفته طوال الوقت.

أندريس يخرج بغضبٍ، وهو يرمي عليه الملف، ليقع أسفل قدميه: «من أذِنَ لك لتقدِّم عليها؟ أنت ما زلت ممارسًا للطب حديثًا؟!».

إلياس يرفع الملف ليبتسم ويرى الموافقة على الطلب: «الفضل يعود لك، أنا ابنك، لا يهمهم خبرتي الطويلة، وأيضًا سأكون بصفتي متدربًا؛ أي لن يسلِّموني حياة أحدِهم، وأيضًا فرصة جيدة، لطالما أردت التطوُّع بتلك الأماكن، أنت أيضًا ذهبت، لِمَ أنت غاضب؟!».

زفَر أندريس وهو يجلس أمامه: «وهذا أكبر سبب أغضبني - أنني سبق وذهبتُ، وأعرف ما ستعانيه هناك».

إلياس بهدوء: «أريد التعلُّم أبي، أن ينشغل هذا -وهو يشير إلى عقله- أن يكفَّ عن الانتظار، وأهمها أريد أن تُصقِلَني التجارِب، هذه لا تأتي بالتعلُّم أبي بل بالممارسة والانخراط بتلك الظروف والخروج من الصعاب المحتملة، وأيضًا لستُ وحدي، أطباء من كل أنحاء العالم تقريبًا، هذه فرصة ثمينة جدًّا لم أكن لأحصل عليها لولاك حقًّا».

أندريس بيأس: «أي أنك لن تُغيِّر قرارك، وتقلقني لعامٍ كاملٍ؟!».

إلياس: «أبي! أرجوك أريد الخروج عن الدائره قليلًا، تجرِبة جديدة! ألَا تثق بي؟».

أندريس: «ليس لأنني لا أثق بك، لكن تعرف الأوضاع، اختلف الوقت عمَّا كان عند ذهابي لها، الآن خطرة حقًّا هناك».

إلياس بطمأنةٍ له: «كما قلت؛ اختلف الوضع الآن، معي هاتف سأتصل بك دائمًا، ولست وحدي، هناك حوالي خمسون طبيبًا مجهزًا بالكامل مع المشرفين وأجهزة المراقبة، هم أيضًا أبي ينتظرون من يمدَّ لهم يد العون، وبالأخص في مجال الطب».

هز أندريس كتفيه: «حسنًا! ماذا أقول؟! لتذهب وتعود بسلامة! تريدون تركي وحيدًا! وأيضًا لديك خِطْبة قبل ذَهابك، صحيح؟!».

إلياس: «ربما أُلْبِسُها الخاتم فيما بيننا، اتفقنا انتظار ألكاي، ولن أغادر الآن، ربما بعد شهرين أو ثلاثة، لا يزال هناك وقتٌ».

أندريس: «هذا جيد جدًّا، اتصلت بالمركز اليوم».

إلياس بتركيز: «أجل! أخبرني إذًا ... ماذا جدَّ عليه؟».

أندريس بعد صمتٍ: «بالرُّغم أنه طلب من الطبيب عدم إخباري، ولم أودَّ إخبارك، ولكن ألكاي أصبح مُقعدًا، كان يضغط على نفسه كثيرًا قبل سفره، ويمشي بصعوبة».

إلياس يضغط بيده التي قبضها على شفتيه ثم تحدَّث: «متى سيبدأ تنويمه إذًا؟».

أندريس: «ربما بعد شهرٍ أو أكثر، نجحت عملية النقل في التجربة، ولكن عملية الإعادة صعبة قليلًا حتى تتَّزن درجات حرارة الجسم المنخفضة للطبيعية، وقد بدأوا بذلك، وتستغرق مدة متوسطة».

إلياس بتفكير: «ألن يرى الطفل؟».

أندريس يهز رأسه: «إن حالفه الحظ استطاع رؤيته في الخامسة من عمره!!! هذا مؤسفٌ حقًّا!».

إلياس وهو يَزفِر: «أبي هل سيكون هناك يومٌ جيدٌ يعيشه ألكاي؟!».

أندريس نظر إليه: «بالطبع، هناك أيام جميلة عاشها، وسيعيش أيامًا أجمل، هذا قدرُه المحتوم عليه، يعيشه بكلِّ هذه الدقة والتفاصيل، كما الجميع في هذا الكون يعيش قدره المنقوش بجبينه».

34. سحب الصيف العابرة

تلبَّدت الغيوم السوداء المحمَّلة بالثلوج لتُمطِر مطرًا غزيرًا ضيفًا مرحَّبًا به؛ بهجة للروح بصوته ورائحته، ومتعة العين الحقيقية برؤية حباته المنهمرة.

وقفت روف وهي ترى اللوحات التي انتهت منها؛ أوشكت على تجاوُز الخمس، إذا أكملت السادسة، والتي استغرقت كلٌّ واحدة منهم شهرًا بأكمله، أصبحت تجد الصعوبة في الجلوس طويلًا، وحتى الاقتراب من اللوحة أصبح صعبًا قليلًا.
رنَّ جرس المرسم لتقِفَ بتعبٍ وهي تمشي وتتَّكئ على الجدار لتفتح الباب، اتضحت من خلفه طبيبتها المقيمة: «أوه ... روف لما تُجهِدين نفسك لهذه الدرجة، أنتِ على وشك الإنجاب، ينبغي لك الراحة».

روف تبتسم وهي تتقدَّم برفقتها لتجلسا على الكنبة الصغيرة أمام النافذة: «آه يا دكتورة سهاف، إن لم أرسُم يُهلِكُني التفكير، الفراغ قاتلٌ حقًّا، أنا أُجابِه أيامنا بهذه اللوحات».

نظرت الدكتورة: «ربما الاسترخاء قليلًا، ومشاهدة البحر أمامك؛ يساعدك على الراحة النفسية المطلوبة، تبقَّى أسبوعٌ، هل أنتِ مستعدة؟».

روف تتلمس بطنها: «بالطبع! رفيق أيامي القادمة».

تحدَّثَتا بتفاصيل وقت الإنجاب، ثم وقفت الطبيبة بعد انتهائها: «حسنًا، سأكون بمكتبي، أي وقتٍ تحتاجين فيه إليَّ اتصلي، لا يهمُّ الوقت، كما قلتُ: قد يسبق الوقت لذلك، كوني مستعدة ولا تُجهدي نفسك لأجله على الأقل، لم يَقُم بإعداد كلِّ هذا لكَي تُشقِيَ نفسك صحيح؟!».

تنهَّدت وهي تقول: «ألا أستطيع زيارته؟».
هزَّت الطبيبة رأسها برفض: «تعلمين، هذا خطرٌ على الطفل، المكان عبارة عن أشعَّه طوال الوقت لمراقبة حالته».

بعد مغادرة الطبيبة خرجت من الباب وهي تقترب للبحر وتجلس على المقعد الخشبي، اقتربت الشمس من المغيب، جلست وهي تخلع حذاءها وهي تحرّك قدميها بالرمال، وعادت بذكرياتها يوم تنويمه، لم تستطع عبور باب القسم الخاص به، رأته على المقعد المتحرّك يقوده البروفسور المسؤول ليختفي أمام ناظرَيها وتنهار بالبكاء بعده خوفًا عليه وخوفًا بعده.

ظلَّت تخرج كلَّ غروبٍ على أمل الشروق التالي.

كان يدور بالغرفة لقلقه، وهو يقضم أضفاره ويتمتم بالأدعية لها.

في هذه الليلة كان الطقس عاصفًا، الرياح عاتية، والأمطار شديدة، الشاطئ مضطرب، والقمر مكتمل.

الأم تئنُّ، والطبيبة تتصبَّب عرقًا من القلق والتوتر، أغلقت هاتفها لكثرة الاتصالات، المساعدةُ بقلقٍ: «دكتورة سهاف، لا بدَّ من نقلها للمستشفى، سنفقدها على هذا المعدَّل، الوقت يمضي من أيدينا!».

سهاف تُدلِّك جبينها وهي تأخذ نفس: «لوري، كيف ننقلها؟! هل تُحلِّق المروحية بهذا الطقس؟! سنتخذ القرار خلال دقيقة».
تقدَّمت المساعِدة الأخرى: «دكتورة، البرفيسور يأمرك ببدأ الجراحة، وهو على الهاتف» وصَلَها صوت أندريس المرتجف: «سهاف، أنا أثق بك، لم أضعْك بجوارها إلا وأنتِ تستطيعين، انقذي كليهما أرجوك، فهناك ثالثٌ ينتظر»، وأغلق وهو يكبح بكاءه الذي أكمله بعد إغلاق الخطِّ لقلقه على روف وطفلها.

سهاف بعزم: «سننقذهما مهما مضى من الوقت، هيا» نادت روف التي كانت تفقد الوعي كلَّ دقيقة، أعطتها المخدر، وبدأت بإجراء الجراحة التي استغرقت وقتًا ليس بالقليل، محفوفة بدقة عالية جدًّا.

صوتٌ جديدٌ سمعه سكان الجزيرة، بقلوبٍ متلهّفة ودموعٍ ترقرقت، مسحها بعض الطاقم الطبي الذين ينتظرون خارج غرفة العمليات، على رأسهم البروفيسور الذي على تواصُلٍ مستمرٍّ مع أندريس.

بكا أندريس وهو يجلس على الأرض بتعبٍ وعرقٍ مُتصبِّبٍ من جبينه عندما قرَّب الطبيبُ الهاتفَ من القسم ليتَّضِح له الصوت.
ثم عاد يسأل عن روف وطمأنه الطبيب أنها بحالة شبه مستقرة، فقط بعض القيم منخفضة، وتحت المراقبة.
فتح أزرَّة جاكيتِّه العلوية وهو يتنفس بعمقٍ ويضع رأسه على المقعد الجلدي خلفه ويُمدِّد قدميه على الأرض ويُغمِض عينيه، ولكن قطع عليه دخول ماريا تلهث، بعينَين متسعتين، وخلفها إيفا.
اقتربت منه وهي تُمسِكُه وتبكي: «ماذا حدث؟! ماذا حدث؟! إلياس صحيح؟! هل تأذَّى؟!» وتهزُّه ولم تُعطِه فرصة للحديث، وهي تصرخ عليه: «لمااذا لم تمنعه؟».

أندريس وهو يحتضنها: «لا، ماريا، لاااا، إلياس بخير، فقط روف أنجبت قبل قليلٍ وكنتُ قلقًا عليها».

ابتعدت وهي تُخِفُّ من انهيارها: «ماذا؟! روز قالت: إنها سمعتك تبكي؟!»، ثم استوعبتْ ما قاله، وعادت تبكي وهي تربِّت على قلبها: «آه صغيرتي وحدَها، جابهت كلَّ الآلام ... آاااه».

إيفا تقترب منه وهي تجلس أمامه، وهي أيضًا اتضح بكاؤها: «خالي، لمَ كنتَ تبكي؟! هل روف بخيرٍ إذًا؟».

ركزتْ ماريا معه ليتحدَّث ويخبرهم: «أجل كان من المفترض أن تُنجِب بعد أسبوعٍ على خطة محدَّدة، ولكن كان هناك الكثير من المطر الليلة، ويبدو أنها نسيت النافذة مفتوحة، ودخلت المياه الغرفة، وأفسدت بعض اللوحات، وعندما تذكَّرت أنَّ النافذه مفتوحة وفي محاولتها لإبعاد اللوحات كانت الأرض مليئة بالمياه، وتسببت في انزلاقها، وتضرَّر الظهر لديها؛ مما صعَّب عملية الإنجاب، وخضعت لعملية ونجحت بصعوبة».

زحفتْ إيفا للخلف، وهي تبكي بخوفٍ على روف، وماريا عادت تُكمِل ما توقَّفت عنه.

دخلتْ جمان من خلف روز التي تقف وهي تبكي: «بابه .... بابه ...».
تعدَّل بسرعة، وهو يأخذُها بحجره، ويُربِّت على شعرها: «ماذا هناك؟ لماذا تبكين؟! أنا هنا» ويُقبِّل وجنتَها وهو يحتضنها بحنان الأب.
روز تقترب منه: «هل آخُذُها؟ يبدو أنها خافت عندما سمعت أصواتكم، البيت هادئ غالبًا».

أندريس: «لا، دعِيها ... ستنام بعد قليل، أجل ... ربما خافت»، وظلَّ يمسح على شعرها، وهي تُحدِّق به حتى نامت بأمان.

غمغمت ماريا التي تجلس على الكنبة أمامه: «تعلَّقتْ بك كثيرًا أندريس، وأنت كذلك! ماذا ستفعل؟».

أندريس بعد صمتٍ: «ربما يكون من المبكر، ولكن لن تذهب جمان من منزلي أبدًا، هي ابنتي الآن، والدها تخلَّى عن والدتها، وحصل على الطلاق منها، وتخلَّى عن الطفلة، هل أتركها أنا أيضًا ماريا؟».

ماريا: ر«هل ستبقيها تعيش معك من جديدٍ إذًا؟ أم هل ستتزوج خائنة؟».

أندريس وهو يناول الطفلةَ روزَ بخفَّةٍ لتضعَها بالسرير: «كل هذا الحديث سابقٌ لأوانه، المهم أنني لن أفقد جمان مرتين مهما حدث أختي».

.....
شروقٌ جديدٌ بحياتها مع ذلك الطفل الذي تسمع صوت بكائه بالقرب منها، فتحت عينها للتو بعد ليلة مضنية، كم تشوَّقت لرؤية وجهه وشمِّ رائحته، لكن لا تستطيع الحركة، الألم يدِبُّ بجسدها، اقتربت الطبيبة: ««لا تتحرَّكي أبدًا، سنقوم برفع السرير ونساعدك بذلك».

اعتدل السرير حتى أصبحت بوضعية الجلوس بالرُّغم من تثبيتها بالأربطة القطنية؛ لكي لا تتحرك أبدًا، حتى يستعيد ظهرها القليلَ من عافيته بعد العملية التي أُجرِيتْ بعد الولادة أيضًا.
كان اللقاء الأول لهما مُؤثِّرًا مليئًا بالبكاء والدموع، ثم قبَّلت وجنَتَه عندما قرَّبتْه الطبيبة لها، أغمضت عينيها، وابتسمت: «ذو رائحة المسك»، رفعت عينَها نحو لوري التي تدور بهاتفها تُصوِّر فيديو لهم.

الطبيبة تبتسم وهي تنظر للفيديو، ثم تلف الهاتف نحوها: «طلبٌ خاصٌّ من أندريس وأيضًا أراه تعويضًا مناسبًا عن قلقه الليلة الماضية، لم أره بهذا القلق منذ وقتٍ طويلٍ جدًّا».

روف وعيناها لا تزال آثار الدموع بها ابتسمت: «لطالما كان لي سندًا، مشاعر الأب الحنون، أغدقني بها كثيرًا، بالتأكيد يستحقُّ كل شيء جميلٍ».

عند أندريس: استيقظ وهو يتكئ بظهره للخلف، ويقوم بمسح وجهه بتعبٍ شديدٍ بسبب كوابيسه التي لم تتركه بعد مغادرة إلياس له، زَفَرَ وهو ينظر لهاتفه الذي أنارت شاشته، وقام بسحبه، وجد فيديو تم إرسالُه بواسطة الطبيبة سهاف، اتَّسعت ابتسامتُه وهو يرى الطفل، وبكاءه يختلط مع بكاء والدته المُتعَبه، وجهها مليء بالألم، وضع الهاتف على صدره عندما اقترب التصوير لوجه الطفل، تحدَّث بحنانٍ وهو يمرِّر أصبعه على الصورة بعد إيقاف الفيديو: «ستكون بطلَ والدك يا صغيري، أتمنى أن تكون بسلامٍ وعافيةٍ دائمة، أنت ووالداك».
نهض بنشاط، وقد تبدَّد بؤسه، وانفرجت أساريره، وعادت الابتسامة تشقُّ طريقها بملامحه.
وجد الإفطار على الطاولة، وروز تُجلِس جمان على كرسي الأطفال مقابل مقعده، ابتسم وهو يُقبِّل وجنتها عندما رفرفت بيديها، وفرح وهي تراه يقترب: «صباح الخير يا جميلة الجميلات» يراها تُردِّد بفرحٍ: «ببه .. ببه».

تنهَّد وهو يحدثها، وكأنها تفهم أحاديثه، هكذا اعتاد بعد بقائهم معًا: «أجل، أنا الأب المحظوظ بكِ أنتِ وأخيك وابن أخيك الآخر الجديد، هل أنتِ سعيدة؟!».

روز تبتسم نحوه: «لمن نَدِين بهذا الصباح المشرق؟!».

تنهَّد أندريس وهو يتكئ للخلف بمقعده: «آاااه ... للخالق أولًا؛ لإعطائه لنا هذه النعم، ثم للطفل ووالده وأمه وعمِّه الغائب، ولجمان ابنتي الحبيبة التي أدخلت السرور لحياتي» وابتسم حتى اتَّضحت غمَّازته التي أورثها بملامح إلياس.

روز وهي تطعم جمان: «هل اختارا اسمًا له؟».

هزَّ كتفيه: «ليس بعدُ، الأهم أنه الآن بخير، ووالدته بخير».

فزَّ وهو يرنُّ هاتفُه، ابتسم وهو يقف ليركض ويغلق باب مكتبه، ويفتح هاتفه بلهفةٍ، المتصل إلياس، تغيَّرت ملامحه بسرعة عندما لم يكن الصوت ذاك الذي يريده، حاول الحديث وحنجرته تجفُّ، ويعود لتبليلها بلُعابِه ليخرج صوته الذي توقف بحباله الصوتية، وكأنها نسيت وظيفتها بجسده، تكلم الشخص الآخر: «بروفيسور، هل تسمعني؟».
نطق وهو يشعر بتعبٍ يسري بجسده فجاءةً: «أجل، تحدَّث، ماذا حدث؟! إلياس!».

ضحك: «ههه .. لم يحدث شيء، لمَ أنت متشائم؟! إلياس بخير، حتى أنه يقوم بتجهيز مستلزماته للعودة، وقال وهو يخفض صوته: لقد حذرني من إخبارك، يريدها مفاجأة، لكن أعلم مدى قلقِك عليه».

سقط على الكرسي خلف المكتب، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ويخفض الهاتف على الطاولة، ودموعه تتدفق ليغلق الهاتف دون مُقدِّمات، يشعر بانخفاضٍ شديدٍ بمؤشِّراته الحيوية، سمع صوت ماريا، أراد مناداتها ولكن عجز لسانُه عن النطق، توقَّع دخولها ولكن سمع روز تُوقِفَها وهي تخبرها بورود مكالمة مهمة له.

وعندما شعَر أنه سيفقد وعيَه، ويعلم أنها لم تبتعد، حرك يده بصعوبة ليدفع ما سقطت يده عليه؛ ليرتطم بالأرض ليتحطَّم إطار الصورة الزجاجي، وفقد وعيَه، وهو يرى الباب يُدفَع بفزعٍ؛ ليسمع صرخة أخيرة لماريا.

بعد مرور ثلاثه أيام على مرور تلك الأحداث فتح عينيه بتعبٍ شديدٍ، اقترب إلياس منه وهو يتفحَّص عينيه بقلمه المضيء ونبضه، أزاح أندريس يده عن رقبته بغيظٍ بسيطٍ.

قطَّب حاجبيه، وهو يقف ويقترب منه: «أندريس، هل أنت غاضب؟!».

انهمرت دمعة من عين أندريس: «أسقطتني أخيرًا بقلقي عليك».

ابتسم وهو يقترب ويمسح عينه براحة يده، ويُقبّل خدَّيه برفقٍ، ثم جبينَه، ثم يديه بشوقٍ، حتى تحدَّث أندريس وهو ينفض يديه بعتبٍ لطيفٍ: «هل يكفي ذلك لإرضاء والدك؟ هل أعجبك؟ كيف أسقطتني طريح الفراش؟!».

تحدَّث وهو يرفع يديه ويُقبّلها مرة أخرى بحبٍّ كبيرٍ: «أولًا: اشتقت لك كثيرًا، على الأرجح أكثر منك، ثانيًا: حتى الفهود وهي الأقوى يسقطها التعب أبي، وأيضًا اعتبرها سبات الدب.. ههه .. -وعض على شفتيه- أقصد سبات الفهد المسنّ أتعبه الركض في أرجاء الغابة، وأنت في عرينك لم تَنقُلْك ماريا للمشفى لمعرفتها بغضبك الذي سيحصل عند استيقاظك .. أخبرتني روز أنك مصاب بالأرق، والقلق يلازمك بالطبع ستسقط أبي».

غمغم أندريس: «أتعني أني أصبحت مسنًّا! أكملها ههههه».
ثم ابتسم وهو يتعدَّل ليحتضِنَه ويُغمِضَ عينيه، وهو يقول بممازحة: «حتى لو استحممتَ كثيرًا، رائحة الشمس عالقة بك، ستزداد الفاتوره فقط ههه».

حاول إلياس الابتعاد، ولكن لم يتركه، ابتسم وهو يحتضن والده: «قُلْ: إنك اشتقت لي، ألا تستطيع الاعتراف بذلك ... ههه».

تراجع أندريس وهو ينظر له: «افتقدْتُك كثيرًا، شعَرتُ بالوحشة من كلِّ شيء، أكلني الفراغ رُغم انشغالي، هناك مكانٌ لم يمتلئ أبدًا، أهلكتني الكوابيس، غادرني النوم، انظرْ -وهو يتلمس ذقنه- تفوَّق الأبيض على السواد».

إلياس مدَّ يده ليلامس ذقن والده، ثم يعيد يده ليُقبّلَها؛ دلالةً على تقبيل شيبِه الأبيض: «أصبحت أجمل من ذي قبلُ، لأجلك فقط طلبتُ الانصراف مبكِّرًا، أعترف رُغم الصعوبات التي واجهتني إلا أنها كانت تجربة مثيرة، وأشدُّها خطورةً هي تلك المرَّات التي نُنقَل من المطار إلى المكان المقصود ... ساعاتٌ تحبس الأنفاس حقًّا».

زَفَرَ أندريس براحة، ثم تنهَّد بحزنٍ: «هل فقدتم أحدًا؟».

أحنى إلياس رأسه، ثم عاد يهزُّه بحزنٍ: «تسعة! بسبب الحمَّى الشديدة، لم تنخفض بأي شكلٍ كان، وكان ذلك هو الحزن والخوف الذي أصاب الطاقم بالكامل على مدار المدة، الكلُّ قلِقٌ من التالي، يتوجب على الجميع البقاءُ بأمان إذا أراد العودة، لن تثق

بأحد، العدوى تنتشر كالنار بالهشيم .. الجميع يقوم بمهمَّته المجدولة ويعود للمقرّ لا يخرج إلا نادرًا!».

ربَّت أندريس على يدَيه، ثم تذكَّر وهو يتناول هاتفه ويسأله: «هل التقيت مع أحد؟».

هز رأسه: «لا، لقد وصلتُ قبل ثلاث ساعات فقط، والوقت متأخِّر، هل الجميع بخيرٍ؟! جمان نائمة، لم أستطع إيقاظها».

ابتسم أندريس وهو يلفتُ الهاتف بسرعة، ثم يلقُّه نحوه أسرع، اتَّسعت عينا إلياس وهو يهزُّ رأسه لوالده بإشاراتٍ: «هل هذا صحيح؟!» ليبتسم بشدَّة وهو يناول ولدَه الهاتف، ويرى صورة الطفل، وقال وصوته يتزعزع: «أندريس، هل هذا طفل ألكاي؟! هذا ابن أخي؟! أنا أصبحت العمَّ الآن! .. أووووه ...» ويقف بفرحٍ وهو يبتسم حتى عاد بسرعة ليجلس متسائلًا بسرعةٍ واهتمامٍ: «روف، هل هي بخير إذًا؟ و....ألكاي أبي؟!».

أندريس يخبره بكلِّ الأحداث .....

روف تنظر له، ينام بالقرب منها، رفعت ناظريها للساعة بالحائط أمامها، تشير للثانية عشرة صباحًا، تنهَّدت وهي تنظر لسهاب تدخل عليها برفقتها كوبٌ يتصاعد دخانُه، ابتسمت لها وهي تساعدها بشرب محتوياته بهدوء.
سهاب باستغرابٍ لهدوئها، ولم ترفض تناوُلَه، ولم تقل شيئًا، شاردة الذهن: «روف، هل أنتِ بخير؟ أعلم أنك مُتعَبة، ولكن أنتِ لم ترفضيه، وصامتة بشكلٍ مُريبٍ قليلًا».

روف تُحدِّق بالكوب أمامَها على الطاولة بعدما شربته بالكامل: «يتوجب عليَّ إنهاءه، لن أرفض شرب أو أكل أيِّ شيء لكي أستعيد كاملَ صحتي، أنا بحاجةٍ إليها ... أنا ....» ولم تكمل جملتها وهي تعود لصمتها!

سهاب تقترب منها عندما سحبت الكرسي بجوار سريرها: «هل أخمِّن ما تريدين؟!» أكملت وهي لم ترَ أيَّ ردة فعلٍ منها: «تريدين رؤيته صحيح؟!».

هزَّت روف رأسها بالموافقة.

قطَّبت سهاب شفتَيها، وهي تقول: «هل تريدين ذلك حقًّا؟!» نظرت لها بسرعة لتُكمِل: «أستطيع أخْذَك له، ولكن هناك مشكلة واحدة».

روف باهتمام: «ماذا؟! منعتموني أثناء الحمل بسبب الأشعة بالقسم .....».

سهاب: «أجل، هذا صحيح، ولكن الآن أنتِ مُتعَبة، وإذا تعرَّضتِ لأيِّ انهيارٍ نفسيٍّ سيزيد ذلك ألمك، ويقلُّ تعافيك .... هل أنتِ متأكدة؟».

روف تتنهَّد: «على الأقل لن أراه يهرب بنظراته عني لكي لا أرى عجزه عندما فقد حركته قبل خمسه أشهر».

سهاب بأسى: «وإذا كان أسوأ من ذلك روف، هل تستطيعين؟! وأيضًا ستكون هذه المرة الوحيدة لك، وسيتم حجزُك عن الطفل لمدة أربع وعشرين ساعة، فكِّري جيدًا، ناقشتُ رغبتك مع البروفيسور أدولف، وقال: لن تراه إلا هذه المرة فقط، مهما حصل، لا نريد تسرُّب أي غازات أو أشعَّة من القسم عبرَها لتنقُلَها للطفل، وأيضًا القادم مؤلم، ولن تستطيع الرؤية، معك أسبوع لتختاري يومًا مناسبًا».

روف بلعتْ ريقها، وقلبها يتألَّم بشدَّة، ودموعها تنهمر: «هل يشعر بالألم سهاب؟!».

سهاب: «لا، أنتِ من ستتألم، صدِّقيني، اتخذي قرارك بحكمة، إن أردتِ نصيحتي: دعِيه برعاية خالقِه، وارعِي طفلك، وانتظريه بصحة وسلامة».

روف نظرت لعينيها، ثم نطقت بتردُّد: «لو كان موراي مكانه، ماذا ستفعلين؟!».

لمعت عينا سهاب، وامتلأت بالدموع: «سأراه، ولو أتيتُه زحفًا روف، أتمنى أن يعود لكم بخير» وقفتْ وهي تجاهد دموعها.

شعَرتْ روف بندمٍ شديدٍ لجلبها هذا المثال الذي أثار آلام سهاف لذكرى زوجها المتوفَّى، والذي كان سبب كلِّ يومٍ جميلٍ في حياتها، ليرحل ذات ليلة، لم تكن مستعدة حتى لتوديعه، كانت تخطط لإخباره بحملها، بالتأكيد سيكون سعيدًا، ثم تعود لعالَمِها المظلم ليختطف طفلها حديث الولادة من قِبَل عائلتها، التي كانت معارِضة لزواجها لإرغامها بالزواج من قريب العائلة الثري، والذي يبحث عن زوجة أخرى، ثم ذلك امتنانُها طوال حياتها لذلك الشخص الذي ساعدها لاستعادة طفلها منهم، رُغم أنه كان رئيس المشفى الذي تعمل به فقط، أندريس عند معرفته زارها ومدَّ يد المساعدة لها بكلِّ طريقة حتى استعادته، وهيأ لها منزلًا على رغبتِها؛ حيث أرادت الابتعاد عن المدينة وكلِّ شيء، حينها عرض عليها ملف ألكاي، وجهَّز منزلها الصغير على هذه الجزيرة التي اختارت السكن فيها طوال بقائهم عليها، واختارت مرافَقة الطاقم، وتقديم قصوى المساعدة التي بإمكانها لهم.

- سهاف، أعتذر أنا .. أنا ....

سهاف وهي لا تزال تنظر أمامها، وتعطيها ظهرها، سمحت لدموعها بالانسكاب: «لا عليك روف، أخبرتُك: كنتُ سأذهب له، أخبريني غدًا بما تريدين، وسأفعل ما أستطيع».

تمدَّد بتعبٍ على سريرة، وهو يحدِّق بالسقف، لا يزال يشعر بعدم الاستقرار، تفكيره لم يستقرَّ حتى الآن، عودته كانت معجزةً حقًّا، لم يستطِعْ أن يخبر والده أنه عاد عندما خاف قائده إصابته بعد انتشار العدوى بكافة مبناه، هو على معرفة جيدة بأندريس، يشعر إلياس بالضعف لأنه انسحب لا ينكر خوفه، لكن سيبدأ ببحثٍ لصناعة مضادَّات لهذا المرض، لعله يكفِّر عن شعوره ويُخفِّف من جَلْد ذاته.

غفى دون إدراك بتعبٍ ليستيقظ على قُبلة على جبينه، ابتسم وهو يرى والده يمسح على وجهه.

فتح إحدى عينيه وأغلق الأخرى بسبب النور المنبعث من النافذه: «ماذا هناك أبي؟! ألا تزال غير مستوعب وجودي لهذه الدرجة لِتُوقِظَني من نومي ... لا، وبقُبلة على جبيني، ولكن النافذة ....!».

أندريس: «انظر كم الساعة؟ اقتربت للواحدة مساءً، ماريا تنتظرك بالأسفل منذ الصباح، ألن تذهب لها؟ المسكينة قلقتْ عليك بشدَّة».
فتح عينَيه بتركيز، وهو يرفع شعره عن جبينه بسرعة، ليتحدَّث والده ضاحكًا: «لم تأتِ معها إيفا ... هههه».

إلياس مصطنعًا اللامبالاة: «أعلم ذلك، حسنًا سآتي بعد دقائق».
.....

في ذلك المساء، عاد إلى المنزل بعد العشاء مع إيفا بالخارج، سمع صوتًا صادرًا من مكتب أندريس، اقترب ليُلقِيَ عليه التحية؛ لأنه لا يزال مستيقظًا، توقف عندما سمع صوت ذلك القائد من الفريق الطبي: «أجل أجل، لقد تعافى الجميع بالفعل، نشكر جهود مركزكم الطبي، سيعقد المؤتمر القادم لديكم، أتمنى أن يكون بحثُك ذاك قد انتهى حينها ليستحقَّ تعبك لعقد هذا المؤتمر لديك، مؤمنٌ أن بحثك سيكون نقلة أخرى لمرضى *** ألم تستغرق ثمانية عشر عامًا؟! ليست بالقليلة، إما أن تنجح أو استسلم أندريس».

أندريس بتعب: «أنا بالفعل أُكثِّف جهودي، تبقَّى قرابة الستة أشهر للمؤتمر، أتمنى أن تحدث معجزةٌ، وأحل بها هذا، لا أريد لجهود تلك الأعوام أن تظل محاوَلةً فقط، المهم

إلياس، لا أريد أن يعلم أنني من طلبت عودته، لا تخبره أنَّ العقَّار تم استخدامه من قبل أن يعود، المكان صعبٌ عليه، أنا حقًّا لم أستطعْ أن ...» فتح الباب بقوة ليقف إلياس أمام والده بعينين حادَّتَي النظرات، وحاجبين منعقدتين بشدَّة نظرةٍ لم ينظر إليه بها من قبلُ، شعورٌ جديدٌ عليه، هل خذلانٌ من والده؟!

أغلق أندريس الهاتف بارتباكٍ دون أن يودِّع صديقه، تحدَّث بصوتٍ متوتِّر: «إلياس! متى أتيت أنت؟!».
تقدَّم إلياس ليقف أمام مكتبه: «هل أرسل مركزك للأبحاث الدواء بالفعل؟! هل جعلتني أعاني ضميري لأيَّامٍ؟! أنا لم أستطع أن أخبرَك، خجلتُ أن أكون استسلمتُ وفررتُ بنفسي! أنت كنت ... -أغمض عينيه بغضبٍ- أاابي، أنا أنا استصغرتُ نفسي الليلة عندما سألْتني إيفا عن سبب عودتي! لم أستطع أن أقول: فررت من الحمَّى، آاااه والتي قام والدي بإرسال الدواء، ولكن طلب عودتي، ولأنه بروفيسور فلا أحد يرفض طلبه لكي أعامل بتدليل دون غيري، لم أستطعْ حتى أن أقف خلف قراري البسيط هذا!
أردتُ بذل جهدي الخاص لمرة واحدة أن يُنظَر لجهدي دون ذكْرِك أنتَ، دائمًا أعلم أنك ناجح، ولكن أنا لا أزال أقارن بك في كلِّ مكانٍ، هذا فقط المكان الذي لم يذكر اسمك، بل ذُكِرتْ جهود الطبيب إلياس، سهرتُ وأنا أخطِّط ليومي غدًا كم شخصًا سأتمكَّن من مساعدته؟ كم دمعة ألمٍ سأزيلها؟ أعلم -ولا أنكر- أنني خفتُ من المكان والمرض، ولكن أردتُ ألَّا تتدخَّل هذه المرة، إذا استخففتَ أنت بجهودي فمن سيقدِّرُها إذًا؟!!!!» وغادر دون أن يتحدَّث والده.

أغمض أندريس عينيه ورفر بشدَّه : اااااوف هذا متعب جدًا كيف لهذا أن يحصل ! رن هاتفه للمره الثانيه ولكن عاد ليغلقه ويحني رأسه

.....

بعد رؤية روف لألكاي، تفاجأ الطاقم بعدم إبداء أي ردة فعلٍ سوى إغماضها لعينيها وطلب المغادرة، ولم تستغرق سوى خمس دقائق، التي ظلَّت تحدِّق بها فيه من خلف الشاشة بالغرفة المجاورة، كانت هناك أبخرة تُغطِّي كبسولته الزجاجية التي ينام بها شاحب الوجه باهتًا، شفتاه زرقاوان، وكأنه جثة هامدة تم تحنيطها.

بكت روف عندما تم إغلاق باب غرفة العزل عليها لمدة أربع وعشرين ساعة، لا تقوى على الحراك كثيرًا رُغم مرور أسبوعين على ولادتها، انتحبت ليلتها كاملة ثم ظلَّت تئنُّ ألمًا حتى دخلت سهاب بغطاءٍ عازلٍ لتحقِنَها بمُهدئ أخذها لعالم النائمين.

زَفَرَتْ بخفَّه، وهي تراقب الطفل ينام بعد ليلة طويلة من بكائه، تعلم أنَّ روف انتكست آلامها كثيرًا، هزَّت رأسها بحزنٍ عميقٍ، قبَّلت الطفل، وتمدَّدت سهاف بجواره، وطفلها ينام بالسرير الآخر.
.....

مرَّت الشهور وإلياس يحاول تخفيف امتعاضه من والده بمحاولة تفهُّم ذلك الأمر الذي أورقه ليدخل ذات يومٍ على والده بغُرفتِه قبل أن ينام وهو يقول: «أبي، ماذا يحدث مع العمِّ ليمان؟ هل هو مصاب بالخرف؟! أم ماذا يحدث؟!».

أندريس يخفض شاشة اللابتوب بتركيز: «لماذا؟ ماذا فعل ليمان؟!».

35. ألتان "الفجر المشرق"

إلياس بجدِّية: «يقول لي: ألم تتحدَّث مع ألكاي؟ لقد تحدَّثتُ معه اليوم وهو بخير، ويستمرُّ في العلاج، وقد رزق بطفلٍ، والآن بعمر خمسة أشهر، وهو بخيرٍ أيضًا، وقد أسماه (ألتان)! ما هذا أبي؟ أنا أعلم، ولكن كيف تحدَّث معه؟! ماذا يحدث؟!».

أندريس يتنهد بأسى: «آاااه، هذا يؤرِّقني حقًّا، اجلس سأخبرك».
أكمل وهو يرى إلياس يجلس على المقعد المقابل له: «ليمان بسبب انهياراته المتكرِّرة وذلك بسبب خوفه الشديد على ألكاي أخبرني الطبيب أنه مهدَّد بالسكتة الدماغية، وأن قِيَمه غير جيدة، وذلك قبل أعوام عديدة، وعندما علمنا قبل عامين تقريبًا أنَّ هناك تجربةً مُثبتةً، وقد يخضع لها ألكاي، بحث عن شركات مختصة بالذكاء الصناعي، والتي طوَّرت له روبوتًا خاصًّا يُدعَى(إي إل).
والذي تمَّ تسجيل صوت ألكاي (الصوت الرسمي)، وتمَّ تطويره منذ ذلك الوقت، وإدخال الأجوبة والأسئلة المألوفة، وتم تطويره حتى أصبح يجيب بالصوت بعد إدخال الأجوبة كقيمٍ مكتوبةٍ له بعد طرح الأسئلة عليه ليجيب دون انتظار وقتٍ طويلٍ؛ مما جعل ليمان يظنُّ أنه (ألكاي)؛ أي أننا نتعامل مع الكثير من الأشخاص والأشياء الأخرى ... خلاصة الحديث: ليمان، ماريا، حتى إيفا، لا أحد يعلم بحقيقة الأمر، والتي هي تجميدُ ألكاي، نحن فقط الأربعة من نعرف كلَّ هذا!».

إلياس يُمسِك رأسه: «أووووه ... في كل مرة تُشعِرونني بالبعد عنكما، لن أسأل لمَ لمْ تُخبِروني؟ ولكن: ألن يطلبوا لقاءه أو زيارته؟».

أندريس: «ما دمنا هنا (أنا وأنت) لن يطلبوا ذلك؛ ليصدِّقوا أن زيارته ممنوعة، ألكاي يفعل ما بوسعه؛ لكي لا يشعروا بغيابه».

.....

تُحدِّق به، وهو يضحك لسهاف التي تتحدَّث معه بلُطفٍ، وتُحرِّك يديها أمامه، وهي تضحك وتداعبه وهي تقول بحب: «ألتان، هل أكملت عامك الأول، وتقوم بتقبيل يديه التي تتشبَّث بها في محاولته للاتزان بوقوفه».

سهاف التي حملتْ ألتان بحجرها: «ماذا هناك؟ لماذا تحدِّقين بنا بصمتٍ؟! أنتِ تُخِيفِيننا ... ههه!».

روف تبتسم لطفلها الذي ينظر لها: «معجبة بهذا الكائن اللطيف الذي يبدو لي أنه أصبح يُفضِّلك عليَّ هذه الأيام! صحيح ألتان؟».

ألتان يمد يديه نحوها لتلتقطَه وهي تحتضنه وتقبِّله.

سهاف تبتسم وهي تتكئ للخلف: «لم أرَ تشابُهًا بهذه الدقة سوى ألتان ووالده فقط، اكتسب لون الشعر من شعرك حقًّا ... عينا ألكاي! الشبه مرعب ... هههه».

قبَّلت روف عينيه وهي تبتسم.

سهاف تضحك بصوتٍ عالٍ: «ألتان تحمَّل يا بني، ستظلُّ تقبِّل عينيك حتى يعود والدك ... ههه».

.....
لا تزال الصحف تضِجُّ بالخبر حتى بعد مرور تلك المدة.
"البروفيسور أندريس الذي أتتْ بحوثُه لقرابة العشرين عامًا ثمارَها في مساعدة البشرية باكتشافه العظيم لعقَّاراتٍ عديدةٍ لعلاج الكثير من الأمراض النادرة، والتي أصبحت تنتشر بشكلٍ ملحوظٍ ومُؤرِّقٍ بين المستشفيات والأطباء، الذين أصبحوا لا يجدون له حلًّا نهائيًّا".

أغلق الشاشة المعلَّقة بالحائط أمامه، وهو يتنهَّد، ثم يقوم بفتح رسالة البريد، تلك التي غيرت حياته، وأنهت تعب السنين.
أغمض عينيه وعاد بذكرياته لتلك الليلة .....

-بعد عامٍ من غياب ألكاي-
كان أندريس كعادته يمضي معظم لياليه في مكتبه، يُقلِّب الملفات ويعيد مراجعتها ليَجِدَ ما غفل عنه؛ ليربط بينها، ويخرج بالنتيجه النهائية، وكانت تلك الليلة إحداها؛

حيث وضع رأسه متعبًا بعد أن أغلق الملف ليجلس من جديدٍ عندما رنَّت رسالةٌ، سَمِع صوتها في هدوء المكان حوله، رفع هاتفه ولم يجِدْ شيئًا، أغمض عينيه وهو يدلِّك ما بين حاجبيه بإرهاقٍ، فتح عينيه بتركيز عندما أنارت شاشة كمبيوتره المحمول، والذي كانت شاشته على وشك الإغلاق بعدما خفضها بيده؛ لتُنير على لوحة المفاتيح.
رفعه، وهو يُحدِّق بشاشتِه، الزاوية اليمنى، تحمل إشارةً لرسالةٍ واردة بالبريد.
نظر للساعة بجوار البريد - تُشير للثانية صباحًا، قطَّب حاجبيه باستغرابٍ، قام بتحريك أصبعه بخفَّة على لوحة التحكُّم ليفتح قسم الرسائل الواردة، رفع حاجبيه لدهشته الشديدة!
كانت مرسلةً من قِبَل ألكاي! فتح الرسالة وبدأ يقرأ، ثم حمل الملف المُرفَق لترتجف يدُه بعدما تمَّ إصدار أمر الطباعة لتخرج الأوراق مندفعةً بسرعةٍ من الطابعة الصغيرة على يساره.
قام بسحب الورق، ويداه ترتجف، وهو يحدِّق بمحتواه الذي ألجمه، لتسقط أخيرًا الأوراق من يده، وهو يقف بسرعة، ويضع كلتا يدَيه على رأسه بصدمة أفقدتْه الحروف للتعبير.
أكمل القطع الناقصة في البحث ألكاي؛ أي (ذاكرة الفولاذ)، بالفعل حلَّ الأحجية، عاد ليرى الرسالة الجديدة الواردة، والتي وصلت الآن!
"هل أنت مُدهِش أم بالفعل كنت قد توصَّلت للحل النهائي؟ تأخرتُ عليك، حسنًا .. حسنًا .. أيًّا كان أنا أعتذر، دخلتُ مكتبَك يومًا، ووجدت الملف في الدرج الشِّبه مغلَق، قادني الفضول حقًّا، ظننتُ أنه ربما يخصُّني، ولكن دُهِشتُ من تلك التواريخ التي مرَّت عليك وأنت تجمع، وبعد دراستي لها، التي استمرَّت بالفعل أشهُرًا، استطعتُ أن أجِدَ بإحدى تجارِبك الحلَّ المتوقَّع، ولأنك بذلْتَ لأجلي كلَّ وقتك وحياتك، هذا أقلُّ ما تُقدِّمه لك ذاكرتي الثمينة قبل فقدانها لكلِّ شيء، أتمنَّى أن تكون وصلتْك الرسالة في الوقت المناسب، إذا لم أكن على ما يرام وقتَها .. تفهم؟! أرجوك، وكعادتك، انقِذْ كلَّ من تستطيع، أنت طبيبٌ عظيمٌ".

لم يعرف: ماذا يفعل؟ وهو يخرج مسرعًا ليُوقِظ إلياس النائم، وهو يرتجف ليحتضنه.
إلياس بفزعٍ بعد رؤيته لوالده بهذه الحالة: «أبي أبي، ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟! ألكاي! هل حدث له شيء ما؟!
أرجوك تحددددث!».

أخبره وهو يبكي أثناء حديثه، ويشرح له كلَّ شيء، ولماذا؟ وكلَّ ما فعله ألكاي.

فتح عينيه عندما دخل إلياس وهو يقول: «أبي متى سيتمُّ تنويم ألتان؟».

أندريس يتفقَّد التاريخ: «آه ... لا يزال أمامه نصفُ عامٍ، إذا نجحت الناقلات بالتطابق بينهما سيتمُّ تنويمه بنهاية هذا العام، أوشك على تخطِّي السنوات الأربع، لماذا؟!».

إلياس يجلس بتعبٍ: «أنا قلقٌ على روف، ماذا سيحدث عند أخْذِ ألتان منها؟!».

أندريس -بضيقٍ-: «أفكر بالذَّهاب وقت التنويم لمساندتِها» وافقه إلياس الرأي.

.....

بقيتُ أنتظر ذلك الشروق برفقتك ...
لا أعلم لمَ اقتصر وقتنا على الغروب دائمًا؟!
لم أحسب الأعوام بل حسبت الأيام!
ها هي أصبحت ألفًا ومئتين وثمانية وسبعين يومًا حتى هذه اللحظة!
كم يومًا سيزيد على ذلك؟!
في كلِّ مرة أتمنى ألَّا تزيد، أصمتُ بسرعة خوفًا من أن تتوقَّف بالفعل دون عودتك، فأنا أصبحت أخاف حتى من بعض الأمنيات .. كما اعتدتَ أن تقول!

كانت تحدِّق بلوحتها التي أنهتها بالفعل، كتبت عنوانها على الكَرْت المُرفَق (الشروق بقلبي).

دخلت سهاف: «آه ... لا ... هل تمَّ تغليفها بالفعل؟ أريد رؤيتها!».

ابتسمت روف: «ستَرَينَها بالمعرض، لا عليك، أخبريني بالمستجدَّات إذًا».

سهاف وهي تخلع معطفها: «ماذا أقول؟ الجميع يتمنَّى لقاء الفنانة العظيمة لهذه الأعمال، وهناك طلبات كثيرة من معارضَ عالميةٍ لعرض بعض لوحاتك لديهم».

روف وهي ترفع اللوحة وتضعُها بجوار الجدار بعد تغليفها جيدًا: «فعلتُ كلَّ هذا لأجله، لا رغبة لي في الشُّهره حقًّا ولا الثروة، ولكن هذا هو سير العالم».

سهاف تبتسم: «انظري إلى أين وصلتِ خلال الثلاثه الأعوام؟! أنتِ الفنانة الأكثر شعبيةً، والتي يتمنى الجميع رؤيتَها، سيفتخر بك بالتأكيد».

بالمساء، أخرجت روف الصور كعادتها وهي تعرضها أمام ألتان، والذي اعتاد على ذلك، كانت قصصه ما قبل النوم منذ بلوغه العام الأول.
قبَّلت يده التي أشار بها على صورة ألكاي وهو يقول: «بابا»، وينتقل للتي جوارَها «لاس» أي إلياس، أكملت بقيَّة الصور وهي تُريه أندريس، الذي قال وهو ينظر لها: «أديس» ارتفعتْ ضحكاتها بحبٍّ.

ربَّتت على شعره بعد أن غطَّ بالنوم وبدأت تحدِّثه: «أعتذر يا بني، الأطفال غيرك ينامون على قصصٍ شيِّقة، وجميلة، بينما أنا ماذا أفعل؟ لكن أريد أن تغدو مُحِبًّا لعائلتك، وفخورًا بهم، أن تصل بحبِّهم أقصى المراحل، أن تكون ممنونًا لوجود العائلة ودفء العائلة والاكتفاء بهم».

.....

إلياس يضحك وهو يفتح باب المنزل لتدخل جمان ذات الخمسه الأعوام، وهي تُردِّد: «بابا .. بابا».

لتحتضن أندريس الذي خرج من مكتبه يستعدُّ للذَّهاب: «أهلًا بطفلتي الجميلة» ويرفعها بحجره ويحتضنها: «هل أنتِ بخير؟».

جمان وهي تُمسِك بيده وتخفض عينيها له: «لا أريد الذهاب لها، هنا أبقى».

أندريس وهو يرفع عينيه نحو إلياس الذي ينظر نحوه: «ماذا تفعل أمك؟ هل تُغضِب جمان؟!».

إلياس يضحك: «هههه ... أمي تشتكي بسببك، تقول: دلَّلها كثيرًا، لم يَعُد هناك ما يُعجِبُها».

أندريس: «تستحق الدلال أميرتي الصغيرة، أوصل رسالتي لوالدتك: إن لم تُلبِّ كافَّة متطلباتها ....» دخلت من خلف إلياس وهي تقول: «ماذا سيحدث إذًا؟!».
- حقًّا دلَّلتَها كثيرًا أندريس، لم أَعُد أستطيع السيطرة عليها!
وقف وهو يُمسِك يدَ جمانَ بيده، وهي تقف بجواره، هزَّ كتفيه: ««لا تدخلوا بيننا إذًا».
وغادر بعدما قبَّل وجنتَي جمان، واحتضنها وودَّعها.

جلست والدة إلياس بعد أدارت نظراتها بالمنزل، ثم تقدَّمت لتجلس على إحدى الكنبات أمام إلياس، الذي جلس وهو يتحدَّث مع أخته، نطقت بتردُّد: «ماذا أفعل إلياس؟! هل ستبقى بيننا جمان، وأظل أعاني معها؟!».

تحدَّث بعدما أخذت جمان هاتفه وابتعدت قليلًا تلعب به: «تعلمين أنَّ أندريس سيحسن تربيتها كما فعل معي، ممَّ أنتِ قلِقة؟! أما إن كنتِ تأمُلين أن يُعِيدَك أبي فذلك مُحَالٌ».

- لماذا؟ ألست أستحقُّ ووالدك أيضًا.

قطع حديثها: «أبي يحبُّ جمان لا أنتِ ولا والدها الذي أنجبها، لم تعتنوا كما اعتنى بها، ولو حاولتِ منْعَه من رؤيتها لتحقيق مبتغاك ستخسرين حتى جمان، أندريس تخلَّى عن الكثير في سبيل العناية بها، لم يستطِعْ نسيان خيانتك، هو لم يُحمِّل جمان ذنبًا لم تقترفْه فقط، وهذا الفرق بينكما، كوني ممتنةً، لم تشعر جمان بفقدان الأب أبدًا ...» ووقف وهو يقول: «هل لك المغادرة قبل عودته، يمكن لجمان البقاء، أنا لن أخرج اليوم».

نظرت إليه: «لا تزال حادَّ اللسان كما اعتدْتَ».

ابتسم وهو يقول: «ذاك هو سلاحي إذًا».

بعد مرور الوقت كان يحدِّق في جمان تنام بغرفتها، لا تزال موجودةً رُغم انتقالها مع والدتها من عامٍ مضى، ظلَّ يحدِّق بشرودٍ عن حالهم: "هل يألف الانسان الغياب؟! كنتُ أعتقد ألَّا تستمر حياة أيٍّ منا بعد مغادرته، ولكن لمَ كلُّ هذا الاعتياد المريب؟! لمَ استمرَّت الحياة وكأنه لم يكن يومًا مصدر اهتمامنا الدائم وقلقنا عليه؟! هل نام؟ هل استيقظ؟ هل هو بخير؟ لمَ الآن الكلُّ صامتٌ؟ لمَ اختفت تلك الأسئلة التي قاسمتنا روتين الحياة؟ رُغم شعوري بفقد جزءٍ من روحي وأيامي، أنا مستمرٌّ، هل هو الانتظار إذًا؟!".

قطع حبل أفكاره والدُه، الذي أطلَّ برأسه مبتسمًا، وهو يجد جمان لا تزال هنا.

.....

انقضت الأيام سريعًا على من يعيشون تفاصيل حياتهم بهدوء واستقرارٍ، وبالرُّغم من بطء ذلك على المنتظرين إلا أنها تمرُّ حتمًا.

كانت روف تنتفض وهي تبكي، دموعها تتسابق واحدة تلو الأخرى، صدرها يهبط وينخفض بسرعة، أمسكها أندريس وهو يحتضنها ويمسح على ظهرها، ولكن كطائر ابتلَّ في بركة الماء، ولم يعرف طريقًا للنجاة، تحدَّثتْ بلعثمة وهي تبكي وتشكي، حتى شعَرتْ بانهيار شديد، ليحملها أندريس بعدما تراخت من بين يديه، ويضعَها على الكرسي المتحرّك، الذي طلب تجهيزه قبل إدخال ألتان اليوم التنويم؛ لتنهار بعدما قبَّلتْ جبينه، واشتمَّت رائحته بعد ماتم إعطاؤه المنوِّم، وغط بالنوم، ثم إدخاله لذلك القسم البارد بشدَّة، والذي لم يدخله أحد سوى المُشرفين.

كان يقود الكرسي خلف الممرِّضة، ودموعه تنهمر، قلبه يعتصر بالألم عليها بشدَّة، فتحتْ عينيها وهي تحاول استيعاب المكان، دارت برأسها، يدها موصولة بمحلولٍ مُرخٍ للأعصاب، أدارت رأسها لتجِدَ أندريس ينام على الكنبة الصغيرة بالقرب منها.

ثم أدارت رأسها للجهة الأخرى لتجِدَ سريرَه فارغًا، لا صوت لضحكاته ولا بكائه، تقوَّست شفتيها، ابتلعت غصَّتها عدة مرَّات، تشعر بالفراغ، الخوف يداهمها، الوحدة! نظرتْ للأعلى، وتحدَّثت بألمٍ ورجفة: «لنعيش سويًّا بسلامٍ ذات يوم أرجوك»، وانهمرت دموعها ليستيقظ أندريس، ويقترب منها، وهو يمسح على يدها بحنانٍ، ويمسح دموعها ويقول بثقة: «أتظنين أنه لا يراك ويعلم ألمك؟! خذي هذا» وهو يضعه بيدها (جهاز صغير).
نظرت به مستفهمة ليكمل: «أخذتُه منهم، سيبقون يراقبون بالتناوب طوال الوقت، لن يغفلوا ولو لثانية، ولكن أنتِ أول من سيعلم بنجاح التجربة قبل الجميع».
نظرت به وعيناها تتجمَّع بها الدموع، وتُقبِّل الجهاز الصغير الحجم ذا شاشة بلونٍ أبيض.
اقترب -وهو يشير في الشاشة-: «عندما يضيء بالأخضر هنا يهتزُّ الجهاز ليُعلِنَ اكتمال النقل، وأنه تبقَّى حقنة استيقاظهم فقط، رجوتهم لأجلك، وصعَّبتُ عليهم العمل، ولكن أنتِ من تستحقِّين ذلك».

تقوست شفتيها من جديدٍ وهي تعَضُّ عليها للداخل تمنع بكاءها: «حقًّا أنت أبٌ رائعٌ، شكرًا لك»، وظلَّت تحدِّق بالجهاز.

ابتسم أندريس وهو يقف ويُخرِج المصل من يدها، ويُلصِق عليها لاصقًا طبيًّا صغيرًا: «أنتِ ابنةٌ رائعةٌ أيضًا، جعلتِني قلِقًا طوال الوقت، ولم أستطع تركَك في مثل هذا اليوم»، أمسك يدها: «هل تستطيعين النهوض؟ أريد رؤية مرسَمِك».

هزَّت برأسها لتقِفَ وتتمسَّك به، ويذهبان إلى المرسم.

دهِش أندريس لجمال اللوحات، وبالأخص تلك التي عُلِّقت بالمنتصف، نظر إليها وهو يشعر بالبكاء حقًّا ودموعه تُشوِّش رؤيته.
- أنهيتِها قبل يومين، واستغرقتْ قرابة العام!
قام بجرِّها وهو يوقفها أمام اللوحة، ويبتعد ليلتقط صورةً لها مع لوحتها؛ التي قامتْ برسم العائلة كاملة، ومعهم ألكاي يَحمِل ألتان بحجْرِه! ثم اقترب لينظر لعُنوانِها الذي ألصِقَ ببطاقة معدنية بجانبها: "المجرَّة حولي"!

ابتسم وهو يمسح على أطراف اللوحة، كانت الأكبر حجمًا، والأجمل بالفعل، الجميع بالرسمة، وكأنها التُقِطتْ بمنزل ماريا، الذي صوَّرتْ تفاصيله باللوحة
.....

كانت تمرُّ الأيام عليها وهي تنتظر اهتزاز الجهاز المربوط بحزامٍ على خَصرِها، لا يفارقها أبدًا، رفعت رأسها لتخفض الألوان وهي تقف وتخرج للشاطئ القريب منهم، وهي ترى سهاف تُشير لها بكوبين تحملهما بيدها.

تحدِّق في الشمس التي أوشكت على الغروب، تنهَّدت وهي تُحرِّك يدها حول الكوب الذي بيدها.
- روف هل أستطيع سؤالك عن شيء ما؟
روف تبتسم وهي تنظر للطبيبة التي مع الأيام نشأت تلك الرفقة اللطيفه بينهما:
«أجل».

- كيف كان لقاؤكما الأول أنتِ وطَور القمر -كما تقولين عنه-؟! أي متى كان؟ ومن أول من اعترف أو أعجب بالآخر منكما؟ هذا سؤالي، فهمتِ! صحيح!.

تنهَّدت مرةً أخرى وهي تبتسم: «أجل، فهمتُ السؤال الأشهر في أغلب المجتمعات .. أمم ... لقاؤنا الأول لم يكن جيدًا، ولكن كان في عيد ميلادي الثامن عشر "فتى وَقِحُ الكلام، فاخرُ المظهر، يحتفُّ بالرّيبة والغموض بلباسه الأسود، عيناه الحادتان تخلوان من أيِّ مجامَلة أو حتى اصطناعٍ للُطْفٍ ... إلى آخره ... ههه، ثم بعد ذلك عدة لقاءاتٍ مُصادَفة أخرى ...» قاطعتها: «أي أنها جميعها محضُ صدفةٍ ... ههه؟».

روف وهي تزمُّ شفتيها قليلًا بتفكير: «أي أنها القدر! وما الصدف إلا خيوطٌ له .. أليس كذلك؟!».

: اووه هذا كلام رائع حسنًا ماذا رائيتي بالضبط في هذا الفتى لنقل ليله ميلادك تلك لم اردتي الحديث معه ؟

- آاه لديَّ عمقٌ عجيبٌ في فهم حديث العيون أكثر من كذب الأفواه ...عيناه عمقها غريبٌ تدفع المرء للفضول، يسكنها الحزن، الكُره أيضًا، والملل، وقليلٌ من الخوف والقلق.

- أهاا وبعدها إذًا ... أي: متى أدركتِ أنك أحببتيه؟
- لا أعلم حقًّا، ولكن بدأ الوضع بخوفي عليه، الرغبة بحمايته، حقًّا لا أعلم متى بدأت؟ ولكن كان ذلك سريعًا جدًّا، حتى أنني لم أدرك ذلك».

- ههه ... إذًا أنتِ اعترفتِ قبله؟

حكَّت جبينها وهي تبتسم: «لا .... أي أنه لم يعترف أيٌّ منَّا».
بعينين متسعتين: «ماذا؟! هههه ... هذا غريبٌ حقًّا! كل هذا الحب والتضحيات، ولم تعترفوا بذلك؟!».

روف تقف وهي ترى الشمس قد غَرَبتْ، أظلم المكان قليلًا: «لنُكمِل بالداخل، لدينا الكثير من الوقت».

اقتربت من اللوحه التي شرَعتْ في رسمها منذ مدة قصيرة، وتحدَّثت وهي ترى سهاف تمدُّ إليها كوبًا آخر من القهوة، وتجلس بالقرب منها: «أتعلمين؟ ألكاي لا يعترف بالحبِّ بكلماته المتعارَف عليها؛ كـ (أحبك، أعشقك، وما شابهها)، لم أرَه يومًا يقولها لأحدهم، حتى عائلته وأصدقاؤه، هو لديه تعبيرٌ آخر؛ أي نحن نعبر بالأفعال لا بالكلمات، لا نثق بأحاديث الحب وحروفه، مواقفنا هي من تُعبِّر بذلك، لحظات الحزن والفرح والصعاب التي نعيشها سويًّا، ما هي إلا إحدى تعبيراته!
مثلًا: عندما أبكي يمسح برفقٍ على يدي، ثم يزيل دموعي براحتَيه، يجلس بجواري، لا يسأل سبب بكائي! فقط "هل يكفيكِ كتفي؟ لستِ مجبرةً على إخباري، تعلمين ذلك؟!" ويظلُّ صامتًا حتى انتهي من البكاء، متكئةً على كتفه الذي يعني لي كلَّ كلمات الحب بالعالم.
وعندما أنتهي من رسمة لديَّ يرفع يديَّ الملطخة بالألوان يُقبِّل باطنَها وهو يقول: "حصلتُ على شرف كوني الأول الذي يرى الرسام واللوحة".

سهاف وهي تبتسم لتعبير روف العميق عن الحبِّ الجميل الذي جمعهم بمواقِفه النبيلة: «حسنًا، ألم تتردَّدي في إنجاب ألتان عند رؤيتك لملفِّه الطبي؟!».

حدَّقت قليلًا في الرسمة أمامها: «أجل، تردَّدتُ، خفتُ أن أتراجع بعد إنجابه، كنت أعلم أنني سأتعلق به بشدَّة، ولن أستطيع مفارقته، ولكن لم أستطع خذلانَه وهو قد وثق بي، رُغم قوله كثيرًا: إن فعله هذا أنانيٌّ جدًّا، ولكن أعلم أن سيكون ذلك مصدرَ فخرٍ لألتان في المستقبل، ووالده يستحقُّ ذلك.

سهاف بتأثُّر: «أتعلمين؟ مؤمنةٌ أنَّ اجتماعكم قريبٌ جدًّا، ستكونون أفضلَ عائلة على الإطلاق».

روف: «سهاف إذا غادرنا الجزيره يومًا، أين ستذهبين؟».

سهاف بعد صمتٍ وتفكيرٍ: «أشعر بالتردُّد حقًّا... جزء مني يريد أن أقبل، وجزءٌ يرفض».
روف بتركيز وهي تلف عليها: «أيُّ موافَقة وأي رفض؟! ماذا يحدث؟».

سهاف وهي تدلِّك يديها: «هناك عرض زواج أفكر به بجدِّية».
روف -وهي تمسك يديها-: «أنتِ لستِ مجبرةً على ذلك، لن نتركَك أبدًا، ستكونين معنا دائمًا».

سهاف: «هذا هو الجزء الذي يحثُّني على القبول، أنَّ كلَّ الطرق تؤدي إليكم!».

روف تُميل رأسها بعدم فهمٍ لتُكمِل سهاف: «أ.. أ.. أندريس عرض عليَّ ذلك! أعلم أنه ليس بذلك الفارق الكبير - قُرابة التسع سنين، ولكن ..».
روف تطبق بيديها على شفتيها بدهشة، وعيناها متسعتان، لم تتوقع ذلك أبدًا، ثم أمسكت بيديها بسرعة وهي تبتسم لمرتها الأولى من ذلك اليوم، يبدو عليها الفرح حقًّا: «اا ... سهاف هل أنتِ تقولين الحقيقة؟ أندريس! أندريس! آاااه .. وأخيرًا أحنُّ شخصٍ حقًّا ... أنتِ تستحقِّين رجلًا مثله بالفعل، آه ... هذا عظيمٌ جدًّا واااو .

سهاف وهي تضع يدَها على فم روف لتُصمِتَها، وهي تلفتُ نحو الباب المفتوح: «ياا ... اصمُتي، أنا لم أقبل بعدُ، ما هذا الحمااس لديك؟!».

روف تجلس، وهي لا تزال تبتسم براحة وتتحدَّث بصوتٍ مسموعٍ: «آه ... أندريس، أنت تستحقُّ الفرح بحياتك يا أجمل أبٍ بالعالم» ثم ازدحمت دموعها لتنظر سهاف إليها بدهشة لتقلُّب ردَّات فعلها بسرعة: «هييي ... أنتِ! هل أنتِ سعيدة أم حزينة؟! لم أعرف: هل أوافق أم لا بسببك؟!».

روف تمسح دموعها وهي تنظر لها بجدية: «أنا لن أُجبِرَك على قرارك، لكن أؤكِّد لك أنه أجمل خيارٍ ممكن يُوفِّره هذا الكون لكِ، سيكون عونًا لكِ ولابنِك حقًّا، أما دموعي فهي لتذكُّرِي الصعاب التي مرَّ بها، وأنه بالفعل يستحقُّ السعادة، وأن يكون له رفيقةٌ بالحياة لا تخون ولا تَخذُل مثلك، ستكونين أجمل عوضٍ له».

تنهَّدتْ سهاف وهي تحدِّق بالرسمه معها ..

.....
أمضت ليلتها تنظر في مقاطع الفيديو التي أخذتْها من كاميرا الغرفة، والتي وضعتْها منذ ولادته لحفظ كافة تفاصيله وتفاصيل يومه الجميلة؛ ضحكاتُه .. بكاؤه .. حتى الحُمَّى التي أصابته .. وأنينه المتَّضِح بمنتصف الليل، حتى غفتْ وسقط الهاتف من يدها بجانبها.

شعرتْ باهتزازٍ لتصرخ بصوتٍ عالٍ وهي تقف بسرعة رُغم نومها، وهي تسحب الجهاز المُعلَّق بخَصْرِها، ولكن لم يكن مضيئًا لتجدَه الهاتف الذي اهتزَّ عندما نفذَ شحنه بعدما كانت تشتغل الفيديوهات بشكلٍ تلقائيٍّ طوال الليل.
جلستْ وهي ترتجف بشدَّة، رفعت الهاتف، انهمرت دموعُها لترمي الهاتف على الجدار بصرخة ألمٍ، وببكاء شديدٍ، وهي ترمي كلَّ ما حولها بفقدانٍ لذاتها، لتدخل سهاف والمساعِدة وتجد الغرفة بحالة فوضى شديدة، وهي ترتجف بالزاويه تنظر للجهاز الذي تحمِله بين يديها، وتُحدِّق به، ودموعها تغطي وجنتيها.

اقتربت سهاف منها، وهي تجلس أمامها بنفس جلستها المتقرفصة: «روف! ماذا حدث؟!».

روف وهي تهتزُّ في مكانها، أشارت بيدها على الهاتف المحطَّم، ودموعها تنهمر، وفكُّها يرتجف بشدَّة: «اهتزَّ، وظننته الجهاز، ولكن يبدو أنَّ الانتظار سيقتلني حقًّا، أنا لم أعد أستطيع سهاف، مرَّ الكثير من الأيام والساعات، أشعر بيأسٍ شديدٍ وخوفٍ، أنا لستُ قويةً كما تظنون، أنا لا أنام بسهولةٍ، أخشى أن يهتزَّ ولا أستيقظ به».
بكتْ سهاف وهي تقترب منها وتحتضنها، لتُكمِل بكاءها لتشعر بالاهتزاز مرة أخرى، ابتعدت سهاف وهي تقول: «ربما هاتفي!».

نظرت سهاف لها بسرعة وبصرخة: «روووووووووف ... اهتزَّ، أقسم لك، انظري!».
صرخت هي أيضًا عند رؤيتها الشاشة تضيء باللَّون الأخضر، ويهتز بشدَّة، حاولت الوقوف ولكن لم تستطع، تشبَّثتْ بسهاف التي صرخت بالممرّضة، لتجلب كرسيًّا متحركًا؛ ليدخل أندريس ويحملها وهو يركض بها، ودموعه تنهمر كما دموعها.

وقفوا أمام الباب .. تجمهر كافة الطاقم الطبي.

36. طور القمر الأول

الكلُّ ينتظر الحلقة الأخيرة التي استمرَّت خمسة أعوامٍ.
دخل البروفيسور أدولف ومساعدوه، وأغلقوا خلفهم الباب الرئيسي، اتجه الجميع لغرفة المراقبة؛ لينظروا للشاشات بداخلها، التي تصوّر بشكلٍ مباشرٍ الداخلَ.
شهقت وهي تنظر للكبسولات تُفتَح لتُحقَن الإبره بأيديهم، مرَّت الساعات ثقيلةً عليهم بعد خروج البروفيسور الذي يراقب ارتفاع درجات الحرارة البطيئة لتَصِل لمعدَّلِها الطبيعي ليكتمل الاستيقاظ.
كانت تُدلِّك يديها ثم تعَضُّ عليها، وعندما تجتمع دموعُها تمسحها لتنظر بمؤشِّر درجة الحرارة، الذي اقترب من الثلاثين، بكتْ عندما تخطَّى الخمسة والثلاثين، ثم استقرَّ بالسبعة والثلاثين، أخيرًا ارتجفتْ قدماها لتشدَّها سهاف، التي تقف بجوارها.

تموَّجت نبضات قلوبِهما بشكلٍ مستقيمٍ، ثم ارتفع النبض، ثم انخفض، ثم عاد يرتفع، ثم انخفض مستوى الأكسجين، ثم عاد ليرتفع تدريجيًّا، تحركت مقلتا ألتان، شهقت وهي تطبق فمها، وترتجف ودموعُها تشوّش عليها، كحَّ الطفل عدَّة مرَّات قبل أن يفتح عينيه، ويبكي عندما استغرب المكان، ارتفع البكاء بالغرفة من جميع الطاقم

الموجود، اقترب أندريس عند الشاشة الأخرى التي تصوّر كبسولة ألكاي لينظر للطبيب: «ماذا؟! لمَ لا يستيقظ إذًا؟!».

بلع البرفيسور ريقَه بتوتُّر شديدٍ: «حسنًا .. أناااا ... أنا ...» اقتربت روف لتُمسِك ياقته بفقدان لشعورها: «مااااذا؟ مااااذا؟!».
لتصرخ سهاف: «هو يستيقظ، تحرَّكت مقلتاه ... تحرررركت!».

شعرتْ بضيق تنفُّسِها، ضربتْ قلبَها وهي تستنجد للهواء ليدخل، أغمضتْ عينيها لتصرخ بنفسها دون انتباهٍ منها لوجود الجميع وهي تحدِّث نفسها: «لييييس الآن ... آاااه ...» وتسحب نفسًا عميقًا ... لا هي تختنق حقًّا ... سحب أندريس بسرعة كرسيًّا خلفه، ويُجلِسُها عليه، ويرفع قدميها بسرعة على طاولة الشاشة، ويصرخ بهم ليبتعدوا، ويأخذ قناع الأكسجين المحمول ويضعه عليها بسرعة كإسعاف أوليٍّ، أخرج قلمه المضيء ليتفقَّد عينيها، ثم يصرخ بهم: «سرير طبي بسررررعة ... اشتباااااه أعراض نوبة قلبيية ... هيا لنسيطر عليها هيااااا»، ويصرخ عليهم ليتمَّ إخراجها من القسم، وهي تبدأ تفقد الوعي، ولكن كانت تفتح عينيها وتغلقها، وهي تسمع صراخ ألتان الذي فقدتْه عامًا كاملًا، حتى أدخلوها لغرفة العناية المركزة والطارئة.

بعد أسبوعين على هذه الأحداث، كان يجلس على كرسيٍّ متحركٍ بالقرب من الشاطئ في الصباح الباكر، خيوط الشمس تتسلَّل بهدوء لتنعكس على سطح المياه الراكدة، سمع خطوات تقترب منه، لفَّ برأسه ليجد ألتان يجرُّ والدته بيدها نحوه، ابتسم عندما اقترب إليه، ووقف أمامه.
ربَّت ألكاي على رأسه وقال: «من أنت؟».

زم ألتان شفتيه: «هذا غير عادل، أنا أعرفك وأنت لم تتعرف عليَّ، أمم حسنًا، لا بأس، هذا لقاؤنا الأول، ابتسم، أنا الذي الآن تنتظره، اسمي هو ألتان، ويعني (الفجر المشرق).
ابتسم ودموعه تتجمَّع: «آاااه، سررت بلقائك إذًا، وأعتذر لعدم تعرُّفي عليك ألتان، أنا أُدعَى ...» قاطعه ألتان: «أعلم، أنت طور القمر لوالدتي، وأبي ألكاي سالار -ويغمز له- وذاكرة الفولاذ!».

حمله ألكاي بسرعة، وهو يحتضنه ويقبله ودموعه تنهمر: «أجل، والدك، وطور القمر لوالدتك، رفع عينيه لها، كانت تبكي، مدَّ يده الأخرى لها وهو يُمسِك بيدها لينظر لعينيها: «أعتذر، أعطيتك وقتًا صعبًا».
انحنت عليه لتحتضن كلاهما وهي تقول: «أعطيتني شروق قلبي، وهذا تعويضنا».

كان هذا اللقاء العاطفي يحدث تحت أنظار أندريس الذي يقف بجوار سهاف خارج مرسم روف، مسح دمعة انزلقت من عينه، وهو يشتِّت ذلك بترتيب شعره.

تحدثت سهاف: «تحقق حلمك أندريس أخيرًا» هز رأسه وهو يبتسم.

نظر لها عندنا قالت: «روف قالت: إنني سأكون محظوظة جدًّا بجوارك، هل هذا صحيح؟!».

تقاربت حاجباه، ثم قال بابتسامة: «ألم تقُلِ العكس إذًا؟!».

ابتسمت سهاف بخجلٍ: «آه ... ربما هذا صحيح إذًا، متى العودة؟».

أندريس: «غدًا كوني مستعدة للعودة».

.....
صباح مختلف جدًّا عن كل صباح مرَّ مسبقًا.
كانت ماريا تبكي وهي ترتِّب نفسها أمام المرآه، دخل ليمان وعائلته والفرح يشعُّ من وجوههم، وقال وهو معاتبًا: «لأجل حقِّك عليه سمحتُ لك باستقبالهم لديك».

ماريا وهي تصافِحُه وتُربِّت على يده: «حقُّه عليَّ أكثر، أنا ممتنة لك وله ما دمت حية، هم سعادتي في هذه الحياة، تعرف! لا أستطيع مغادرة منزلي بعد تعب زوجي، وأنا شاكرة لك حقًّا، تفضَّلوا للداخل، اقترَبوا من الوصول».

سمعوا صوت تزمير السيارات يقترب، خرجوا جميعًا للخارج بلهفةٍ وشوقٍ، تخطَّاهم إلياس يركض ليقف أمام السيارة التي توقَّفت مجبرةً.
نزل ألكاي وهو يقف بصعوبة، لا تزال أعصابه غير مرنة، ليركض إلياس وهو يحتضنه ويبكي، نطق ألكاي ممازحًا: «اشتقتَ لي؟ احملني إذًا! أكره الكرسي المتحرك».

لفَّه إلياس بسرعة ليحمِلَه بين يديه كطفلٍ، وذاك يصرخ: «لا لا لا» أغمض عينيه عندما اقترب والده وماريا يركضان، وارتفعت أصوات بكائهم، احتضنه والده، ثم ماريا، والجميع في حالة تأثُّرٍ شديدةٍ وعاطفيةٍ جدًّا، ليقطع عليهم ذلك ألتان الذي يقف ويداه على جانبيه: «وأنا لاس! ألا تحبني؟!».
التفَّ إلياس للكائن الصغير خلفَه؛ ليحمله بسرعة وهو يحتضنه، ثم يمدُّ يدَه لروف خلفه ويحتضنهم سويًّا: «آاه أحبك أكثر من والدك أتعلم؟!».
ابتسمتْ رُوف، وهي تبتعد عنه لتُكمِل سلامها على البقية.
دخل الجميع للداخل...

التف ألكاي على ماريا: «أين إيفا؟».
رفع رأسه على صوت البكاء العالي الذي يقترب، دخلت وهي تسحب فستانها ذاك الذي اشتراه لها.
لم تتوقَّف عن البكاء وهي تحتضنه حتى شاركها ألتان البكاء بخوفٍ، اقتربت منه وهي تحتضنه وتشارِكُه البكاء كالأطفال.

رفع ألكاي عينيه نحو إلياس الذي يقف يراقب المشهد، وهو يحكُّ جبينه، الجميع مندهش؛ سهاف، والبروفيسور أدولف، وعدد قليل من الطاقم، الذين أصرَّ عليهم ألكاي.
رفع كتفيه وهو يقول له بابتسامة: «أعتذر لك أخي العزيز، تعلم يمكنك التراجع! صحيح!».
ارتفعت ضحكات إلياس عندما نظرتْ لهما، وهي تقرِّب عينيها.

تنهَّدت روف بعمقٍ، وهي تعيش اللحظه التي لطالما تمنَّتها - اجتماع العائلة أخيرًا.

دخلت مدبِّره المنزل بعد الغداء لتحدِّث إيفا: «سيدتي، هناك عمال توصيل يحملون لوحه كبيرة بالبهو».
وقفت إيفا، وهي تنظر نحو روف، التي ابتسمتْ هي وسهاف: «لينزل الجميع للأسفل».
ماريا تحتضن كتف روف، التي تُخبرهم بتركيبها بالمنتصف بنفس المكان الذي بداخل اللوحة.

ألكاي يبتسم بفرح: «هيا لنلتقط نفس الصورة».

ثبتت إيفا كاميراتها أمامهم بعد أخذهم لوضعيَّاتهم، جلس ألكاي وحمل ألتان بحجرِه، وقفت بجواره روف، واللوحة خلفهم لتتَّضح بالصورة الجماعية التي كانت أجمل نهايةٍ للمعاناة التي حصلت لهم جميعًا.

.....
تخبئ لنا الحياه أقدارًا كُتبتْ قبل أن نكون شيئًا فيها.

يأتي العوضُ دائمًا بطريقةٍ أفضل ممَّا اعتقدنا.

اهتمُّوا بمن تحبُّون، كونوا لهم كتفًا يتكئون عليه من صعاب الحياة.

تمَّت بحمد الله

"ذاكره الفولاذ"